وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر *بسكرة *
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

تلقي الخطاب الشعري من منظور تداولي
في قصيدة "منشورات فدائية على جدران إسرائيل"
لنزار قباني

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآداب واللغة العربية؛ تخصص علوم اللسان العربي

إعداد الطالب:
طارق خلايفة

إشراف الأستاذ الدكتور:
عمار شلواي

السنة الجامعية:
1435هـ / 1436هـ - 2014 م / 2015 م

مقدمة

تعد قضية المعنى وحيثياته من القضايا المعقدة التي أجهدت الفلاسفة واللغويين والقانونيين، فتتالت المباحث والأطروحات التي حاولت الكشف عنه، وتواردت النظريات الدلالية الساعية وراء رسم منهج قويم يمكنها من الوصول إلى المعاني الكامنة خلف التراكيب والبنى، وهو ما تجسد في أعمال رواد الشكلانية والبنيوية الذين عدوا الإنتاجية الأدبية عبارة عن إنتاجية منسلخة عن المصدر الذي أنتجه، وهو ما يعرف عندهم بموت المؤلف الذي نادى به "رولان بارت"، ومما لا شك فيه أن مقاربة الخطاب الأدبي انطلاقا من هذا المفهوم الشكلي الصوري يحمل من المزالق ما قد يحول دون استنطاق الأوجه الحقيقية لكوامنه، فالخطاب وإن كان لغة فهو يتجاوزها، إذ أنه أثناء عملية التحليل تراعى أطراف غير لغوية معلنة تتمثل في السياقات التي تحف الخطاب، ويبقى الخطاب منغلقا أمام متلقيه إذا لم تتوفر لديه معلومات كافية عن مكونات سياقه، ذلك أن الخطاب يحوي بعض الحدود اللغوية التي تتطلب معلومات سياقية أثناء التأويل، وبهذا المؤشر يمكن تجاوز مباحث علم الوضع اللغوي إلى مباحث علم الاستعمال اللغوي الذي يدرس اللغة في حيز الاستعمال الفعلي، وهو صميم البحث التداولي، وإن كان الاستعمال اللغوي في حقيقته ينبني على الوضع اللغوي، ذلك أن مقاصد المتخاطبين لا يمثلها الوضع اللغوي المجرد فقط، ولا يمكن الوصول إليها إلا من خلال فهم اللغة في سياق الاستعمال المتجدد.

لتكون التداولية بهذا المعطى استراتيجية هامة في تحليل الخطاب الأدبي لجمعها بين البنائية الوصفية والسياقية والوظيفية وغيرها من الحقول التي تلتقي مع الدرس التداولي، في الوقت الذي باتت فيه الحاجة إلى تفسير الظواهر أكثر من وصفها، لأن الوصف وحده يعزل الأثر الأدبي عن المجتمع والتاريخ، كون العملية الإبداعية أو اللغوية لا تتحقق إلا في ظل تواصل فعلي يستوفي كل شروط التداول، فالأدلة اللغوية (ملفوظات الخطاب) لا يمكن رصد حركتها إلا في ارتباطها بمقتضيات العملية التواصلية. وقد تعددت القراءات للأثر الأدبي بحسب الاتجاهات والمدارس اللسانية وصولا إلى آخر ما توصلت إليه اللسانيات الحديثة المتمثل في اللسانيات التداولية التي شقت طريقها من اللغة إلى الأدب كقراءة جديدة للإنتاجية الأدبية تراعى فيها كل عناصر الاتصال اللغوي ذات المستويات المتداخلة، كالبنية اللغوية وقواعد التخاطب، وعلاقة البنية بظروف الاستعمال.

ونظرا لهذه الأهمية التي اكتستها التداولية في اقتحام الخطاب الأدبي تولدت لدي رغبة في دراسة هذا الموضوع من خلال المقاربة التداولية القائمة على تناول الخطاب بمستوياته الثلاثة (فعل القول،

والفعل المتضمن في القول، والفعل الناتج عن القول) كما حددها "**أوستين**"، وقد آثرت أن يكون عنوان المذكرة موسوما بـ:

« تلقي الخطاب الشعري من منظور تداولي في قصيدة "منشورات فدائية على جدران إسرائيل" لنزار قباني »

وكان لاختياري لهذا الموضوع اعتبارات عدة من أهمها:

1/ اهتمامي الشديد بموضوع اللسانيات التداولية، التي رأيت فيها منهجا متكاملا يعمل على كشف كوامن الخطاب، خاصة وأنها تجمع بين اللسانيات الحديثة وأعمال العلماء العرب في البلاغة والنحو وأصول الفقه، كما أن دراستها كذلك تجمع بين صرامة اللغة، وهو العامل الذي يخول لها الدقة والموضوعية، وسلاسة الأدب الذي يتخذ من الأحكام الحدسية والذوقية سبيلا له في التعامل مع النص الشعري المتمسك بعذريته الجمالية.

2/ رغبتي الملحة في دراسة الشعر عامة، والشعر المعاصر خاصة المرتبط بكل أشكال الحداثة المعبرة عن الواقع العربي بكل نواحيه، وقد وجدت في الشعر الحداثي ما يناسب مباحث الدرس التداولي كالخيال والشعور والرمز والشكل والإقناع والتأثير...الخ.

3/ إقبالي على الشعر العربي المعاصر الذي يساير واقع الأمة الإسلامية والعربية، وخاصة الأشعار التي اتخذت من القضية الفلسطينية وما اتصل بها من قضايا القومية موضوعا لها، ليتمحور الشعر العربي منذ أواسط القرن العشرين حول هذه القضية بكل معاني الانتماء المفعمة بمرارة الانكسار أو نشوة النصر المرتجى، ولعل "**نزارا**" يعد من أبرز الشعراء الذين أخذوا هذا الموقف الحاسم، كما أنه – في مسيرته الشعرية – يمثل واحدا من رواد القصيدة العربية المعاصرة، إن على مستوى التنظير أو الإنتاج، وهو الأمر الذي زاد من إقبالي على الخطاب النزاري.

وقد أثار هذا الأمر لدي مجموعة من الافتراضات أفضت إلى توليد هذه الأسئلة:

1/ هل يمكن للتداولية أن تجد ضالتها في سبر كوامن الخطاب الشعري الذي يعد خرقا للمتداول وتعاليا عن المألوف؟

2/ ما جدوى دراسة الشعر في ضوء منهج نشأ في مناخ فلسفي عني بتحليل اللغة العادية؟

3/ أيمكن للتداولية في مقاربتها للخطاب الشعري الإجابة عن أسئلة من هذا النمط: من يتكلم؟ وإلى من يتكلم؟ ولأجل من؟..

4/ هل بمقدورنا أن نركن إلى المعنى الحرفي في قراءتنا للخطاب الشعري؟

5/ إذا كانت لغة الشعر تعتمد على التلميح والبعد في الإشارة والخيال، فهل يمكن اعتبارها فعلا كلاميا إنجازيا؟

6/ كيف يتحول الخطاب الشعري إلى فعل لغوي مركزي؟ وما الفعل المركزي الذي قامت عليه القصيدة؟

7/ إذا كان الخطاب الشعري فعلا كلاميا إنجازيا فإلى أيّ حدّ حقق غاية التأثير؟

أما عنوان المذكرة « **تلقي الخطاب الشعري من منظور تداولي في قصيدة "منشورات فدائية على جدران إسرائيل" لنزار قباني** » فأعني به قراءة الخطاب الشعري قراءة تداولية تجمع بين عتبات الشفرة ورحابة السياق، وذلك من خلال رصد حركة الأدلة اللغوية في اتصالها بظروف الاستعمال، وأسيقة التلقي التي تحف الخطاب، وبيان كيفية نهوضها في التعبير عما يختلج في نفس الشاعر، ومدى تأثيرها على المتلقي من خلال ممارسة فعل الإثارة والإفادة والإقناع، كما تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على بعض خصائص المعجم السياسي النزاري الذي تلون بكل مظاهر التراجيديا العربية الفاعلة في تغيير مساره الشعري.

أما خطة الدراسة فقد اجتهدت في وضعها بما يناسب طبيعة الموضوع، فجاءت على هذا النحو: مقدمة ومدخل وفصلان وخاتمة.

في المدخل: « المجال المفهومي للتداولية »

عرضت الأصول الفلسفية والمناهج النقدية واللسانيات الحديثة المهتمة بقضايا التواصل التي متح منها الدرس التداولي، ثم وقفت على مفهوم التداولية، وعلى المفهوم الاصطلاحي بعد تبلوره على يد أعلامها، مع ذكر درجات تطورها وتقاطعاتها مع علوم اللغة المختلفة، وركزت على قضايا اللسانيات التداولية وجوانب التحليل فيها، كما ذكرت بعض ملامح التفكير التداولي عند العلماء العرب القدامى والمحدثين.

وفي الفصل الأول: « الأبعاد التداولية في قصيدة : منشورات فدائية على جدران إسرائيل »

ركزت على إبراز حركة الأدلة داخل القصيدة في ارتباطها بالسياق المستعملة فيه، وذلك بالإفصاح عن دور العناصر السياقية في توليد الدلالة، استنادا إلى آليات المقاربة التداولية كما حددها "**هانسون**" في تقسيمه الثلاثي لدرجات التداول، فبدأت بتحديد دور إشاريات الخطاب (الألفاظ المفتاحية، الإشاريات الشخصية، والزمانية، والمكانية) في التعبير عن مقصدية الشاعر، ثم ميزت المعنى

الحرفي عن المعنى التواصلي، والمعنى المباشر عن المعنى التلميحي، اعتمادا على الافتراض المسبق والاستلزام الحواري.

أما الفصل الثاني: « أفعال الكلام ووظائف اللغة في عالم الخطاب»

فقد انصب اهتمامي على وظائف اللغة من خلال تصنيف "سيرل" للأفعال الكلامية، فقمت بتحديد الأفعال الدالة على (الإثبات، والتوجيه، والوعد، والتعبير، والإعلان)، شارحا إياها بواسطة أمثلة من المدونة تستوفي كل عناصر الفعل الكلامي، ومن ثم حددت الفعل اللغوي المركزي الذي قامت عليه القصيدة، ثم رصدت تقنيات الحجاج وأدلة الإقناع المقالية والمقامية باعتبارها ضربا من الأفعال اللغوية، رابطا ذلك كله بالسياق الخارجي للواقع العربي زمن (النكسة).

ثم كانت **الخاتمة** عرضا لأهم النتائج التي توصل إليها البحث، وألحقت بالبحث نص المدونة، وقائمة لمختلف المصادر والمراجع التي اعتمدتها في هذه الدراسة، وفهرسا للموضوعات.

أما أهم البحوث والدراسات التي اعتمدتها في الدراسة فهي: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية لـ "عبد الهادي بن ظافر الشهري"، والتداولية عند العلماء العرب لـ "مسعود صحراوي"، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر لـ "محمود أحمد نحلة"، وتحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية لـ "عمر بلخير"، وفي تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء لـ "نواري سعودي أبو زيد"، ومدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري لـ "نعمان بوقرة"...، رغم إفاضة هؤلاء الدارسين الواسعة في دراسة التداولية إلا أن اتساع حقلها وتشعب قضاياها حال دون استيفاء كل جوانبها، مما دفعني إلى مطالعة الكتب المترجمة لأهم أعلامها حتى أقف على وفر من المعارف القريبة من مصدرها ومن أبرزها: نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام لـ "جون لانكشو أوستين"، والمقاربة التداولية لـ "فرنسواز أرمينكو"، والتداولية اليوم علم جديد في التواصل لـ "آن روبل" و"جاك موشلار"، والتداولية من أوستين إلى غوفمان لـ "فيليب بلانشيه"، والنص والسياق لـ "فان دايك."..

أما المنهج المتبع في هذه الدراسة فهو المنهج التداولي الذي يتتبع الحدث الكلامي بكل حيثياته، ويساعد على كشف أدلة النص الشعري المتمردة ومن ثم استنطاق جمالياته.

وقد أجهدتني مجموعة من الصعوبات في هذا البحث يمكن حصرها في الآتي:

1/ صعوبة تحديد منشأ اللسانيات التداولية التي تعتبر مدينة لعدد من التيارات الفلسفية، أرغمتني على طرق أبوابها بالاطلاع على أعمال فلاسفة اللغة.

2/ اختلاف الدارسين في تحديد مصطلحات التداولية، وذلك لاختلاف ترجمتهم لمصطلح "pragmatiques" بين التخاطبية، والسياقية، والمقامية، والوظيفية، والنفعية... وهذا الخلط في الترجمة يضلل الباحث ويحول دون استيعابه لمفهوم التداولية.

3/ صعوبة تحديد منهجية ثابتة لدراسة التداولية، وذلك لصعوبة حصر روافدها في اللسانيات الحديثة أو العلوم الأخرى، فتعددت قضاياها، وتشعبت جوانب البحث فيها، مما أدى إلى تعدد تصنيفاتها وأشكال تطورها، وهو ما يوقع الدارس في مزالق الفصل بين درجاتها.

4/ انصباب اهتمام أعلام التداولية على تناول القولات في سياق الاستعمال الفعلي للغة العادية، وليس بهين إسقاط آليات التداول على الخطاب الأدبي الذي له خصوصيته.

5/ صعوبة تطبيق تصنيف الأفعال الكلامية على نص المدونة لتماهيها وتداخلها، لأن ظاهر المنطوقات لا يدل –دوما– على دلالاتها الأصلية.

6/ صعوبة اختيار المدونة التي تفي بميدان الدراسة من كافة جوانبها، وهو الأمر الذي دفعني إلى تفحص العديد من دواوين شعراء الحداثة، لاختيار الخطاب الأنسب لموضوع الدراسة.

7/ ارتباط الفعل الكلامي في الخطاب بالواقع العربي عامة والقضية الفلسطينية خاصة، حتم علي جمع كل ما يتعلق بتاريخ الصراع العربي الصهيوني، وعلى دراسة سيرة " نزار قباني" المتصلة والمنفعلة بالواقع العربي زمن النكسة.

نأمل من هذه الدراسة – التي حفتها الصعوبة قبل بداياتها– تحقيق ولو حد أدنى من الجدة، في ظل شح المكتبة العربية في تناول الخطاب الشعري في ضوء النظرية التداولية.

لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من كان لي عونا في إنجاز هذا العمل، وأخص بالذكر أستاذي الموقر الدكتور: **"عمار شلواي"** الذي منحني الثقة، وحسن التوجيه، وعاملني بكل ما تقتضيه الأخلاق العلمية، كان لها بالغ الأثر في إتمام هذا البحث، فجزاه الله عني خير الجزاء، وإلى لجنة المناقشة التي تشرّفتُ بتثمينها دراستي.

هذا إن أصبت فمن الله، وإن كان غير ذلك فحسبي أنني بذلت جهدي، والله أسأل أن يجعل عملي هذا لوجهه الكريم، وأن يغفر لي خطيئتي يوم الدين، وأن يحيينا ويميتنا مؤمنين، إنه سميع وبالإجابة جدير، وصلى الله وسلم على نبيه الصادق الأمين.

مدخل

المجال المفهومي للتداولية

توالت المناهج المعاصرة الباحثة عن المعنى في كنه الأدب واللغة، وكان لها بالغ الأثر والأهمية؛ ذلك لاعتمادها على قواعد تخول لها الدقة والوضوح في تناول القضايا المتعلقة بميدان الدراسة، والتداولية تعد أقدر المناهج المعاصرة سبرا لكوامن الخطاب الأدبي، على خلاف المناهج الوصفية الصورية التي قامت بعزل الأثر عن المجتمع والتاريخ، في الوقت الذي بات فيه من الصعب، أو قل من غير المجدي دراسة الملفوظات ودلالاتها في معزل عن ظروف الاستعمال ومعطيات السياق المختلفة.

فبالرغم من إمكانية دراسة كل مستوى من مستويات اللغة دراسة مستقلة من الناحية الإجرائية، إلا أنه يتعذر مثل هذا الصنيع عند إسقاطه على الخطاب [1]، لتتكفل التداولية بدراسة اللغة في تعدد أسيقة استعمالها واختلاف طبقاتها المقامية، فكل عملية تواصلية لا تكاد تتم في غياب الشروط التداولية، فمن هذا المنطلق وجب السير على ضوء المنهج التداولي الذي يراعي سيرورة العمل التخاطبي الذي ينطلق من المتكلم الذي يصدر خطابا يعبر عن قصده في سياق تخاطبي معين موجه إلى مخاطب ما ليفهم منه قصدا، وبذلك يتم للمرسل إنتاج خطاب يؤثر في المرسل إليه دون إغفال لعناصر الإتصال الأخرى.

فالتداولية بهذا المعطى تتجاوز الاستعارة الجارحة [*] بوصفها قمامة اللسانيات التي لا تعنى إلا بمعالجة المشاكل الهامشية التي ترفعت عنها اللسانيات [2]، والحقيقة أن التداولية تتناول كل ظاهرة عجزت عن حلها اللسانيات الوصفية، لتبحث عن أسباب فشلها في معالجة الملفوظات، عندما أقرت أفضلية التواصل غير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر، والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة.

وقد ذهب رودولف كارناب R.garnab إلى اعتبارها قاعدة اللسانيات، كونها المنهج الذي باستطاعته أن يجيب عن أسئلة من هذا النمط: – ماذا نصنع حين نتكلم ؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم ؟ فمن يتكلم إذن ؟ وإلى من يتكلم؟ .. هل يمكن أن نركن إلى المعنى الحرفي لقصد ما ؟ ما هي استعمالات اللغة ؟ .. [3].

---

[1] الشهري عبد الهادي بن ظافر ، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت – لبنان – ط1، مارس 2004، ص: 22.

[*] وهي استعارة من أحد الإيطاليين و للتخفيف من حدة قدحها ترى أورشيوني أن الوصف الأقل تجريحا، هو اعتبار التداولية مأوى إسباني للسانيات قابل لأن يستقبل في فضائه مختلف الإشكالات الأكثر أو الأقل اختلاطا.

[2] إدريس مقبول، الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن– ط1، 2006، ص : (265–266).

[3] فرنسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الاتحاد القومي ، الرباط – المغرب– 1986، ص 07.

فهذه المشكلات وما جرى مجراها أصبحت من صميم البحث التداولي الذي يتناول الخطاب من كل عناصره التواصلية المشكلة له.

ورغم اهتمام التداوليين بلغة الاستعمال اليومي (العادية)، فإن آليات تحليلها وجب تطبيقها على الخطاب الأدبي، وبذلك يتم الوصول بهذا المنهج إلى مصاف المناهج النصية، مما يجعله يبتعد عن تصورات فلاسفة اللغة العادية، ليلج الخطاب الأدبي من بابه الواسع.

لقد اهتم الفلاسفة بقضية المعنى وحيثياته منذ زمن ليس بالقريب، إذ عكف الفلاسفة على النظر في التأثيرات الفعلية للخطاب، ذلك أن الفلسفة منذ القديم كانت تهتم باللغة، وكان البلاغيون القدامى تداوليين لبحثهم في الصلات القائمة بين اللغة والمنطق وآثار الخطاب في السامع، خاصة مع الرواد الأوائل: "أفلاطون" Platon، "أرسطو" Aristote، الذين قدموا مباحث كانت مرتكزات استلهمها رواد التداولية "أوستين" Austin و"سيرل" Searle من الفلسفة والبلاغة [1].

وجاء الكوجيتو الديكارتي من خلال تأثر الفيلسوف بالفكر الأرسطي الذي يتلخص في عبارة (أنا أفكر إذا إنا موجود) فأفكر هو تفكير حقيقي في كل مرة أتلفظ فيها بذلك، فالوجود حقيقي من خلال ضرورة تداولية فقولك: « لا أوجد » خاطئ تداوليا لمناقضة فعل التلفظ لمضمون المنطوق [2].

كما إن لـ "ديكارت" مساهمة في التأثير على فلاسفة التحليل أمثال "هوسرل" Husserl، و"جورج إدوارد مور" G. E. Moore ، و"برتراند رسل" B. Russell، و"فيتغنشتاين" Wittgenstein، لأنه كان يحلل أفكارا وقضايا ومواقف معقدة، ولعل تحليلات هؤلاء تطوير للمنهج الديكارتي في التحليل [3].

والدرس التداولي يتسم بتنوع حقوله المفهومية تبعا لتنوع مصادرها، فالأفعال الكلامية نشأت في كنف الفلسفة التحليلية ونظرية المحادثة مستمده من فلسفة "غرايس " Grise المتمثلة في الاستلزام الحواري، ومادامت الفلسفة التحليلية هي أولى مصادر الدرس التداولي، وجب الوقوف على أهم اتجاهاتها وقضاياها، وذلك من خلال ذكر أعمال فلاسفة اللغة الذين كانت أفكارهم الفلسفية مرجعية الدرس التداولي، فقد نشأت هذه الفلسفة في بدايات القرن العشرين في "فينا" بالنمسا على

[1] فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة : صابر الحباشة، دار الحوار للنشر و التوزيع – سوريا – ط1، 2007، ص 20.

[2] فرنسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 10.

[3] محمود فهمي زيدان، مناهج البحث الفلسفي، جامعة بيروت العربية، بيروت – لبنان– (د.ط)، 1974، ص 123.

يد الفيلسوف الألماني "فريجة" Cottolob Frege في كتابه (أسس علم الحساب) [1]، في حين ذهب آخرون إلى أن الفلسفة التحليلية ظهرت في أواسط القرن العشرين مع الفلاسفة الانجليز أمثال "جورج مور"، "برتراند رسل"، "فيتغنشتاين"...[2]، رغم أن التحليل كإجراء علمي قال به "أفلاطون": « لقد سمى "أفلاطون" منهجه الفرضي تحليلا » [3].

ميز "فريجة" بين اللغة العلمية واللغة العادية واعتبر أن اللغة العلمية تمتاز بالدقة والاستقلالية عن علاقات التفاعل، أما اللغة العادية فهي خاضعة إلى علاقات تفاعل بين المتخاطبين، وتهدف إلى الإقناع وإثارة الاهتمام لدى السامع، وهي رهينة قوانين البلاغة والانفعال[4]، وقد اعتبر "فريجة" أن اللغة العادية يهمها في الدرجة الأولى نجاح التواصل، أما مساهمته في تحليل العبارة اللغوية تمثلت في تمييزه بين مقولتين لغويتين وهما اسم العلم والاسم المحمول، ركنا القضية الحملية المكونة من اسم علم مسند إليه ومحمول مسند، أما القضية غير الحملية ما كانت خارجة عن الإطار الإسنادي وتسمى بالقضية العلاقية [5].

وليأتي بعده "فيتغنشتاين" وأول ما قام به التخلي عن استخدام اللغة الصورية الفنية للتعبير عن المواقف الفلسفية، واتجه إلى اللغة العادية التي نستعملها في حياتنا اليومية، كما رأى أن اللغة لا تكمن وظيفتها في تصويرها للواقع فحسب، بل تتعداه إلى وظائف أخرى كإصدار أوامر وتوجيه أسئلة أو تعبير عن رغبة أو تقديم تحية...إلخ، ومن ثم أدرك أن اللغة ظاهرة اجتماعية لا يمكن فصلها عن استخدامنا المألوف لها [6]، ولعل هذه الفكرة استلهمها "أوستين"، وعليها بنى نظريته.

وقيل أنه المسؤول عن القول المشهور المميز لأعمال فلاسفة اللغة العادية: (لا تسأل عن المعنى بل اسأل عن الاستعمال) [7].

أما التحليل اللغوي فينسب إلى فلاسفة أكسفورد الذين تأثروا "بفيتغنشتاين"؛ لأن تعاليمه انتقلت من "كمبردج" إلى "أكسفورد" في بداية الخمسينات، ولقد سميت فلسفته الفلسفة اللغوية، وفلسفة اللغة

---

[1] صحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت – لبنان– ط1، يوليو 2005،ص 18.

[2] محمود فهمي زيدان، مناهج البحث الفلسفي، طبعة بيروت، ص 75.

[3] المرجع نفسه، ص 122.

[4] فرنسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 20.

[5] محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت– لبنان– (د.ط)، 1985، ص (12–13).

[6] محمود فهمي زيدان، مناهج البحث الفلسفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية – مصر– (د.ط)، 1977، ص (86–85).

[7] محمد مهران رشوان، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر– ط2، 1984، ص177.

العادية، أما سمة منهجه الفلسفي فتتمثل في البحث في (منطق اللغة)؛ والذي يعني دراسة المناهج المختلفة لتراكيب العبارات لتمييز نماذج الوقائع التي تدل عليها، كما بحث في الاستخدام العادي للألفاظ في حياتنا اليومية [1].

ومما يحسب له تركيزه على الخبرة الإنسانية باعتبارها مجالا لتحديد معنى الكلمة، هذه الكلمة التي تأخذ معناها من خلال استعمالها في اللغة، فهو يقر بأهمية الفعل أو النشاط في تحديد معنى الكلمة، لهذا اعتبر المعنى رهين الاعتبارات العملية، وقد شاطره في هذا الموقف "بيرس" [2].

ويظهر البعد التواصلي عندما وضع "فيتغنشتاين" استبدال التواصلية محل استبدال التعبيرية، مشددا على أهمية الاستعمال، متفقا في هذا الموقف مع "فريجة"، إذ يقول: « ما الذي يعطي الحياة إلى العلامة ؟ إنها تعيش من خلال الاستعمال، فهل تمتلك النفس الحياة في ذاتها ؟ أو أن الاستعمال هو ذاتها ؟ »، فمن هنا لا يتعلق الأمر باستعمال الكلمة في الجملة، بل باستعمال الجمل في المواقف المحسومة (مواقف الفعل) [3].

وتعتمد هذه الفلسفة على ثلاثة مفاهيم أساسية هي:

1/ الدلالة: وميز بين الجملة والقول باعتبار أن الجملة لها معنى مقدر، والكلام له معنى محصل، وبهذا جعل الجملة أقل اتساعا من القول .

2/ القاعدة: وينظر إليها من وجهة اجتماعية واستبدالية ونحوية صالحة لعدد كبير من الأحوال والمتكلمين التي تسمح بتنويع النشاط اللغوي، وهي مُثل نحوية صحيحة في ترتيبها و استعمالها[4].

3/ ألعاب اللغة: وهو مفهوم يشكل فكرة "فيتغنشتاين" الأساسية، وهو غير منفصل عن مفهومي القاعدة والدلالة، إذ يبين الفيلسوف أن الشك غير وارد في ألعاب اللغة. والأهم هو أن لا تثبت التجربة العكس فيما بعد، وللتوضيح يقول: « تصور اللعبة اللغوية التالية: عندما أناديك: أدخل من الباب. ففي جميع أحوال الحياة العادية يبدو الإقدام على الشك بأن هناك بابا حقا ضرب من المستحيلات » [5].

---

[1] محمود فهمي زيدان، مناهج البحث الفلسفي، طبعة الإسكندرية، ص 115.

[2] محمد مجدي الجزيري، المتشابهات الفلسفية لفلسفة الفعل عند فتجنشتين، دار آتون للتوزيع، (د.ط)، 1986، ص 66.

[3] فرنسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص22.

[4] الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر- (د.ط)، (د.ط)، 1992، ص 18.

[5] المرجع نفسه، ص 19.

فقد جعل "فيتغنشتاين" اللغة بمثابة اللعب الذي له قواعده يجب معرفتها حين ممارسته مستندا في ذالك إلى تشبيه "سوسير" Saussure اللغة بلعبة الشطرنج مخالفا له في بعض متعلقات اللعب باعتبار أن الكلمات لا تحمل ذات الدلالة فهي عنده تحاكي صندوق النجار تماما بحيث تستخدم وظائف متعددة [1]، وهذا الشبه بنى عليه "أوزوالد ديكرو" O. Ducrot نظريته في مؤلفه: « قل أو لا تقل » وهذا اللعب كثير ما يختلط بالوجود اليومي [2]؛ أي أنه لا توجد طريقة واحدة لاستخدام جملة ما، بل ثمة عدد لا حصر له من الطرق كالأمر، التمثيل، المزاح، الشكر، التحية، الرجاء ...الخ. ولعل المسعى الذي يصبو إليه يتمثل في شرح كيفية اشتغال الكلمات في التجربة وتبيان تطور الألعاب اللغوية بتطور النشاطات الاجتماعية، ودورها في تعلم الأطفال للغتهم الأم بواسطة الطرائق التي تشكلها ألعاب اللغة [3].

أما عن قضية الدليل والدلالة فقد اهتمت بها المناهج النقدية واللسانية بعد أن أثارت الكثير من الجدل حول طبيعة تشكل عناصره، والبحث عن صلات الكلمة والشيء الذي تدل عليه، وكذلك حول علاقة الدليل بالفكر والمرجع، ومن أبرز الرواد الذين قدموا تصورات للدليل "شارل سندرس بيرس" C .S. Bierce الذي قام بدور حاسم في النشأة المفهومية للمقاربة التداولية، ذلك أن العالم يتم إدراكه بواسطة التفاعل بين الذوات والنشاط السيميائي عبر رؤية كونية شاملة [4]، ويعد "بيرس" سلفا للتداوليين الذين جاؤوا من بعده، واعتبر بأن الدلائلية علما يفضل سائر العلوم لاستخدامه للعلامات، مؤكدا بذلك أن الفكر والعلامة غير منفصلين، فلا توجد علامة في حد ذاتها، ولكن كل شيء يمكن أن يتحول إلى علامة، بل إن الفكر في حد ذاته يعد علامة يمكن أن يؤولها الآخر، فالإنسان نفسه علامة، وحين نفكر فنحن علامة، وما يطبع سيميائية "بيرس" أنها لم تكن تجريبية فحسب، بل هي ذات أسس تأملية وفلسفية مرتكزة على المقولات المقتبسة من الفكر الكانطي والهيجلي مع إبداع "بيرس" لفلسفته الخاصة[5].

وأرسى "بيرس" ثنائية (النمط والورود)، فالنمط عنده يمثل العلامة، بوصفها كيانا مجردا موقعها اللسان، وتمثل المعنى الحرفي الذي مصدره النمط (Type)، أما الورود يعني به الاستعمال الملموس

[1] محمود فهمي زيدان،في فلسفة اللغة، ص (49- 55).

[2] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب– ط3، 1992، ص 137.

[3] بوقرة نعمان، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان – الأردن– ط1، 2009،ص (91-92).

[4] المرجع نفسه، ص 8.

[5] فرنسواز أرمينكو ، المقاربة التداولية، ص 15. وينظر: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص 39.

للنمط في السياق، وهو مصدر الدلالة في السياق [1]، وفي الجانب الدلالي المرتبط بالسياق يمثل البعد التداولي لهذه الثنائية.

وممن تأثروا بالفكر البيرسي "شارل موريس" Charles Morris الذي أخذ عنه وظيفة الدليل الثلاثية معدلا فيه لفظ المدلول واضعا له تسمية جديدة وهي (المسمى) الذي يظل مختلفا عن المؤو ِل (الشيء المرجعي)، إذ أنه يحيل إلى صنف من الأشياء، وأكثر من كونه يحيل إلى شيء بعينه [2]، وأكد أن الأشياء المدلول عليها أو المؤولات يجب النظر إليها على أنها سيرورات سلوك [3]، فالجسم من حيث هو جسم يفعل في المحيط وينفعل به، علما بأن وظيفة المحيط وأهميته عاملان حاسمان في إرضاء حاجاته، ومن ثم فإن هناك تفاعلا بين هذين العاملين، ففي هذا القول يضيف بعدا رابعا في سيرورة الدليل (السيميوزيس) وهو البعد السلوكي باعتبار العلاقة الجوهرية بين المعنى والسلوك، وفي هذا الصدد يقول "موريس" : « فإذا سلمنا بأنه لا توجد معاني دون إشارات (علامات)، فإنه سينتج عن وجهة النظر القائلة بأنه توجد علاقة جوهرية بين المعنى والفعل (السلوك) [*]، تطوير العلاقة ذاتها كنظرية فعلية أو سلوكية » [4]، وبهذا فإن سيرورة الدليل Semiotic تحتوي في نظره على أربعة عناصر هي:

1/ العنصر الذي يقوم مقام الدليل أو الناقل (Porteur).

2/ العنصر الذي تتم إحالة الدليل عليه أو (المدلول عليه).

3/ عنصر الأثر (effete) الذي يحصل لدى المرسل إليه والذي يبدو له وكأنه الدليل أو المؤول.

4/ المؤول (Interprète) [5].

ولتوليد الدلالة ووضع العلامة، أي تحقيق التواصل في الواقع يفترض ثلاثة توجهات للبحث النظري، وذلك بالبحث عن العلاقات البينية القائمة بين العلامات فيما بينها، وهذا يمثل البعد التركيبي، ثم الاجتهاد في البحث عن العلاقات القائمة بين الأدلة والموضوعات، وهو ما يسمى بالبعد الدلالي، وشرح ما يحدث عندما يستخدم المتخاطبون العلامات، وهذه خاصية اللسانيات التداولية،

[1] فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص42.

[2] المرجع نفسه، ص(43-44).

[3] الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 10.

[*] لفظ السلوك ليس فيه إشارة إلى المدرسة السلوكية، وإنما هو مرادف استعمله موريس للفعل والتصرف.

[4] تشارلز موريس، رواد الفلسفة الأمريكية، ترجمة: إبراهيم مصطفى إبراهيم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية – مصر- (د.ط)، 1996، ص 30.

[5] الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص(10-11).

وهذه الاتجاهات الثلاثة متداخلة فيما بينها، لأن الدراسة التداولية تفترض مسبقا كلا من الدراسة التركيبية والدلالية.

وما يلاحظ على تصور "موريس" للدليل تركيزه على السلوك أو الفعل، وهذا ما يعطيه البعد التداولي، ذلك أنه قدم تعريفا للتداولية يعد أول حد معروف لها بأنها (قسم من الدلائلية يعنى بالصلة القائمة بين العلامة ومستعمليها) [1].

وحسب "أمبرتو إيكو" U. Eco أن في محاولة "موريس" (تأسيس نظرية العلامات) يؤكد على أن الشيء ليس علامة إلا إذا أوّله أحدهم على أنه علامة على شيء ما، « وأن السيميائية لا تهتم – إذن– بنوع معين من الأشياء، بل بأشياء عادية عندما تساهم في عملية توليد الدلالة » [2].

كما ساهم الانتقال من البنيوية إلى السيميائية والبحث عن المعنى خارج البنى والتراكيب وظهور نظريات التلقي والقراءة في تراجع التيار البنيوي، وظهور لسانيات ما بعد البنيوية (التداولية)، وتحولت فيما بعد الدراسة من لسانيات الجملة إلى لسانيات الخطاب، وربط النص بظروفه المقامية، وسياقه الفني، لأن الجهل بالسياق الأدبي الخاص بالنص يسبب أخطاء فادحة في التفسير [3]، وبهذا ربط "الغذامي" الشفرة بالسياق في عملية التحليل، وهذا ما يقتضيه علم النص الذي أظهر " فان دايك " F. Dick مهمته، فهو يرى أن مهمة علم النص، هي أن يصف الجوانب المختلفة لأشكال الاستعمال اللغوي وأشكال الاتصال، ويصححها، كما تحلل في العلوم المختلفة في ترابطها الداخلي والخارجي [4].

وما يضاف إلى الأصول اللسانية الممهدة إلى تشكيل المعرفة التداولية جهود اللسانيات الوظيفية، وما قدمه الشكلانيون بأبحاثهم في الإنشائية، وأعلام براغ، والمدرسة النسقية، الذين عنوا بالوظيفة انطلاقا من مبدأ التواصل.فقد ركز الوظيفيون على البعد التواصلي المتميز بالحركية والتفاعل،كما يظهره نموذج "جاكبسون"، عندما قدم العناصر الستة التي يستند إليها الخطاب الألسني وهي: المرسل، والمرسل إليه، والرسالة، والسياق، والسنن، والقناة (الصلة) [5]، والتي منها صاغ وظائف الكلام التي يولدها كل عنصر من العناصر السابقة.

---

[1] فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص 45.

[2] أمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، ترجمة: أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت – لبنان– ط1، نوفمبر 2005، ص 47.

[3] الغذامي عبد الله، الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية،، دار سعاد الصباح - الكويت - ط3، 1993، ص26.

[4] فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري، القاهرة – مصر– ط 1، 2001، ص 11.

[5] المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب نحو بديل ألسني في النقد الأدبي، الدار العربية للكتاب – تونس– (د.ط)، 1977، ص 53 وما بعدها. بعدها.

وكذلك دور المدرسة النسقية بلندن التي عملت على تكريس المنحى الوظيفي، الذي ظهر في أعمال حلقة براغ، ليؤكد هذا الاتجاه على أهمية السياق الاجتماعي في دراسة اللغة، ورأوا أن اللغة « عبارة عن وسيلة اتصال يستخدمها أفراد المجتمع للتوصل إلى أغراضهم » [1]، وهذا ما أكده "فيرث" Firth الذي يمكن أن توجز نظريته في كونها تنظر إلى المعنى على أنه وظيفة في سياق [2]،

وما دامت هذه المدرسة تركز على البعد التواصلي، فقد أعطت أهمية بالغة للسياق ومتعلقاته،كمنتج النص، ومتلقيه، والبعد الثقافي، والمقاصد، والأهداف، والتي يمكن أن نصطلح عليها بالمقاميات Pragmatics ليغدو النص بهذه المواصفات حدثا اتصاليا [3].

وحسب المقاربة الوظيفية، فإن اللغة أداة تسخر لتحقيق التواصل داخل المجتمعات البشرية، لتحقيق أغراض متعددة، كالتعبير عن الفكر والأحاسيس والمعتقدات والتأثير في الغير أو ترغيبه أو تنفيره... [4].

وفي ضوء هذه المفاهيم فإن النحو الوظيفي يسعى إلى أن يكوّن نظرية لسانية تصف اللغات الطبيعية من وجهة نظر وظيفية، معتمدة على ربط الجانب البنيوي (التركيب، الدلالة، الصوت) بظروف التواصل المحددة لبنية اللغة [5]، وبهذا المعطى تجاوزت اللسانيات الوظيفية النص بعده موضوعا موضوعا للدرس اللغوي إلى الاعتداد بالسياق الفعلي والطبقات المقامية، وجعل الخطاب موضوعا للدرس اللساني الجديد.

وخلاصة الخلفية الفكرية والمرجعية، أن الدرس التداولي غني بروافده، بداية بفلسفة اللغة، مع رواد الفلسفة التحليلية "فريجة" ، "هوسرل" و"فيتغنشتاين"، ومن تأثروا بهم من رواد السيميائية " بيرس" ، "موريس"، ثم العلوم المعرفية (علم النفس و اللسانيات و فلسفة الفعل و الذكاء الاصطناعي)، إذ برزت مناهضة للتيار السلوكي الموغل في التجريبية، والمعتمد على منوال مثير/ استجابة (الآلية) في تعليم اللغة، ولكن النشأة الفعلية للتداولية تعزى إلى فيلسوف أكسفورد "جون أوستين" عندما ألقى

[1] جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر – (د.ط)، 1998، ص 67.

[2] محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد – ليبيا – ط1، 2004، ص 78.

[3] جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص67.

[4] المتوكل أحمد، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والامتداد، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط– المغرب– ط1، 2006، ص (20–21).

[5] المتوكل أحمد، الوظائف التداولية في اللغة العربية، الشركة الجديدة دار الثقافة، الدار البيضاء – المغرب– ط1، 1985 ، ص (10–11).

محاضراته في جامعة هارفارد ضمن محاضرات "وليام جيمس" W. James [1] وهذا من خلال أعماله التي نهضت بنظرية تعد قطب الرحى للسانيات التداولية، وهي نظرية أفعال الكلام، وكان من نتيجة هذا التداخل، اتساع مجالات التداولية وتنوعها، أن أصبح من العسير الاتفاق على ترجمة يتفق عليها كل اللسانيين، فقد اختلفت ترجمة مصطلح Pragmatics بين الذرائعية والبرجماتية والنفعية والوظائفية والسياقية وعلم التخاطب والتداولية ...الخ. وبين هذه التعبيرات فروق لا تسمح باستعمالها مترادفة، وسبب ذلك يرجع إلى تنوع مصادر المعرفة، إذ عدت ملتقى لمصادر أفكار وتأملات مختلفة يصعب حصرها، وكذلك عدم استقرار مفهوم التداولية نفسه وموضوعها في تيار واحد.

أما تعريف التداولية بأنها المصطلح العربي الموافق لـ Pragmatics فيرجع الفضل فيه للفيلسوف المغربي "طه عبد الرحمن" منذ سنة 1970، هذا الاصطلاح الذي حظي بالإجماع والتداول [2]، وهذا ما نجده في مؤلفات"أحمد المتوكل" التي اهتمت بالبحث التداولي من خلال تناوله لوظائف اللغة، وكذلك "الجيلالي دلاش" الذي وصفه بالخفة والسلاسة، وفي هذا يقول "محمد يحياتن" في مترجمه مدخل إلى اللسانيات التداولية: «وآثرنا اللفظ الذي وضعه زملاؤنا بالمغرب الشقيق ألا وهو (اللسانيات التداولية) لخفته وسلاسته» [3]، أما "عبد الملك مرتاض" آثر مصطلح التداول بدلا من التداولية دون لاحقة (يّة) [4].

وبهذا العرض الموجز لبعض الاصطلاحات العربية للفظ Pragmatics يمكن الوقوف على ترجمته بالتداولية باعتبارها المصطلح الأكثر شيوعا وتداولا عند اللسانيين العرب.

اكتست التداولية عددا من المفاهيم تبعا لمجال الباحث نفسه، فمنهم من يعرفها استنادا على دراسة المعنى في سياق التواصل، وآخر يربط تعريفاتها بحقل نشأتها أو بموضوعها أو بوظيفتها أو بحقل التواصل أو بعلاقتها بالعلوم الأخرى، فمجال التداولية واسع ومتشعب، فهناك تداولية اللسانيين، وتداولية البلاغيين، وتداولية المناطقة، والفلاسفة ...الخ، هذا ما يجعل عملية حصره ليست بالأمر اليسير [5].

وفي هذا الإطار يمكن عرض أهم مفاهيم التداولية المتعددة:

---

[1] آن روبل و جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل،ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة، بيروت – لبنان– ط1، 2003، ص (27-28).

[2] إدريس مقبول، الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، ص262.

[3] الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 1،ضمن مقدمة المترجم.

[4] مرتاض عبد المالك ، نظرية النص الأدبي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع – الجزائر – (د.ط)، 2007، ص 398.

[5] إدريس مقبول، الأسس الإبستمولوجية و التداولية للنظر النحوي عند سيبويه، ص263.

ولتكن البداية بتعريف " موريس" الذي يقول: «إن التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات».

وتعني عند "ماري دير" M. Diller و"فرانسوا ريكاناتي" F. Recanati: « دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية» [1].

أما "فرنسواز أرمينكو"، فهي ترى أن كل هذه المفاهيم تدمج تحت ريشة "فرانسيس جاك" Francis Jacques القائل: « أن التداولية تتطرق إلى اللغة كظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية معا » [2].

أما في تصور رائد التداولية "أوستين" فهي: « جزء من علم أعم هو دراسة التعامل اللغوي من حيث هو جزء من التعامل الاجتماعي» ، وفي هذا السياق ينتقل باللغة من مستواها اللغوي إلى المستوى الاجتماعي، في دائرة التأثير والتأثر [3].

ومن هذه المفاهيم المستقاة من مختلف مراجع اللسانيات التداولية ومصادرها، يسجل أنها ترجع في جميعها إلى تعريف "موريس" متفقة على أن اللغة تتسم بطابعها الاجتماعي، يمارسها أفراد المجتمع وفق معطيات سياقية وطبقات مقامية ينجز ضمنها الخطاب.

فالتداولية حقل لساني يهتم بالبعد الاستعمالي أو الإنجازي للكلام، ويأخذ بعين الاعتبار المتكلم والسياق، إلا أن ما ينبغي التأكيد عليه هو أن هذا الاهتمام ليس موحدا لتوزعه على مجالات تداولية مختلفة، سيتم عرضها تماشيا مع تصنيفات وأقسام التداولية في مراحل تطورها.

ونظرا لصعوبة حصر روافد الدرس التداولي في اللسانيات الحديثة أو العلوم الأخرى، برزت بعض الجهود التي قامت بتصنيفها، وذكر أشكال تطورها، أبرزها تصور "هانسون" Hanson الذي يهدف إلى توحيد أجزائها وفق درجة تعقد السياق، فميز بين ثلاث درجات للتداولية وهي:

1/ تداولية الدرجة الأولى: ومن مباحثها تناول الرموز الإشارية (التعابير المبهمة) ضمن ظروف استعمالها معتمدة على السياق الوجودي والإحالي، وهو المخاطبون، ومحددات الفضاء والزمن، وتتجسد مع أعمال "برتراند رسل"، و "بارهييل" Barhil في معالجة الرموز الإشارية.

---

[1] المرجع السابق، نفس الصفحة.

[2] فرنسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 8.

[3] راضية خفيف بوبكري، التداولية وتحليل الخطاب الأدبي مقاربة نظرية، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب، دمشق – سوريا– العدد 399، تموز 2004، ص56.

2/ تداولية الدرجة الثانية: و يتعين في دراستها مدى ارتباط الموضوع المعبر عنه بملفوظه، وتناول ما يبلغه المتكلم من مقاصد في الملفوظ، ويدخل في هذا المقام السياق المتعارف عليه من طرف المتخاطبين كحدس، وفي هذه الدرجة يأتي السياق لرفع اللبس عن التراكيب، واهتمت هذه التداولية بقضايا مختلفة أهمها التمييز بين المعنى الحرفي والمعنى السياقي من وجهة نظر "سيرل"، والمعنى الحرفي والمعنى الموضوعي من وجهة نظر "ديكرو" Ducrot، ومبدأ التعاون لدى "غرايس"، وكذلك الاقتضاء ومتضمنات القول.

3/ تداولية الدرجة الثالثة: وتتمثل في نظرية أفعال الكلام التي قدمها "أوستين" وطورها تلميذه "سيرل"، والفعل لا يتحدد إلا في ضوء السياق الذي يحدد فيما إذا تم التلفظ الجاد أو الدعابة، أو فيما إذا سقنا مثالا يشكل تنبيها أو إعطاء أمر [1]، فمن هنا يبرز مفهوم السياق غنيا جدا، فرفع الإبهامات يقتضي الاندماج في الكفاءة الثقافية والفردية، وضمن هذه التداولية أشكالا عدة من التداوليات.

والتداولية كدرس لساني جديد يقع في مفترق طرق لعدة علوم لها صلة باللغة، إذ تتقاطع معها وهي لا تنضوي تحت أي منها إلا أنها تتداخل معها في بعض جوانب بحثها ومن أهمها:

علم الدلالة [*] الذي يصعب فصله عنها، لأن المحتوى الدلالي للجملة لا يستقل عموما عن علاقته بالمتكلم ومقاصده، وعن السامع والمقام الذي يساق فيه الكلام من جهة، ومن جهة أخرى فالتداولية لا تهمل العناصر اللغوية (المعجمية والقواعدية) التي تعد من صميم علم الدلالة ومباحثه، ولعل ما يميز بينهما ليس دراسة المعنى، لأن كليهما وراء تحصيله ودراسته، وإنما يكمن الفرق بينهما أن علم الدلالة يتناول المعنى قبل تحققه سياقيا في مقام التخاطب، أما التداولية تتناول المعنى بعد أن يصير قصدا فعليا تبعا لظروف المتكلم، ومن خلال هذا التفريق أصبح واضحا التمييز بين دلالة الجملة، وهي المعنى المستنبط من المواصفات المعجمية والقواعدية. رغم هذا التداخل فإن "موريس" استطاع أن يقدم مقابلة ميز من خلالها بين ثلاثة مجالات في دراسة اللغة:

1/ المجال النحوي التركيبي: ويتناول علاقة العلامات بعضها ببعض، أي مدى توافر القوانين التي تضبط علاقة الألفاظ حتى تشكل تركيبا سليما مقبولا لدى مستخدمي اللغة.

[1] فرنسواز أرمينكو، المقاربة التداولية ص (38-51).

[*] علم الدلالة هو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى. ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة – مصر– ط 5، 1998، ص 11.

2/ المجال الدلالي: ويدرس علاقة الجمل بالأشياء التي تدل عليها في إطار سياق اللغة بعيدة عن سياق الاستعمال، ويرى "هنريش بليث" H. Plett أن المعنى المتوصل إليه من خلال هذا المستوى يحمل نوعا من المغالطة والخطل في حال غياب المرجع وانقطاع الإحالة وظهور المجاز، خاصة إن كان الخطاب موغلا في الأدبية [1].

3/ المجال التداولي: ويتناول علاقة الجمل بالمتلفظين بها أو المؤولين لها، أي دراسة علاقة العلامات باستعمالاتها و مقاماتها، وهنا يتجاوز المجال التداولي المجال الدلالي عندما عني بالاستعمال الفعلي للكلام بين المتخاطبين.

وفي تصنيف علماء اللغة لثنائية القدرة والأداء ذكر "جون لاينز" J. Laines أنهم يصنفون علم الدلالة ضمن القدرة (معرفة اللغة)، ويصنفون التداولية ضمن الأداء أو الإنجاز (استخدام اللغة) [2]، ومن خلال هذه الثنائية أصبح شائعا عند علماء اللغة، إمكانية دراسة المعاني على مستويين مختلفين:

– مستوى المعنى قبل تحققه سياقيا في مقام التخاطب، وهو ما يتناوله علم الدلالة.

– مستوى المعنى بعد تحققه سياقيا، أي بعد أن يصير المعنى قصدا فعليا للمتكلم تبعا للظروف، وهو ما تتناوله التداولية، فهذا التفريق أظهر تمييزا منهجيا بين دلالة الجملة، وهي المعنى المستنبط من المواضعات اللغوية (المعجمية والقواعدية)، ودلالة القولة، وهي المعنى الحاصل نتيجة التفاعل بين متطلبات المواضعات اللغوية، ومقتضيات الحال وطبقات مقام التخاطب[3].

فدلالة الجملة من خلال ما تقدم تعني الوضع، أما دلالة القولة تعني الوضع والاستعمال، لهذا كانت التداولية تنطلق من الوضع اللغوي تماشيا مع مقتضيات الاستعمال.

وكذلك اشتراكها مع علم اللغة الاجتماعي Sociolinguistiques في تبيين أثر العلاقات الاجتماعية بين مستخدمي اللغة في الكلام والتفاعل ومرتبة كل من المتكلم والسامع وجنسه، وأثر السياق الخارجي غير اللغوي، وبهذا يتجاوز أصحاب هذا الاتجاه دراسة اللسان دراسة بنيوية أبعدت المكون الاجتماعي في اللغة، إلى تناول اللسان وفقا لمعايير نظرية أفعال الكلام، ليظهر التداخل بين التداولية واللسانيات الاجتماعية، وذلك من خلال دراسة الألسنة في علاقاتها بالمجتمعات التي

[1] هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية ، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص ، ترجمة: محمد العمري أفريقيا الشرق المغرب 1999 ص : 22

[2] جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة: عباس صادق الوهاب، مراجعة: يوئيل عزيز، سلسلة المائة كتاب، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد – العراق– ط 1، 1987، ص32.

[3] محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، ط2، 2007، ص (8-9).

تستعملها [1]، وفي علاقة الفرد بمجتمعه، يقول الفيلسوف "جورج جيرفيتش" G . Gurvitch في كتابه (الاتجاه الراهن لعلم الاجتماع): « وجب النظر إلى مناقشة العلاقة بين الفرد والمجتمع كما لو كانت منتهية، وإنه لا يمكن النظر إلى الفرد أو المجتمع كما لو كان كل منهما كائنا قائما بذاته، ومستقلا عن الآخر»[2].

فالقول يبدي مدى تلاحم الفرد الفاعل مع مجتمعه وهذا يعد من صميم النظرية التداولية التي تهتم بالتخاطب في ظروف السياق الاجتماعي المختلفة.

وكذا يظهر تداخلها مع علم اللغة النفسي (Psycholinguistiques): في الاهتمام بقدرات المتخاطبين التي لها الأثر الكبير في أدائهم، كحدة الانتباه، وقوة الذاكرة، والذكاء، والطبع[3]، وكل ما ينعكس على شخصية الفرد المتفاعل مع محيطه، وكل هذه المؤهلات عبارة عن قدرات يتمتع بها الفرد وتؤهله إلى حسن التواصل مع غيره.

أما تحليل الخطاب Discoures Analysais فيشترك معها في الاهتمام بتحليل الحوار القائم بين مستخدمي اللغة، ويتقاسمان كذلك نفس المنطلقات الفلسفية القائمة على تحليل اللغة، بالوقوف على طرق توزيع المعلومات في الجمل والنصوص، والوقوف على العناصر الإشارية والمبادئ الحوارية المسؤولة على وضوح ونجاح العملية التبليغية [4].

وبعد تصفح بعض مراجع مدونة اللسانيات التداولية، نقف على أهم القضايا والموضوعات التي يراها أعلام التداولية جوهر الدرس التداولي، وهي: أفعال الكلام، والملفوظية، والحجاج، والتفاعلية والسياق، والمقصدية، والوظائف التداولية.

أ) **أفعال الكلام** Les Actes de Langage: نشأت فكرة أفعال الكلام في أحضان فلسفة اللغة، في طور نشأة التداولية وتطورها، والتي ترى أن « الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط، بل إنجاز حدث اجتماعي معين أيضا في الوقت نفسه » [5].

---

[1] فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص26.

[2] إميل بريه، اتجاهات الفلسفة المعاصرة، ترجمة: محمود قاسم، مراجعة:محمد محمد القصاص، منشورات دار الكشاف للنشر والتوزيع، الألف كتاب، – 10– مصر– (د.ط)، 1997، ص 61.

[3] بوجادي خليفة ، اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، العلمة – الجزائر– ط1، 2009، ص32.

[4] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية – مصر– (د.ط)، 2002، ص 11.

[5] فان دايك، علم النص، ص 18.

وبعدما كانت الفلسفة الوضعانية المنطقية ترى أن اللغة وسيلة لوصف الوقائع الموجودة في العالم الخارجي بعبارات إخبارية يحكم عليها بمعيار الصدق إذا طابقت الواقع، وبالكذب إذا لم تطابقه [1]. وجوهر الخبر عند هؤلاء الفلاسفة لا يقبل إلا إذا خضع لمعيار الصدق أو الكذب، والوظيفة الأساسية للغة هي وصف حالات العالم وإثباتها.

أ . 1 أفعال الكلام عند أوستين: تصدى " أوستين" لفكرة أن اللغة مهمتها وصف وقائع العالم، وأطلق عليها مصطلح المغالطة الوصفية [2]، ويمكن تلخيص فكرته في نقطتين:

- الأولى: تتمثل في رفضه ثنائية الصدق والكذب.
- الثانية: تتمثل في إقراره بأن كل قول عبارة عن فعل[3].

ليميز بين نوعين من العبارات، فالأولى عبارات تخبر عن وقائع العالم الخارجي، ويمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، والثانية تنجز بها أفعالا وهي لا تخضع لهذا المعيار ، وبهذا يمكن القول بأن "أوستين" وضع نظرية الأفعال الكلامية.

فنظرية أفعال الكلام تؤكد أن كل منطوق يخفي في طياته بعدا كلاميا؛ أي الفعل الناتج من القول، فمثلا عندما نصدر أمرا فنحن لم نتحدث بصيغة تضمنت أمرا فحسب بل تم إصدار الأمر وهنا يصبح القول فعلا.

وقد ميز "أوستين" بين نوعين من أفعال الكلام:

1/ أفعال إخبارية: وهي أفعال تخبر عن وقائع العالم وتكون خاضعة لمعيار الصدق أو الكذب، وهي عبارة عن جمل إثباتية أو تقريرية يمكن الحكم عليها بأنها صادقة أو كاذبة، فصدقها يثبت بمدى تحقق الوضع الذي تصفه فعلا في الكون، وكذبها بخلاف ذلك[4]، فجملة من قبيل: الجزائر دولة إفريقية، تمثل فعلا إخباريا يتأكد صدقه من خلال مطابقته للواقع، أما جملة: ملك فرنسا أصلع، فهي تمثل فعلا إخباريا كاذبا، لأنه مخالف لواقع فرنسا التي لها رئيس لا ملك. ليؤكد بأن هناك جملا لا يجري عليها هذا المعيار وأطلق عليها اسم الأفعال الإنجازية.

---

[1] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 42.

[2] المرجع نفسه ، ص 43.

[3] الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 22.

[4] آن روبل، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 30

2/ أفعال أدائية إنجازية (إنشائية): وهي أفعال لا تصف الواقع بل تعمل على تغييره [*]. ولاحظ "أوستين" أن الكثير من الجمل (غير الاستفهامية أو التعجبية أو الأمرية) [*] لا تصف العالم ولا يحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب، بل يتم الحكم عليها بمعيار التوفيق أو الإخفاق، وهذه الجمل الإنشائية لها خصائصها التي تميزها عن الجمل الخبرية (الوصفية) من ذلك أنها تستند إلى ضمير المتكلم في زمن الحال، وتتضمن فعلا من قبيل (أمر) و(وعد) و(أقسم) و(عمّد) يفيد معناه على وجه الدقة إنجاز عمل [1].

وقد لاحظ "أوستين" أن هناك ألفاظا محيرة مما يدرج في الجمل الوصفية لا تستخدم لتخبر عن الواقع بل تستعمل لتدل وتنبه على الظروف والملابسات التي وقع فيها حكم مضمون الجملة . [2]

وبهذا أدرك "أوستين" أن التمييز بين الأفعال الإخبارية والأدائية ليس بالبساطة التي ظنها، إذ رأى بأن كثيرا من الأفعال الإخبارية تقوم بوظيفة الأفعال الأدائية، وأن كثيرا مما تنطبق عليه شروط الأفعال الأدائية ليس منها، ليرجع عودا على بدءٍ إلى السؤال «كيف ننجز فعلا حين ننطق قولا؟ [3]» ففي قول القائل: « أنا عطشان » فحقيقة المنطوق فعل إخباري، لكنه أدى وظيفة الأفعال الأدائية، لأنه أدى معنى الطلب، فبدلا من أن يقول: « ناولني كوب ماء »، قال: « أنا عطشان ».

وفي محاولته للإجابة عن السؤال رأى أن الفعل الكلامي الكامل مركب من ثلاثة أفعال فرعية على النحو الآتي:

1/ فعل القول: وهو العمل الذي يتحقق ما إن نتلفظ بشيء ما، أو بعبارة أخرى إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة، ففعل القول مكون من المستويات اللسانية المعهودة (المستوى الصوتي، المستوى التركيبي، المستوى الدلالي)، والتي يسميها "أوستين" أفعالا.

2/ الفعل المتضمن في القول: وهو العمل الذي يتحقق بقولنا شيئا ما، ويسمى بالقوة الإنجازية، كأن يكون سؤالا، أو إصدار تأكيد، أو تحذير، أو وعد أو أمر ... إلخ.

---

[*] اعتبر موريس " أن بنية اللغة وبنية الفكر شيء واحد، ومن ثم فاللغة ليست أداة أو وسيلة للتخاطب والتفاهم والتواصل فحسب، وإنما هي وسيلتنا للتأثير في العالم وتغيير السلوك الإنساني من خلال مواقف كلية " جون لانكشو أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ص 7.

[*] لا يصدق هذا الحصر للأساليب الإنشائية (الاستفهام والتعجب والأمر) على اللغة العربية، إذ يتسع المجال إلى ضروب أخرى من الإنشاء الطلبي وغير الطلبي مثل القسم النهي النداء ...

[1] آن روبل وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص(30-31).

[2] جون لانكشو أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء- المغرب- ط2، 2008، ص 14.

[3] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 45.

3/ الفعل الناتج عن القول (الفعل التأثيري): وهو العمل الذي يتحقق نتيجة قولنا شيئا ما، وهو فعل ثالث يقوم به المتكلم ويتسبب في نشوء آثار في المشاعر والفكر، كالإقناع، الإرشاد، العتاب ...

وبناء على ذلك فالفعل الكلامي له ثلاثة خصائص:

1/ إنه فعل دال.

2/ إنه فعل إنجازي (أي ينجز الأشياء والأفعال الاجتماعية بالكلمات).

3/ إنه فعل تأثيري (أي يترك آثار معينة في الواقع خصوصا عندما يكون الفعل موفقا) [1].

وجّه "أوستين" اهتمامه بالفعل الإنجازي حتى غدت نظرية أفعال الكلام تسمى باسمه أحيانا (النظرية الإنجازية)، ليقدم تصنيفا خماسيا للأفعال على أساس قوتها الإنجازية، ولم يخف عدم رضاه عن التصنيف، وهو كما يلي:

1/ أفعال الأحكام (الإقرارية): في نحو حكم يصدره قاض أو مسؤول ...

2/ أفعال القرارات (التمرسية): وتتمثل في اتخاذ قرار بعينه كالطرد والإذن والتعيين.

3/ أفعال التعهد (التكليفية): تعهد المتكلم بفعل شيء كالوعد والضمان والتعاقد والنذر ...

4/ أفعال السلوك (الإخبارية): وتتمثل في ردود أفعال لأحداث ما كالاعتذار، والشكر ...

5/ أفعال الإيضاح: وتستخدم لإيضاح وجهة النظر، أو بيان الرأي، مثل: الاعتراض، والإنكار، والموافقة، والتصويت ... [2].

ليأتي بعده "سيرل" ليُحكم وضع الأسس المنهجية التي تقوم عليها نظرية الأفعال الكلامية.

أ. 2 أفعال الكلام عند جون سيرل: يمكن عرض ما جاء به "سيرل" على النحو الآتي:

أولا: أكد "سيرل" على أن الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي وأن للقوة الإنجازية دليلا يسمى (دليل القوة الإنجازية) يبين لنا أن الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم بنطقه بجملة معينة يكون باستعماله لصيغة معينة لها دلالتها الخاصة، كعلامات الترقيم، والتنغيم، والوعد، والأمر...

ثانيا: الفعل الكلامي ليس رهين قصد المتكلم وإنما هو مرتبط بالعرف اللغوي والاجتماعي.

ثالثا: طوّر "سيرل" شروط الملائمة وجعلها أربعة، وهي:

1/ شرط المحتوى القضوي: ويتحقق في فعل الوعد الذي يلزم به المتكلم نفسه في المستقبل.

2/ الشرط التمهيدي: ويتحقق بقدرة المخاطب على إنجاز الفعل.

---

[1] صحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ص(41-42-43).

[2] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 46.

3/ شرط الإخلاص: ويتحقق حين يكون المتكلم مخلصا في أداء الفعل، فلا يقول غير ما يعتقد، ولا يزعم أنه قادر على فعل ما لا يستطيع.

4/ الشرط الأساسي: ويتحقق بمحاولة تأثير المتكلم على السامع لينجز الفعل[1].

رابعا: قدم "سيرل" تصنيفا بديلا لما قدمه "أوستين" قائما على ثلاثة أسس منهجية وهي:

– الغرض الإنجازي – اتجاه المطابقة [*] – شرط الإخلاص.

وقد جعل الأفعال الكلامية خمسة أصناف مثل "أوستين" وهي:

1/ أفعال الإثبات (الإخباريات): والغرض الإنجازي فيها جعل المتكلم مسؤولا عن وجود وضع للأشياء، وأفعال هذا الصنف كلها تحتمل الصدق أو الكذب، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم، وشرط الإخلاص فيها يتمثل في النقل الأمين للواقعة والتعبير الصادق عنها وتشمل التأكيد، والوصف ...

2/ أفعال التوجيه (التوجيهيات): وغرضها الإنجازي حمل الشخص على القيام بفعل معين، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات وشرط الإخلاص فيها يتمثل في الرغبة الصادقة وتشمل الأمر والنهي والطلب ...

3/ أفعال الوعد (الالتزاميات): وغرضها الإنجازي التزام المتكلم بالقيام بشيء في المستقبل، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص هو القصد، وتشمل الوعد والوصية ...

4/ التعبيريات: وغرضها الإنجازي هو التعبير عن حالة نفسية، وليس لهذا الصنف من الأفعال اتجاه مطابقة (لا توجد علاقة هنا بين الكلمات والعالم) وشرط الإخلاص فيها هو الصدق، وتشمل، والاعتذار والمواساة .

5/ الإعلانيات: والغرض الإنجازي فيها إحداث تغيير عن طريق الإعلان، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم ومن العالم إلى الكلمات، ولا تحتاج إلى شرط إخلاص وتشمل: الإعلام، والإخبار، والإعلان[2]..

---

[1] المرجع السابق، ص (47-48).

[*] المقصود بمفهوم مطابقة الكلمات للعالم أو العالم للكلمات يلخصه سيرل في الآتي : " لنتصور أن رجلا ذهب إلى السوق و في يده قائمة الحاجيات التي حضرتها له زوجته ، أثناء عملية اقتناء تلك الحاجيات ، تبعه حارس يكتب كل ما اشتراه ، و في خارج السوق ، لدى كل رجل قائمة المشتريات ... فقائمة المشتري الهدف منها هو جعل العالم مطابقا للكلمات، وفي حال الحارس الكلمات مطابقة للعالم ". ينظر: بلخير عمر، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف ، الجزائر العاصمة – الجزائر– ط 1، 2003، ص 161.

[2] محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص (49-50).

وفي تمييزه بين الأفعال الإنجازية أشار "سيرل" إلى اثني عشر بعدا يختلف فيها كل فعل إنجازي عن الآخر، يمكن ذكر أهمها:

1/ الاختلاف في الغرض الإنجازي: يبين أن الغرض من الأمر مثلا هو التأثير في السامع وحمله للأمتثال بفعل ما ، في حين أن الغرض الإنجازي مثلا إلزام المتكلم نفسه بفعل شيء ما للمخاطب في المستقبل.

2/ الاختلاف في اتجاه المطابقة: في بعض الأفعال الانجازية يكون اتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات كالوعد والرجاء وفي بعضها الآخر من الكلمات إلى العالم كالإخباريات.

3/ الاختلاف في الموقف النفسي الذي يعبر عنه المتكلم: فالذي يعد أو يتوعد يعبر عن مقصديته والذي يعتذر يعبر عن ندمه والذي يأمر أو ينهى يعبر عن رغبته[1].

4/ الاختلاف في القوة أو الدرجة التي يعرض بها الغرض الإنجازي: ففرق بين قولك: أنا جائع، وإني لجائع، ففي عرض الغاية الكلامية هناك فرق في الشدة والقوة بين المثالين كان دعامتها التوكيد بـ: إن واللام المزحلقة الواقعة في خبر (إن) ومثل هذا يدخل في أضرب الجملة الخبرية.

تجدر الإشارة إلى أن "أوستين" وسيرل قد اختلفا في مصدر قوة المنطوق الإنجازية، ف "أوستين" يرى أن قوة المنطوق الإنجازية تحقيق لمقصد المتكلم تحقيقا ناجحا، أما "سيرل" يرى أن القوة حاصل تفسير المستمع للمنطوق[2].

5/ الاختلاف بين وضع المتكلم والسامع: ويظهر ذلك في الوضعيات التي تكون فيها مكانة المتكلم أسمى من مكانة السامع، كأن تكون اجتماعية أو أخلاقية أو إدارية.

خامسا: تصنيف "سيرل" للأفعال الإنجازية:

إذا كان "أوستين" قد فرق بين الأفعال الإنجازية الصريحة والأولية، فإن "سيرل" ذهب إلى أكثر من ذلك وجاء بتصنيف أوسع عندما ميز بين الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة:

1/ الأفعال الإنجازية المباشرة: وهي التي تطابق قوتها الإنجازية قصد المتكلم، فيكون معنى ما ينطقه مطابقا لما يريد قوله، ويدخل هذا في معاني الكلمات التي تكون المنطوق وقواعد تأليفها (وضع اللغة).

[1] المرجع السابق، ص (75-76-77). وينظر: عمر بلخير ، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص (160- 161).

[2] محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة – مصر- ط 1، 2005، ص 288.

2/ الأفعال الإنجازية غير المباشرة: وهي التي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم، فالفعل الإنجازي يتحقق من خلال فعل إنجازي آخر، ففي المثال المشهور الذي قدمه "سيرل " :« هل يمكنك أن تناولني الملح ؟ » يبدو ظاهر المنطوق استفهاما، ولكن الدلالة لا تشير البتة إلى الاستفهام إنما تشير إلى الطلب (الالتماس) [1].

فـ "سيرل" يشير إلى ضرورة إحكام المتكلم لمنطوقه غير المباشر، حتى يحقق ما يريده من مستمعه، وذلك بمراعاة السياق، وطبيعة العلاقة بينهما.

ب – الحجاج Argumentation:

الحجاج أو ما يسمى بالبلاغة الجديدة، يحتل مكانة بارزة في التداولية، إذ أنه يمثل أحد أهم أركانها إلى جانب نظرية الأفعال اللغوية، هذه البلاغة الجديدة التي تهدف إلى دراسة التقنيات الخطابية، وتسعى إلى إثارة النفوس وإذعانها، وكسب العقول عبر عرض الحجج، والاهتمام أيضا بالشروط التي تسمح للحجاج بأن ينشأ في الخطاب ثم يتطور، كما أنها تعنى بفحص الآثار الناجمة عن ذلك التطور.

والحجاج بمعناه العادي يعني : طريقة عرض الحجج وتقديمها، ويستهدف التأثير في السامع على حد تعبير "أوزوالد ديكرو" O. Ducrot [2]، فـ"ديكرو" يركز على دور الحجاج في التأثير على المستمع، وبالتالي تظهر الغاية التداولية منه.

وقد عرفه "طه عبد الرحمن": « أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة، يحق له الاعتراض عليها »[3].

فغاية الحجاج في مفهوم "طه" من خلال هذا التعريف، هي إفهام المستمع، إلا أنه أغفل غرض الإقناع، الذي يمثل جوهر الحجاج وغاية التداولية.

أما "بيرلمان" berlman و"تيتيكا" tyteca : فهما « يدعيان أن إذعان العقول بالتصديق لما يطرحه المرسل أو العمل على زيادة الإذعان هو الغاية من كل حجاج، فأنجع حجة هي تلك التي تنجح في تقوية حدة الإذعان عند من يسمعها وبطريقة تدفعه إلى المبادرة سواء بالإقدام على العمل

[1] بلخير عمر ، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص 164.

[2] الحباشة صابر ، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق – سوريا– ط 1، 2008، ص(15-21) .

[3] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو (التكوثر العقلي)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب– ط1، 1998، ص 126.

أو الإحجام عنه، أو هي على الأقل ما تحقق الرغبة عند المرسل إليه في أن يقوم بالعمل في اللحظة الملائمة » [1].

ومن الملاحظ أن هذا التعريف الأخير يعد أكثر شمولا من سابقيه لجمعه بين شكل الحجاج وغايته الإقناعية.

هذا التعريف يولي الإقناع مكانته البارزة بأن جعل منه جوهر العملية الحجاجية، التي تستعمل في أسيقة متنوعة مثل الدعوة إلى الله أو الإقلاع عن المخدرات وطلب الحقوق وما إلى ذلك [2]، والغاية من الحجاج، فيما عرضه "بيرلمان" و"تيتيكا "، تتمثل في استمالة المتلقين، وإذعان عقولهم، والزيادة في درجة الإذعان بالاعتماد على كل وسائل الإقناع [3].

وقد قدم "ديكرو" تعريفا للحجاج بمفهومه الفني: « الذي يدل على صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب والمدرجة في اللسان، ضمن المحتويات الدلالية، والخاصية الأساسية للعلاقة الحجاجية أن تكون درجية أو قابلة للقياس بالدرجات، أي أن تكون واصلة بين سلالم»[4].

يفهم البعد التداولي الذي قدمه "ديكرو" للحجاج من خلال ذكر العلاقة بين التداولية المدمجة والحجاج، وقد أعطى "ديكرو" أولوية الحجاج على الإخبار، واعتبر أن التلفظ بقول ما يعني إنجاز عمل لا قولي (كالوعد والأمر)، وإنجاز عمل أثر القول (كالإقناع والتخويف)، ومن ثم ظهرت نظرية (اقتضاء المعنى واستلزامه) [5]، ليواصل "ديكرو" عمله في التداولية بعد أبحاث أعلامها البارزين.

وللحجاج تقنيات يمكن ذكرها في الآتي:

1/ الأدوات اللغوية الصرفة: مثل ألفاظ التعليل، والتركيب الشرطي، والأفعال اللغوية...

2/ الآليات البلاغية: مثل تقسيم الكل إلى أجزائه، والاستعارة، والبديع...

3/ الآليات شبه المنطقية: من خلال السلم الحجاجي، بآلياته اللغوية والتي منها الروابط الحجاجية (لكن حتى، فضلا عن، أدوات التوكيد)، ودرجات التوكيد، والإحصاءات، الصيغ المصرفية [6].

ج. التفاعل والسياق L'interaction et context:

[1] الشهري عبد الهادي بن ظافر ، استراتيجيات الخطاب،مقاربة تداولية، ص (456-457).

[2] المرجع نفسه، ص 457.

[3] المرجع نفسه، ص 477.

[4] صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، ص 21.

[5] المرجع نفسه ، ص 23.

[6] الشهري عبد الهادي بن ظافر ، استراتيجيات الخطاب، مقاربة تداولية، ص477.

ارتبط مفهوم التفاعل بنظرية الأفعال اللغوية، التي تهتم بالعمل والحدث، وقد فرق بينهما "فان دايك" في مؤلفه (علم النص)، باعتبار القصد فمتى ارتبط الفعل بنية الإنجاز (القصد)، كان حدثا كلاميا، أما إذا لم تقترن فكان عملا تقوم به الأعضاء آليا [1].

وقد عرّف "فان دايك" التفاعل بأنه: «سلسلة من الأحداث يكون فيها عدّة أشخاص هم المعنيون بوصفهم فاعلين » [2].

فمن خلال التعريف يؤكد "فان دايك" على غاية اللغة الاجتماعية، من خلال تحقيق التفاعل بين مستخدميها في الظروف السياقية والمقامية التي تكتنفهم.

فمن هذا المنظور يصبح كل ملفوظ أو مكتوب خاضع لمبدأ العلاقة بين المرسل والمتقبل ضمن صيرورة اجتماعية أساسها التفاعل بين مستخدمي اللغة.

وقد اعتبر المتوكل القدرة التواصلية قدرة شاملة لا تنفصل فيها القدرة النحوية (وضع اللغة) عن القدرة التداولية، وإنما هما عبارة عن قدرة تواصلية واحدة تدخل ضمنها عدة قدرات متضافرة لغوية ومنطقية ومعرفية واجتماعية تحيط بالحدث الكلامي التفاعلي، وفي هذا الصدد يقول: « لا تنحصر قدرة مستعملي اللغة الطبيعية في معرفة القواعد الصرفية التركيبية والصوتية والدلالية، بل تتعداها إلى معرفة القواعد التداولية، القواعد التي تمكن مستعمل اللغة الطبيعية من إنتاج وفهم عبارات لغوية سليمة في مواقف تواصلية معينة قصد تحقيق أغراض معينة» [3]، ومن هنا يظهر مصطلح السياق أو محيط الكلام، فاللغة – إذن– ليست مجرد إشارات واصطلاحات وأدلة، بل إنها الرصيد الثقافي والاجتماعي الذي يعين على فهم المعاني ضمن مواقعها.

وتعد دراسة السياق محل اهتمام القضايا التداولية، لأن تحليل المنطوقات يخضع إلى السياق، لذلك لم تكن أفعال الكلام والحجاج وقوانين الخطاب في معزل عن السياق الذي يعطي للمنطوقات معانيها.

وفي هذا المقام يدلي "جون لاينز" J. Lions : « إن الوحدات التي يتكون منها النص جملا كانت أم غير جمل ليست مجرد وحدات متصلة مع بعضها البعض في سلسلة، إنما ينبغي ربطها بطريقة مناسبة من حيث السياق ... » [4].

---

[1] فان . دايك، علم النص، ص 120 وما بعدها.

[2] المرجع نفسه، ص 128.

[3] المتوكل أحمد ، الوظيفية بين الكلية والنمطية، دار الأمان ،الرباط – المغرب– ط1، 2003، ص 19.

[4] جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، ص 219.

ف"لاينز" من خلال القول يبين أن الوحدات الكلامية، مهما كان نوعها، تتحدد من خلال الخطاب والسياق، فمن هنا يبرز التداخل بين التداولية والسياق، حتى ذهب الأمر بـ "ماكس بلاك" Max Black أن يسميها (بالسياقية) بعدها (علم الاستعمال اللساني ضمن السياق) [1].

ومما عرّف به السياق بأنه « ليس مجرد حالة تلفظ، وإنما هو على الأقل متوالية من أحوال اللفظ » [2]، يشير "فان دايك" إلى ظروف الاستخدام بكل عناصرها المشكلة لسياق الخطاب، والتي منها مستخدم اللغة (المتكلم والمخاطب)، والرسالة، والزمان، والمكان، ونوع الرسالة [3]، لأن هذه المعلومات تسهل على المتلقي فهم الرسالة.

د . الوظائف التداولية: Les Fonctions Pragmatiques

من أهم ما يتميز به الدرس التداولي تحديده لما يعرف بالوظائف التداولية، كونه تجاوز الوظيفة التواصلية إلى تعدد الوظائف، إذ أن اللغة في المنظور التداولي ليست وسيلة لوصف العالم فحسب، بل هي وسيلة للتأثير في السلوك الإنساني، ومن ثم إلى تغيير العالم باعتبار أن القولات أفعال.

وتعد أعمال "أحمد المتوكل" رائدة في تناول قضايا الوظائف التداولية وتطبيقها على اللغة العربية، متأثرا بـ "سيمون ديك" S . Dick من خلال نظرية النحو الوظيفي، والوظائف في النحو الوظيفي تتوزع على ثلاثة مستويات مستقلة، وهي الوظائف الدلالية (منفذ، متقبل، مستفيد، أداة)، ووظائف تركيبية (فاعل، مفعول)، ووظائف تداولية (محور، بؤرة / مبتدأ، ذيل) [4].

وفي معرض ذكره لأنساق التواصل لاحظ أن التواصل بوجه عام يقتضي وجود ثلاث بنى، بنية تداولية، وأخرى دلالية، وبنية مكونية، ويتم التواصل انطلاقا من البنية التداولية وانتهاءً بالبنية المكونية مرورا بالبنية الدلالية في حال الإنتاج، أما في حال التأويل فتأخذ اتجاها عكسيا[5].

فهذه الوظائف تتناول التراكيب في ظروف السياق وطبقات المقام المواتية لإنجاز فعل التواصل الناجح .

---

[1] فرنسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 11.

[2] فان . دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء –المغرب– (د.ط)، 2000، ص 258.

[3] خطابي محمد ، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي، بيروت– لبنان– ط1، 1991، ص 297.

[4] المتوكل أحمد ، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والامتداد، ص 91.

[5] المتوكل أحمد ، الوظيفة بين الكلية والنمطية، ص 25.

وقد جعل "المتوكل" الوظائف التداولية صنفان: داخلية وخارجية، فالوظائف التداولية الداخلية تستند إلى عناصر تنتمي إلى الجملة نفسها تضم وظيفتي (المحور والبؤرة)، أما الوظائف التداولية الخارجية لا ترتبط بعناصر الجملة، وهذه الوظائف ثلاث (المبتدأ، الذيل، المنادى) [1].

أما عن جوانب البحث فيها فيكاد يتفق الباحثون على أن البحث التداولي يقوم على دراسة أربعة جوانب وهي: الإشاريات، والافتراض المسبق، والاستلزام الحواري، وأفعال الكلام.

أ) **الإشاريات:** ما دامت اللغات الطبيعية مؤدية للوظيفة التواصلية المباشرة بين الأفراد، فهي ليست بمعزل عن معطيات السياق، وطبقات المقام التي تحكم الحديث، واللغة بدورها تحتوي على عناصر إشارية متنوعة، تظهر أهميتها في القولات عندما يغيب المشار إليه في الكلام، لهذا المعطى عجزت النظريات الدلالية الشكلية عن استنطاق تلك التراكيب التي باتت غامضة، ليظهر ما يسمى بعلم الدلالة المقامي، والتداولية. من أجل كشف تلك الإحالات من خلال تناول القولات في ظروف الاستعمال المعينة.

وحصر الباحثون الإشاريات في أنواع خمسة: وهي إشاريات شخصية، وإشاريات زمنية، وإشاريات مكانية، وإشاريات نصية، وإشاريات اجتماعية، وهي كالآتي:

أ . **1 الإشاريات الشخصية:** وهي ضمائر الحاضر الدالة على المتكلم (أنا، نحن) وضمائر المخاطب (أنت، أنتم) [2]، هذه الضمائر تعد ظاهرة نحوية عالمية، وهي من وسائل اختصار الكلام وقد ذهب "تنيار" Tenyar إلى « أنها أشبه ما تكون في وظيفتها بالمصباح تستمد ضوءها من المحتوى المعجمي للوحدات التي تحيل إليها » [3].

وهذه الإشاريات الشخصية تستعمل في الإستراتيجية التضامنية، ولها فوائد جمة في توطيد العلاقات الاجتماعية، فالضمير (نحن) عندما يساق في الكلام دليل على حضور الطرف الآخر، حتى لو كان غائبا عينيا، ليحقق التضامن بينه وبين المرسل إليه، أي بين (أنا وأنتم) في بنية الخطاب العميقة في نحو: «من يتحدث مع بني قومه، نحن أكرم الناس أحسابا (فالبينية العميقة) أنا وأنتم أكرم... »[4].

---

[1] المرجع السابق، ص 198. للإفادة ينظر: المتوكل أحمد ، الوظائف التداولية في اللغة العربية.

[2] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص(17–18).

[3] بوقرة نعمان ، مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، ص 47.

[4] الشهري عبد الهادي بن ظافر ، استراتيجيات تحليل الخطاب مقاربة تداولية، ص(291-292).

وقد يؤدي الضمير (نحن) معاني تداولية كالفخر، والتعظيم، وتجاهل الذات، أي استعمال (نحن) بدلا من (أنا) لتحقيق التعاون مع الآخرين.

أما (أنت وأنتم) فبينهما فرق فمستعمل (الأنت) في خطابه يود أن يحقق نوعا من التعاون للدلالة على العلاقة الحميمية [*]، كما هو جار في خطاب الأطفال والأصدقاء. وقد تستعمل للتبجيل والفخر في نحو أنت فخر للوطن، واستعمالها كثيرا يرجع لكونها أداة غير محددة المرجع، مما يعطي استعمالها بعدا تداوليا،كما هو معمول به في الإعلانات التجارية التي تركز على خطاب المرسل إليه. أما (الأنتم) المشتركة فعلى عكس (الأنت)، قد تستعمل للعلاقة غير الحميمية، فتعد مؤشرا للبعد الاجتماعي، وتأخذ (نحن) دلالات مختلفة، فإذا أراد المرسل توقير من هو أعلى منه منصبا، فبدلا من أن يخاطبه بـ (أنت) يخاطبه بـ (أنتم). وبالتالي يتحكم في الاختيار بين (الأنت) و(الأنتم) مبدأ السلطة والتضامن [1].

وقد تستعمل الضمائر الشخصية باستعمالات خارجة عن طبيعتها في التعابير غير الحرفية، ذات الأبعاد التداولية، عندما تؤدي هذه المؤشرات الشخصية أغراضا مختلفة كالفخر، والتعظيم، والتواضع، والاحترام، والتحقير، والكراهية طبقا للمقام الذي تساق فيه.

أ – 2 الإشاريات الزمانية: وهي كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان التكلم الذي يعد مركز الإشارة الزمانية في الكلام، ففي عدم معرفة زمان التكلم اِلتبس الأمر على السامع [2]، فإذا قال أحدهم: موعد زواجي يوم الخميس، فأي يوم خميس يقصد؟ يوم خميس الأسبوع الراهن، أم بعد شهر، أم بعد سنة، فالسياق هو الذي يتكفل بتحديد الإشارة الزمانية. ومثلها كلمات مثل: أمس، غدا، الآن، الأسبوع الماضي، السنة المقبلة،... كلها لا يتضح معناها إلا بالإشارة إلى زمان معين بالقياس إلى زمن التكلم، غير أن الإحالة إلى الزمان قد تستغرق الزمن كله، كأن يقال اليوم الجمعة، وقد تستغرق الإحالة إلى الزمان مدة محددة، كأن يقال وقع الحادث يوم الأربعاء، فالحادث لا يستغرق كل اليوم، وإنما وقع في بعضه. وفي بعض الاستعمالات كجيل اليوم وجيل الغد، فإنها تتبع الإحالة لتستغرق لتشمل العصر المعيش أو المستقبل، وهذه الاستعمالات – طبعا– خاضعة إلى السياق، فالعناصر الإشارية السالف ذكرها دالة على الزمان الكوني، وقد تكون دالة على الزمن

* العلاقة الحميمية: هي تعابير القيم المشتركة، والقرابة، والجنس.

1 المرجع نفسه، ص (288– 289 – 290).

2 محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 19.

النحوي الذي قد لا يطابق الزمان الكوني [1]، كما هي الحال في فصل الفعل ودلالاته الزمانية، يدل الماضي على المضي أو على المستقبل، ودلالة الحال على المضي تبعا للسياق وظروف الاستعمال.

أ – 3 الإشاريات المكانية: وهي عناصر إشارية إلى أماكن، يعتمد استعمالها على معرفة مكان المتكلم زمن تكلمه، أو على مكان آخر معروف لدى السامع، ولتحديد المكان أثره في استعمال العناصر التي تشير إليه قربا أو بعدا أو وجهة، فمن غير الممكن لمستعملي اللغة أن يفسروا كلمات من قبيل هذا، وذاك، وهنا، وغيرها دون أن يقفوا على ما تشير إليه. فهي تقيمه على السياق المادي المباشر الذي قيلت فيه [2].

وقد أشار النحاة العرب إلى ظروف استعمالات أسماء الإشارة، فرأى الجمهور على أن المشار إليه له ثلاث مراتب قربى، ووسطى، وبعدى، فيشار إلى من في القربى بما ليس فيه (كاف)، ولا (لام) ، كهذا وهذه، وإلى من في الوسطى بما فيه (الكاف) وحدها نحو ذاك، وإلى من في البعدى بما فيه (كاف) و(لام) نحو: ذلك [3].

فالعرب لم تكن لتستعمل هذه القرائن إلا لمطابقة المنطوق للمشار إليه، إلا أن المرسل في الاستعمال يبادل بين أسماء الإشارة خصوصا بين اسمي الإشارة القريب والبعيد، فيشير إلى البعيد لما يشير به للقريب والعكس، وفي هذا يؤكد "سيبويه" «أن ذاك بمنزلة هذا، إلا أنك إذا قلت ذاك فأنت تنبهه لشيء متراخ، وهؤلاء بمنزلة هذا، وأولئك بمنزلة ذاك، وتلك بمنزلة ذاك » [4].

وقد تستعمل الإشاريات المكانية بذات المكان تذكيرا وتأنيثا في نحو: (ذا) إن الأصل في ذا أن يشار به إلى المذكر حقيقة، وقد يشار به إلى المؤنث إذا نزل منزلة المذكر، كما في قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي**﴾ [الأنعام 78] أشار إلى الشمس- وهي مؤنثة بدليل قوله (بازغة) – بقوله: (هذا ربي) لأنه نزلها منزلة المذكر » [5].

---

[1] المرجع السابق، ص (20–21).

[2] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص (21 – 22).

[3] ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمذاني المصري، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة - مصر- ط 1، 2004، مج/ 1، ج/ 1، ص 123.

[4] سيبويه، أبي بشر عمرو بن قنبر، الكتاب (كتاب سيبويه)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخافجي، القاهرة – مصر- ط 3، 1408هـ - 1988م، ج 2، ص78.

[5] ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، مج/ 1، ج/ 1، ص 119.

ومن العناصر الإشارية أيضا (ال) التعريف والتي هي في الأصل ليست للتعريف فقط، بل هي أداة للإشارة أيضا، فالمتأمل في عبارات من قبيل اليوم والليلة يجدها تحمل بعدا إشاريا تقديره في هذا اليوم وفي هذه الليلة [1].

ومن الإشاريات المكانية الجهات الست: أمام ووراء، فوق وتحت، ويمين ويسار، فهذه الإشاريات تحتاج إلى معرفة كل من المرسل والمخاطب المشار إليه، إذ لا يمكن استعمالها إلا بإدراك المرجع المضاف إليه في ذهن كل من طرفي الخطاب [2]، فلو سأل أحدهم عن مكان المسجد فيجيبه أحدهم: (وراء الحي)، فيظل مرجع اللفظ (وراء) غامضا، لأن هذا التحديد ليس بالدقيق، فيحسن في هذه الحال أن يحدد المشار إليه باستعمال المرجع المضاف إليه في ذهن كل من طرفي الخطاب فيقال (وراء العمارة) بدلا من (وراء الحي).

وقد تنتقل الإشارة المكانية إلى ما يسمونه المسافة العاطفية (الإشارة الوجدانية) [3]، وهي عندما يستعمل اسم الإشارة للإيحاء النفسي، وهو ما أسماه جهابذة المعاني في بيان حاله في القرب والبعد والتوسط، التحقير بالقرب في نحو قوله تعالى: ﴿ **أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ**﴾ [الأنبياء 36]، والتعظيم بالبعد مثل قوله تعالى:﴿ **وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا**﴾ [الزخرف 72] [4].

ب) الافتراض المسبق: الخطاب هو المعبر عن مقاصد المتكلم المراد توجيهها إلى المتقبل، وهذا الخطاب ينجز في سياق تخاطبي ولغة مشتركة، فهو يقوم على افتراضات مسبقة فما هو الافتراض المسبق؟

الافتراض المسبق يتمثل في القيود المسبقة التي يجب أن تستوفى، فينجز بذلك فعل إنجازي معين بنجاح من خلال منطوق جملة أو عدة جمل. [5]

ينطلق المشاركون في التخاطب من معطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم، تشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية المسؤولة عن نجاح التواصل، في ظل اتحاد البنى التركيبية مع

---

[1] برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية عام 1929، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر- ط 2، 1994، ص 86.

[2] الشهري عبد الهادي بن ظافر ، استراتيجيات تحليل الخطاب مقاربة تداولية، ص (84 – 85).

[3] ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 23.

[4] القزويني الخطيب ، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق وتعليق: عبد الحميد هنداوي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، مصر الجديدة، ط 3، 2008، ص (50-51).

[5] زتسيسلاف واورزنياك، مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر- ط1، 2003، ص 22.

السياق[1]، هذه الافتراضات أطلق عليها صاحب التكوثر العقلي الإضمارات التداولية وهي: « عبارة عن الإضمارات التي يكون الأصل فيها مقامات الكلام، وسياقاته من حيث مناسبته لها » [2].

فالافتراضات المسبقة – إذن– ما تقتضيه المنطوقات من المعرفة الخلفية لدى المتخاطبين بما يناسب مقام التخاطب وسياق الاستعمال، ففي الملفوظ (أغلق النافذة) خلفية افتراض مسبق مضمونها أن النافذة كانت مفتوحة، وهذه الخلفية مهمة في نجاح التواصل أو فشله .

ج) الاستلزام الحواري ومبدأ التعاون: ويعد واحدا من أهم جوانب الدرس التداولي، وترجع نشأة البحث فيه إلى المحاضرات التي ألقاها الفيلسوف الأمريكي "هربرت بول غرايس" H.P.Grice في جامعة (هارفارد) سنة 1975، في بحثه الموسوم (المنطق والحوار)، منطلقا من فكرة أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقولون عكس ما يقصدون، فهو أراد أن يميز بين ما يقال وما يقصد، فما يقال عنده الكلمات والعبارات اللفظية، وما يقصد عنده الذي يريد المتكلم تبليغه للسامع عن طريق الفعل غير المباشر، وبهذا فقد ميز بين ما هو صريح وما هو متضمن في القول، مميزا بذلك بين نمطين من الاستلزام:

1/ استلزام عرفي: قائم على ما تعارف عليه أصحاب اللغة من الألفاظ التي لها دلالات ثابتة لا تتغير بتغير السياق والتراكيب، ويكون ما بعدها مخالفا لما يتوقعه السامع، كأن يقال: زيد غني ولكنه بخيل.

2/ استلزام حواري: متغير بتغير السياقات التي يرد فيها[3].

أراد "غرايس" أن يقدم طريقة يجعل من خلالها الاتصال بين المتخاطبين ناجحا في ظل اضطرابات المحادثة، كأن يقول المتكلم شيئا ويقصد آخر، أو يسمع المخاطب كلاما ويفهم معنى آخر فالحل الذي وجده هو (مبدأ التعاون) بين المتخاطبين الذي يشتمل على قواعد يجب على المشاركين احترامها والعمل بها.

ج . 1 مبدأ التعاون: وصيغته: **ليكن انتهاضك للتخاطب على الوجه الذي يقتضيه الغرض منه،** فغاية هذا المبدأ هي تحقيق التعاون بين طرفي الخطاب للوصول إلى الغرض المنشود من المحادثة المحدد قبلها أو أثناءها [4].

[1] صحراوي مسعود ، التداولية عند العلماء العرب، ص (30–31).

[2] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، أو(التكوثر العقلي)، ص 113.

[3] المرجع نفسه، ص (32 – 33).

[4] المرجع نفسه ، ص 238.

وقد قواعد المحادثة الأربعة المتفرعة عن مبدأ التعاون والتي استلهم توزيعها وتسميتها من جدول الأحكام عند "كانط" Kant [1]، وهي:

1/ قاعدتا كم الخبر (الكمية) Quantité وهما:

أ- لتكن إفادتك للمخاطب على قدر حاجته. ب- لا تجعل إفادتك تتجاوز القدر المطلوب.

2/ قاعدتا كيف الخبر (الكيفية) Qualité وهما:

أ- لا تقل ما تعلم كذبه. ب- لا تقل ما ليس لك عليه بينة.

3/ قاعدة علاقة الخبر بمقتضى الحال (العلاقة) Relation وهي:

أ- ليناسب مقالك مقامك، وتسمى بقاعدة المناسبة.

4 / قواعد جهة الخبر (الصيغة) Modalité وهي:

أ- لتحترز من الالتباس (كن واضحا). ب- لتتكلم بإيجاز. جـ- لترتب كلامك. وتسمى بحكم الكلام [2].

والغاية من هذه القواعد هي ضبط عملية التخاطب للوصول إلى الغاية المتمثلة في إيصال المعاني على حقيقتها حفاظا على مبدأ التعاون، وإن وقعت المخالفة بين المتخاطبين في إحدى القواعد، وللتوضيح يساق الحوار الآتي بين رجلين:

1 – هل رأيت زيدا. 2 – ثمة حفل في الثانوية.

ما قاله (2) بمعناه الحرفي ليس إجابة عن سؤال (1)، فهو ينتهك قاعدة العلاقة (المناسبة) بالموضوع، ولكن المخاطب (1) في ضوء القواعد الأخرى لمبدأ التعاون يتبادر لذهنه العلاقة بين حفل الثانوية وسؤاله عن زيد. ليعرف أن زيدا موظف في الثانوية. وبذلك تحقق نجاح المخاطبة.

فنظرية "غرايس" تتضمن توظيف قواعد المحادثة، وحالما ينتهك أحد المتخاطبين هذه القاعدة أو تلك، يستوجب على مخاطبه القيام بفرضيات تفسر ذلك الانتهاك، فإذا سأل زيد على سبيل المثال عمرو: (أين يقطن سعد؟) وأجاب عمرو: (في مكان ما جنوب مكة)، فإن هذه الإجابة تنتهك قاعدة الكم التي تفرض تقديم معلومة كافية ليعرف زيد أن عمرا لا يعرف مكان سعد على وجه

[1] فرنسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 54.

[2] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو (التكوثر العقلي)، ص 238. وللتوسع ينظر: فرنسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 54، ومحمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 34.

التحديد، وبهذه الطريقة يفسر "غرايس" الوجوه البلاغية (الاستعارة، التورية...) باستغلال قاعدة الكيف [1].

أما "أمبرتو إيكو" فيرى أن المتحدث بالاستعارة ينتهك القواعد الأربعة (الكم، النوع، المناسبة، الطريقة)، لأنه في ظاهر الحديث يكذب، ويتكلم بطريقة غامضة، وهو بالخصوص يتحدث عن شيء آخر، ورغم هذا الانتهاك للقواعد فلا نشعر بأنه أحمق أو أخرق، لنجد أنفسنا إزاء استلزام مفاده «من الواضح أنه يقصد شيئا آخر»[2].

ومما لا يمكن الانصراف عنه دون وقفة الإشارة إلى جهود العلماء العرب القدامى والمحدثين الذين كانت لهم مجموعة من المفاهيم المتفرقة في أبواب النحو والبلاغة وأصول الفقه والنقد تدخل ضمن مباحث التداولية اللغوية، فالعلماء العرب لم يغفلوا الظروف المحيطة بالخطاب وحيثياته، وفي تناولهم لظاهرة التواصل أولوا العناية بالسامع، واهتموا بدور المتكلم في صياغة الخطاب وفقا لسياق الموقف، الذي عبر عنه أعلام التراث باصطلاحات مختلفة تؤدي ذات الدلالة، مثل: الحال (الأحوال)، المشاهدة، المشاهد، والدليل، والقرينة، والمقام، والموقف[3].

فالوصف اللغوي القديم لم يكن منصبا على الجملة المجردة من مقاماتها، بقدر ما كان ينظر إليها بأنها خطاب يتوافر على كل خصوصيات التواصل الناجح، كما هي الحال فيما ورد في مجموعة تفاسير القرآن الكريم التي تراعي إلى جانب دلالة التراكيب مقامات وملابسات نزول الوحي (البحث في أسباب النزول).

أما عن مفهومها عندهم فيرجع المصطلح إلى مادة (دول)، وقد وردت في معجم مقاييس اللغة على أصلين: « الدال والواو واللام أصلان، أحدهما يدل على تحول شيء من مكان إلى مكان، والآخر يدل على ضعف واسترخاء، و اندال القوم؛ إذا تحولوا من مكان إلى مكان، وقالت العرب: الثوب يدول؛ إذا بلي، واندال البطن؛ أي استرخى، وتداول القوم الشيء بينهم؛ إذا سار من بعضهم إلى بعض، والدَوْلة والدُولَة لغتان، ويقال: بل الدُولةُ في المال، والدَولة في الحرب، وإنما سمي بذلك من قياس الباب، لأنه أمر يتداولونه، فيتحول من هذا إلى ذاك ومن ذاك إلى هذا » [4].

---

[1] آن روبل وجاك موشلار، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ص(57 – 58).

[2] أمبرتو إيكو: السيميائية وفلسفة اللغة، ترجمة: أحمد الصمعي، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية (المنظمة العالمية للترجمة)، بيروت – لبنان–ط 1، نوفمبر 2005، ص238.

[3] الطلحي ردة الله، دلالة السياق، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في علم اللغة، جامعة أم القرى، 1418 هـ، المجلد 1/ 32.

[4] ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – لبنان- (د.ط)، 1979، 2/ 314.

فالمعنى الحرفي يدور حول التحول والتناقل والضعف والاسترخاء، ولا تكاد المعاجم الأخرى تخرج عن هذه الدلالة.

جاء في القاموس المحيط: « الدولة انقلاب الزمان، والعقبة في المال، وقد أدالوه وتداولوه، أخذوه بالدول، وأدالنا الله على عدونا من الدولة والإدالة والغلبة، ودالت الأيام دارت والله تعالى يداولها بين الناس» [1]

وفي معجم لسان العرب فيما ورد من قول الأزهري: « الدولة للجيشين يهزم هذا هذا ثم يُهزم الهازم، والدُولة، برفع الدال، في الملك والسّنن التي تغير وتبدل عن الدهر، وتعني الغلبة يقال: أُديل لنا على أعدائنا أي نُصرنا عليهم، ويقال تداولنا العمل والأمر بيننا بمعنى تعاورناه، فعمل هذا مرة وهذا مرة »[2].

وقال العسكري: « الدولة انتقال حال سارة من قوم إلى قوم، ودولة ما ينال من المال بالدولة فيتداوله القوم بينهم هذا مرة وهذا مرة » [3].

من خلال ما تقدم تتضح دلالة المصطلح التي دارت حول التحول والتناقل، القوم من مكان إلى مكان، والحال السارة من قوم إلى قوم، والضعف والاسترخاء للبطن، والغلبة في الحرب لقوم على أخر ثم تدار الكرة على الغالب فيغلب لتكون الحرب سجال بينهم، والتعاور للعمل مرة لهذا ومرة لهذا.

أما "طه عبد الرحمن" فقد تناول هذا المفهوم بدلالة دار وروى وطاف، فيقال: « تداول الناس كذا بينهم؛ أي تناقله الناس وأداروه فيما بينهم ويقال: نقل الكلام عن قائله أي رواه ويقال دار على الشيء بمعنى طاف حوله»، ليعطى الفيلسوف المصطلح معناه في الاستخدام اللغوي بأنه النقلة بين الناطقين أي التواصل والتفاعل [4].

واستعمالات هذا المصطلح في القرآن الكريم كثيرة منها قوله تعالى ﴿ **وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**﴾ [آل عمران 140] ، في معنى الآية الكريمة يقول صاحب الكشاف: « هي الأيام تبلي

1 الفيروز أبداي (مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي)، القاموس المحيط، دار العلم للجميع، بيروت – لبنان- (د.ط)، (د.ت)، 3/ (377-378).

2 ابن منظور (محمد بن مكرم)، لسان العرب، دار صادر، بيروت - لبنان- ط6، 1997، مادة (دول)، مجلد 11/ (252-253).

3 أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الأفاق الجديدة، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت – لبنان- ط7، 1991، ص 182.

4 طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي- لبنان- ط 2، 1993، ص 244.

كل جديد والمراد بالأيام: أوقات الظفر والغلبة، نداولها: نصرفها بين الناس، تديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء. وورد في قول أبي سفيان: « يوم بيوم والأيام دول، والحرب سجال» [1].

وقد حدد "طه عبد الرحمن" المعنى الاصطلاحي للتداول المتعلق بالممارسة التراثية قائلا: « هو وصف لكل ما كان مظهرا من مظاهر التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصتهم » [2]، فالمقصود بمجال التداول – إذن– هو محل التواصل والتفاعل بين صانعي التراث.

وقد عرفها صلاح فضل، « بأنها الفرع اللغوي من مجموعة العلوم اللغوية الذي يختص بتحليل عمليات الكلام بصفة خاصة، ووظائف الأقوال اللغوية وخصائصها خلال إجراءات التواصل بشكل عام » [3].

اهتم العلماء العرب في دراستهم للغة بظروف الاستعمال ومقامات التخاطب، وأولوا عناية بالغة بأطراف العملية الإبلاغية، فالمتكلم في نقله لرسالته يترتب عليه مراعاة حال المخاطب قياسا لحال كل منهما النفسية والاجتماعية، وقالوا عبارتهم المشهورة: « لكل مقام مقال »، التي يفهم منها أن الحدث الذي يصدره المتكلم تراعى فيه حال المخاطب وفقا لما يستدعيه المقام التخاطبي، وكان البلاغيون العرب لهم قصب السبق في ربط المقال بالمقام، يقول "تمام حسان": « ولقد كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة المقام متقدمين ألف سنة — تقريبا – عن زمانهم ، لأن الاعتراف بفكرتي المقام والمقال باعتبارهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى، يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة» [4].

لقد نظر البلاغيون إلى اللغة نظرة شاملة لا يستقل فيها الشكل عن المضمون، ولا المعنى عن ظروف الاتصال ومقاصد المتكلمين، فغاية البلاغة –إذا– كالتداولية، بل من الممكن أن تكون جل مبادئ التداولية حاضرة في الدرس اللغوي العربي القديم.

ورغم إبداع البلاغيين في هذه القضية لا يقود إلى إنكار ما للنحويين من فضل، وذلك يظهر بارزا في مصنفاتهم، حتى ذهب ببعض المدافعين عن النحاة الأوائل إلى القول: « إن الذي ذهب إليه البلاغيون لا يختلف كثيرا عما كان معروفا عند النحويين الأوائل، فهم أول من قال بمراعاة الأحوال

1 الزمخشري (جاد الله محمود بن عمر)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان– (د.ط)، (د.ت)، 1/ (418-419).

2 طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص 244.

3 صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية، المجلس الوطني لثقافة والفنون والآداب — الكويت– عدد 164، أوت 1992، ص 20.

4 تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء – المغرب– (د.ط)، 1994، ص337.

المحيطة بكل من المتكلم والمخاطب ... وأنّ الفكر العربي قد تخطّى حدود الشكل في الدرس النحوي، وأنّ علماء النحو أرسوا دعائم معنوية عبّرت عن مقاصد المتكلمين في الميادين المختلفة » [1].

اهتم العرب القدامى أيّما اهتمام بالمتكلم، والذي يعد فاعل عملية التخاطب، ولم يفت علماءنا دوره في تحديد دلالات الخطاب، إذ لم يغفلوا عن قيمته في تناول الخطاب، كما فعلت البنيوية عندما عزلت المؤلف عن الأثر الذي تركه، لهذا تقاطعت مباحثهم مع مباحث فلاسفة اللغة العادية والتداوليين في ما بعد، التي تركز على كل عناصر الإبلاغ العاملة على جعل الخطاب رسالة واضحة وناجحة، ولعل أبرزها مقاصد المتكلمين.

إن مبدأ القصدية، يظهر جليا في كتاباتهم، وذلك عندما يعمد المتكلم عند التلفظ بأكثر من علامة ، كالنبر والإيماءة وتحريك الرأس وهو ما يسميه العرب بالأحوال الشاهدة، وفي هذا المعرض يقول ابن جني: « فالغائب ما كانت الجماعة من علمائنا تشاهده من أحوال العرب ووجوهها...، وغير ذلك من الأحوال الشاهدة بالقصود، بل الحالفة على ما في النفوس، ألا ترى إلى قوله (الطويل):

تَقُولُ – وَصَكَّتْ وَجْهَهَا بِيمِينِهَا – أَبَعْلِي هَذَا بِالرَّحَى المُتَقَاعِسِ*

فلو قال حاكيا عنها: أبعلي هذا بالرحى المتقاعس؟ من غير أن يذكر صك الوجه، لأعلمنا بذلك أنها متعجبة منكرة، ولكنه لما حكى (الحال) فقال : وصكت وجهها ، علم بذلك قوة إنكارها ... »[2]. فهذا البيت يظهر استعمال الشاعر لعلامات الخطاب المصاحبة للتلفظ، والتي منها الحركة باليد، كما في قول الشاعر.

وقد ربط "ابن هشام " الكلام بالقصد عندما فرق بينه وبين الجملة، فقال: « الكلام هو القول المفيد بالقصد » [(3)]، والمراد بالقصد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه، فالكلام في هذا المقام يرتبط بالمتكلم، وهو ما يعرف بمبدأ الإفادة، وفي هذا يقول صاحب الألفية (الرجز):

كَلَامُنَا لَفْظٌ مُفِيدٌ: كَاسْتَقِمْ وَاسْمٌ ، وَفِعْلٌ ، ثُمَّ حَرْفٌ – الكَلِمْ.

فالكلام عند النحاة عبارة اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها [(1)].

---

1 بان الخفاجي، مراعاة المخاطب في النحو العربي، دار الكتب العربية، بيروت – لبنان– ط 1، 2008، ص 43.

* الشاعر هو نعيم بن الحارث بن يزيد السعدي ، شرح المرصفي للكامل ، 1/ 142.

2 ابن جني (أبو الفتح عثمان)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت – لبنان– ط 2، (د.ت)، 245/1.

3 ابن هشام الأنصاري (جمال الدين)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، مراجعة: سعيد الأفغاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان– ط 1، .2000، ص 357.

وقد ميز "أبو حامد الغزالي" بين نوعين من الكلام، الكلام المنجز فعلا والكلام الذي يظل حبيس النفس، معتمدا على معيار القصد في التمييز بينهما، لتبقى دلالة حديث النفس ليست ذاتية، بل تصير خبرا بقصد المتكلم إلى التعبير عمّا في نفسه. وهذا ما ذهب إليه كذلك ابن حزم عندما جعل من القصد المؤشّر المبدئي في كل نظام إبلاغي [2].

ومن اهتمام العرب بالمتكلم وأحواله النفسية ومقدرته على صناعة الكلام ما ذكره الجاحظ راويا عن أبي الأشعث في صحيفته: « أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح ... لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة، و لا الملوك بكلام السوقة ... »[3].

في هذا القول يشترط أبو الأشعث على الخطيب معرفته لمقامات الكلام، ومنازل المخاطبين، حتى تتحقق بلاغته، وهي نظرة تداولية تجعل من الخطاب أكثر وضوحا ونفاذا للسامعين.

وفي أساليبها ربطت العرب الخبر بقائله، من ذلك قول "ابن فارس" : « الخبر ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه، وهو إفادة المخاطب أمرا في ماض من زمان أو مستقبل أو دائم » [4] .

وكذلك كل الأساليب الإنشائية من أمر ونهي وتمن وترج واستفهام ودعاء ...ترتبط بالمتكلم فهذه الأساليب لم يكد يلقي لها البلاغيون بالا، باعتبارها أخبارا نقلت إلى معنى الإنشاء ليهتم بهذا القسم النحاة [5].

ليرتبط الاستفهام بقائله، لأنه لا يستفهم إلا إذا طلب الفهم، ولا يتمنى إلا إذا وقع في نفسه ما يريد وعز عليه تحقيقه.

ومن الأساليب العربية التي ترتبط بالمتكلم ومقاصده أسلوب الالتفات، رأى ابن الأثير أنه مأخوذ من التفات الإنسان عن يمينه وشماله، وفيه يتم الانتقال عن صيغة إلى صيغة، كالانتقال من خطاب حاضر إلى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضر، أو من فعل ماض إلى مستقبل، أو من مستقبل إلى ماض ... ويسمى شجاعة العربي، لأن الشجاع يركب ما لا يستطيعه غيره، وهو ما اختصت به

---

1 ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك ، 1/ (16-17).

2 المسدي عبد السلام، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، القاهرة – مصر– ط 2، 1986، ص 146.

3 الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان– (د.ط)، (د.ت) 1/ 92.

4 ابن فارس (أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي اللغوي)، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، مكتبة المعارف، بيروت – لبنان ، ط 1، 1993، ص 183.

5 عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر– ط 5، 2001، ص (13-14).

العربية دون غيرها [1]، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿ **وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ [يس 22]، فقد عدل من التكلّم إلى الخطاب، وفي قوله تعالى: ﴿ **حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ** ﴾ [يونس 22]، فقد عدل من الخطاب إلى الغيبة [2].

أما وضيفة الالتفات في رأي "الزمخشري" فتحقق مزيّتين، إحداهما عامة تتمثل في إمتاع المتلقي وشدّ انتباهه بتلك التحولات التي لا يتوقعها في نسق التعبير، والأخرى خاصة تتمثل في ما تشيعه كل صورة من تلك الصور، في موقعها من السياق الذي ترد فيه، من إيحاءات ودلالات خاصة [3].

فالالتفات بهذا المعنى يقوم به المتكلم عن قصد منه ، مع مراعاة حال المخاطب في موقف خاص، وهذا ما يحقق البعد التداولي لمثل هذا الأسلوب البلاغي.

وقد عني لغويو العرب بفائدة الكلام من حسن إيصال المتكلم لفكرته، وحسن استجابة المخاطب له ، ويظهر ذلك من خلال نصوص الجاحظ المتعلقة بالفهم والإفهام، والبيان والإيضاح عن المعنى، يقول: « والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته ... لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع » [4].

وقد جعل "عبد القاهر الجرجاني" أهم محاور نظرية النظم في علاقة النص بالمخاطب، إذ يقول: « وليت شعري كيف يتصور وقوع قصد منك إلى معنى كلمة من دون أن تريد تعليقها بمعنى كلمة أخرى؟ ومعنى القصد إلى معاني الكلم أن تعلم السامع معاني الكلم التي تكلمه بها ...»[5].

وما يدل على اهتمامهم بالسامع أن جعلوا للخبر أضرب تم تقسيمهما باعتبار حاله، فميز البلاغيون بين ثلاثة أنواع من أضرب الجملة الخبرية باعتبار حال المخاطب: ابتدائي وطلبي وإنكاري.

ومن الأساليب الشاهدة على بلاغة العربي، وقدرته على مراس لغته، أسلوب الحذف، الذي يعد أحد أشكال الافتراض المسبق، فـ "ابن مضاء القرطبي" يشترط في المحذوفات علم المخاطبين بها بقوله:

---

1 ابن الأثير (ضياء الدين) ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدّمه وعلّق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع و النشر، القاهرة – مصر– ط2 ، (د.ت)، 2/ (167–168).

2 القزويني الخطيب (جلال الدين أبو المعالي)، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: عبد الحميد هنداوي،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر– ط 3، 2007، ص 80.

3 حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة– مصر– ط1 ، 1998، ص26.

4 الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، 1/ 76.

5 الجرجاني عبد القاهر (أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد)، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة – السعودية– ط 3 ، 1992، ص 412.

« والمحذوفات في كتاب الله تعالى، لعلم المخاطبين بها كثيرة جدا، وهي إذا أظهرت تم بها الكلام، وحذفها أوجز وأبلغ »[1]، منها قوله تعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ** ﴾[البقرة 219]، وهذا الأسلوب لا يعتمده المتكلم إلا إذا علم قدرة السامع على فهمه، بمصاحبة القرائن والأحوال الشاهدة، وهي الشروط التي اشترطها أرباب اللغة والمعاني، فقد جعل "ابن جني" المحذوف إذا دلت عليه دلالة فهو في حكم الملفوظ، يقول من ذلك: « أن ترى رجلا قد سدد سهما نحو الغرض، ثم أرسله، فتسمع صوت، فتقول القرطاس والله، أي أصاب القرطاس، فأصاب الآن في حكم الملفوظ به، وإن لم يوجد في اللفظ، غير أن دلالة الحال نابت مناب اللفظ به »[2].

ومن مزايا الحذف وفوائده، ما ذكره صاحب البرهان من إثارة السامع وترك فسحة له في تمثل المحذوف من التركيب :« فمنها التفخيم والإعظام، لما فيه من الإبهام، لذهاب الذهن في كل مذهب وتشوفه إلى ما هو المراد فيرجع قاصرا عن إدراكه، فعند ذلك يعظم شأنه، ويعلو في النفس مكانه، ألا ترى أن المحذوف إذا فهم في اللفظ زال ما يختلج في الوهم من المراد وخلص للمذكور**!**» [3]، والمتكلم لا يحذف شيئا مما لا يراه موجودا في ذهن السامع من افتراضات مسبقة.

والأساليب العربية التي لها ارتباط بالسامع وأحواله لا يمكن حصرها في هذا المبحث نورد بعضها الوصل والفصل ، والقصر ، وأسلوب الحكيم ، والالتفات والتقديم والتأخير ...

وفي العصر الحديث كثيرا ما قاربوا بين فكرة مقتضى الحال في البلاغة العربية والمفاهيم التداولية الحديثة، فصلاح فضل يعتبر المفاهيم التداولية، هي ذاتها فكرة مقتضى الحال قائلا: «ويأتي مفهوم التداولية هذا ليغطي بطريقة منهجية منظمة الساحة التي كان يشار إليها في البلاغة القديمة بعبارة مقتضى الحال، وهي التي أنتجت المقولة الشهيرة في البلاغة العربية (لكل مقام مقال)» [4].

هذه المقولة التي كثيرا ما ترددت على ألسنة العلماء العرب، فهذا "الجاحظ" يربط شرف المعنى بموافقته لمقتضى الحال، لأن القول إذا لم يسق في مقامه كان لغوا وهذرا، لا يرجى نفعه، وكلامه عن المنفعة يعدّ نظرة برغماتية يقول: « والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتّضع أن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال،

1 ابن مضاء القرطبي (أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن اللخمي)، الرد على النحاة، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، القاهرة – مصر– ط 1، 1979، ص 72.

2 ابن جني، الخصائص، 1/ (284-285).

3 الزركشي بدر الدين (محمد بن عبد الله)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث القاهرة – مصر– ط 3، 1984، 3/ 104.

4 صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 21.

وما يجب لكل مقام» [1]. وفي هذا المقام يسوق "الجاحظ" مثالا على أهمية مطابقة الكلام لمقتضى الحال، جاء في حديثه عن النوكى فيما يرويه عن "أبي الحسن" قال: « خطب مصعب بن حيان أخو مقاتل بن حيان، خطبة نكاح، فحصر فقال: لقّنوا موتاكم لا اله إلا الله، فقالت أم الجارية: عجّل الله موتك، ألهذا دعوناك ؟! »[2]، لأن هذا النوكي أو الأبله، خاطب بمقال حزن في مقام حبور.

وقد أورد "السكاكي"، ضمن هذا السياق قولا ربط فيه بين الخطاب والموقف الكلامي في طابعه الاستعمالي:« لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية... وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الأخر»[3]، فالخطاب من وجهة نظر "السكاكي" ليس بمعزل عن الأحوال والملابسات المحيطة بمستعملي اللغة، بل تتحكم في الحدث الكلامي مقاصد المتكلمين، وأحوال المخاطبين وطبيعتهم، فهذه العوامل مجتمعة أطلق عليها دارسو التداولية ظروف الاستعمال اللغوي.

تكاد نظرية الخبر والإنشاء عند العرب تكون مكافئة لمفهوم الأفعال الكلامية عند الغربيين "أوستين" و"سيرل"، فعرفوا الخبر: ما يحتمل الصدق أو الكذب باعتبار الواقع والاعتقاد. أما الإنشاء ما لا يحتمل أيّا منهما، وإنما يتحقق مدلوله أثناء النطق به.

ولقد ربط "ابن خلدون" بين الفعل واللغة في بيانه لعلم النحو:«أعلم أن اللغة في المتعارف عليه عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني، فلا بد أن تصير ملكة متقرّرة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان» [4].

والقيمة التداولية لثنائية (الخبر والإنشاء) المقابلة للثنائية الأوستينية (الوصف والإنجاز)، تظهر في ارتباط كلّ منهما بالواقع باعتبار معيار الصدق أو الكذب، لكن الكثير من علماء العرب لم يحصروا الكلام في هذه الثنائية، فـ "الزركشي" يقول: « زعم قوم أنّ معاني القرآن لا تنحصر ... وقيل قسمان: خبر وغير خبر. وقيل عشرة: نداء ، ومسألة، وأمر، وتشفّع، وتعجب، وقسم، وشرط، ووضع، وشك، واستفهام. وقيل تسعة وأسقطوا الاستفهام لدخوله في المسألة. وقيل ثمانية وأسقطوا التشفع لدخوله في المسألة. وقيل سبعة وأسقطوا الشك،لأنه في قسم الخبر، و"الأخفش" يرى أنها ستة

1 الجاحظ، البيان والتبيين، 1/ 136.

2 المرجع نفسه ، 2/ 250.

3 السكاكي (أبي يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي)، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان- ط2، 1987، ص 168.

4 ابن خلدون عبد الرحمن ، مقدمة بن خلدون (تاريخ بن خلدون)، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان– (د.ط)، (د.ت)، ، 1/ 546.

أيضا، وهي عنده: الخبر، والاستخبار، والأمر، والنهي، والنداء، والتمني.وقيل خمسة: الخبر، والأمر، والتصريح، والطلب،والنداء. وقيل غير ذلك» [1]. وهذه التقسيمات للكلام لم تكن في معزل عن ظروف الاستعمال.

وعلى غرار تقسيم "سيرل" قدم محمود أحمد نحلة تقسيما للأفعال اللغوية في اللغة العربية على النحو الآتي [2]:

1/ الإيقاعيات: والتي يكون فيها الفعل مقارنا للفظه في الوجود، وتتسع لتشمل أفعال البيع والشراء والهبة والزواج والطلاق ...إلخ، وكلها ألفاظ يقع الفعل بمجرد التلفظ بها، فابن القيم يرى أنّ ليس للعقود ألفاظ محدودة منها استعمال لفظ التمليك في النكاح، مستندا إلى رأي "ابن حنبل" باعتبار أنّ الكناية مع دلالة الحال كالصريح، لقوله صلى الله عليه وسلم : (اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن) [3]، وأعتق صفية وجعل عتقها صداقها، ولم يأت معه بلفظ إنكاح ولا تزويج [4]، وتعد أفعال العقود إنشاءات صيغها أخبار، فقالت الحنفية: هي أخبار، وقالت الحنابلة والشافعية: هي إنشاءات لا أخبار، ورأى ابن القيم أنّ لهذه الصيغة نسبتين: نسبة إلى متعلقاتها الخارجية، فهي إنشاءات محضة، ونسبة إلى قصد المتكلم وإرادته، وهي من هذه الجهة خبر عما قصد إنشاءه [5]، وهذه الأفعال الكلامية قائمة على شرط الإخلاص لنجاح أي فعل كلامي، لأن تحقيقه قاعدة أصولية باعتبار أنّ الفعل إذا تم وفاعله لم تكن عنده نيّة الفعل يعد فعلا فاسدا، ويصدّق هذا قوله صلى الله عليه وسلم: (**إنما الأعمال بالنيّات وإنّما لكل امرئ ما نوى)** [6].

2/ الطلبيات: وتشمل الأفعال الكلامية الدالة على الطلب، بصرف النظر عن صيغتها، وهو الأمر الذي أخذ به الأصوليون، فـ "الغزالي" يقول في الألفاظ من قبيل أوجبت عليك، أو فرضت، أو حتمت، وما يجري مجراها، بأنها تؤدي دلالة الأمر:« فهذه الألفاظ الدالة على معنى الأمر تسمى

1 الزركشي بدر الدين ، البرهان في علوم القرآن، 2/ 316.

2 محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص (98-104).

3 البخاري (محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي) ، الجامع الصحيح (صحيح البخاري)، تحقيق: محمد بن زهير بن ناصر الناصر، طبعة طوق النجاة عن الطبعة الأميرية، (د.ت)،7/7

4 ابن القيم الجوزية (أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تعليق وتخريج الأحاديث: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، سلسلة مكتبة ابن القيم، – 6- دار ابن الجوزي، الدمام – السعودية- ط1، 1423هـ، المجلد3 / (199- 200).

5 ابن القيم الجوزية، بدائع الفوائد، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار علم الفوائد، مكة المكرمة- السعودية- (د.ط)، (د.ت)، المجلد 1/ (16-20).

6 البخاري (محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي) ، الجامع الصحيح، 6/1

أمرا» [1]، واعتبر صيغة (أفعل) ليست أمرا دائما، فقد تستعمل للتهديد كما في قوله تعالى: ﴿ **اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ [فصلت 40] ، أو الإباحة كقوله: ﴿ **وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا** ﴾[المائدة 02] ...[2]، وقد ذكر الغزالي استعمالات أخرى لصيغة أفعل لأن الأمر عندهم كما يرد بصيغة افعل قد يرد بغيرها كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا** ﴾ [النساء 58] ، هنا بلفظ الأمر، وبلفظ الفرض: ﴿ **قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ** ﴾ [التحريم 02] وبلفظ الكتابة: ﴿ **وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ** ﴾ [المائدة 45] [3].

وكذلك النهي مثل الأمر، ليشمل النهي كل الأفعال الكلامية الدالة على النهي، فيشمل المضارع المسبوق بلا الناهية، كقوله تعالى ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ** ﴾[الأنعام 151]، والأمر الدال على الترك: ﴿ **وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ** ﴾[الأنعام 120]، ولفظ التحريم: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ** ﴾[النساء 23] [4] ، والغرض الإنجازي من الطلبيات، هو التأثير في المتكلم ليفعل شيئا أو يخبر عن شيء.

3/ الإخباريات: وهي الأفعال التي تصف وقائع وأحداث العالم الخارجي، من أحداث السياسة والاقتصاد والاجتماع... والغرض منها نقل وقائع العالم نقلا أمينا وفاء لمبدأ الإخلاص الذي يضمن نجاح الأفعال وإنجازاتها.

4/ الالتزاميات: وهي الأفعال التي بموجبها يلزم المخاطب نفسه طوعا بفعل شيء للمخاطب في المستقبل، مثل الوعد والوعيد والعهود والنذور ...إلخ.

5/ التعبيريات: وهي الأفعال الكلامية التي يعبر بها المتكلم عن مشاعره، في حالات السرور، والحزن ،والحب والكراهية ....إلخ، وهي أفعال لا تقتصر على المتكلم، بل تتعداه إلى ما يحدث للمشاركين في الفعل، وتنعكس آثاره النفسية على المتكلم، ويندرج فيها الاعتذار، الشكر، والتهنئة، والتمني ، والترجي، ...كقوله تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ**

1 أبو حامد الغزالي(محمد بن محمد)، المستصفى من علم الأصول، تحقيق: حمزة بن زهير حافظ، الجامعة الإسلامية، كلية الشريعة، المدينة المنورة – السعودية– (د.ط)، (د.ت)، 3/ 122.

2 المرجع نفسه، 3/ (128-129).

3 علي حسب الله، أصول التشريع الإسلامي، القاهرة – مصر– 1956، ص 214. نقلا عن محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 101.

4 المرجع نفسه ، ص219. نقلا عن المرجع نفسه ، ص 102.

بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾[مريم 04] ، إظهار للضعف، وليس لهذا النوع اتجاه للمطابقة، فشرط الإخلاص يغني عنه، فمتى تحقق تم الإنجاز الناجح.

أما حروف المعاني ونظرية أفعال الكلام فاللغة العربية كغيرها من اللغات الطبيعية، تشتمل على حروف لها دلالتها من شأنها أن تثري اللغة بأساليب متنوعة تتلون في معانيها تبعا للمقام الذي تساق فيه، وهذه الدلالات تسمى في لغة التداوليين بالقوى الإنجازية، والعرب القدامى اهتموا بهذه الحروف أيّما اهتمام، فهذا "المرادي" يقول: « فإنّه لما كانت مقاصد كلام العرب على اختلاف صنوفه مبنيا أكثرها على معاني حروفه ... قد كثر دورها، وبعد غورها، فعزّت على الأذهان معانيها، و أبت الإذعان إلا لمن يعانيها» [1].

فهذه الحروف تتجاوز دلالاتها الشكلية لتكون بحقّ فعلا كلاميا له تأثيره في المخاطب، ومن هذه الحروف، حروف الجر والعطف ومعانيها، أحرف العرض والتحضيض، وحرف الزجر "كلا" ...

وتبقى اللغة العربية، غنية بأساليبها تستدعي عملا أكبر وسبرا أكثر لاستخراج جواهر المعاني منها، وفي التراث البلاغي والنحوي والأصولي ما يشفع لأن تكون هذه اللغة التي احتوت معاني القرآن الكريم مجالا خصبا للدراسة، لكن السؤال الذي يطرح نفسه هل استحضار التراث إعادة بناء أم إعادة طلاء؟

إن استحضار ما جاء في تراثنا من إرهاصات الدرس التداولي لم يكن بصدد الاعتراف بما قدمه علماؤنا، للدرس اللغوي الحديث بقدر الإفادة منه، قصد ربط الصلة بين الماضي والحاضر، بنقل القديم إلى المعاصر فالتراث والتجديد كله ما هو إلا شروح على الماضي، ولكن لا يعني الشرح هنا مجرد تحصيل حاصل، بل هو إعادة بناء القديم كله على أساس نظرة متكاملة ترتقي بالواقع، وبذلك نكون قد حققنا غاية المنفعة التي نصبو إليها، بأن زاوجنا بين موروثنا وآخر ما توصلت إليه اللسانيات الحديثة.

1 المرادي (الحسين بن قاسم) ، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قبواة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان- ط1، 1992، ص 19.

الفصل الأول

الأبعاد التداولية في قصيدة:"منشورات فدائية على جدران إسرائيل"

أولا: العناصر السياقية وتوليد الدلالة في عالم الخطاب

ثانيا: المؤشرات (الملفوظات المفصلية)

ثالثا: المعنى الحرفي والمعنى التواصلي

أردنا من خلال هذا الموضوع الوقوف على حركة الأدلة داخل الخطاب في ارتباطها بالسياق المستعملة فيه، وهذا ما يحقق لنا المعالجة التداولية للخطاب التي تسير وفق محورين أساسيين يرتبطان بالسياق وهما:

1/ السياق الداخلي: ويمثل الجانب التركيبي (البنية الداخلية للخطاب) الذي يراعي العناصر الأسلوبية كالضمائر وإحالتها و الاستفهام والنداء ... لا يتعدى شفرة الخطاب.

2/ السياق الخارجي (السياق التواصلي التداولي): ويشمل الموقف الكلّي الذي يتضمن فيه كلّ فعل كلامي العلاقات الخارجية والداخلية بين المتكلمين والمخاطبين[1]، وفي هذا السياق يتسامى الدليل اللغوي من دلالاته المعجمية إلى دلالات أوسع وأرحب تتحكم فيها الصلات بين مستخدمي اللغة، والظروف المحيطة بهم، كما يشتمل هذا السياق على الزمن الذي قيل فيه الخطاب، والذي يرجع إلى سنة 1970م، في ظروف عصيبة عاشتها الأمة العربية على وقع النكسة (حرب 06 جوان 1967م) ليقف "نزار" موقفًا حاسمًا ويعبّر عن موقفه كردّة فعل يستنهض بها همم العرب والمسلمين بعد الفاجعة، ويتوعد[*] اليهود الغاصبين بالدحور والعاقبة المؤلمة.

ونظرًا لاتساع مجالات التداولية وتعدد قضاياها وتشابك روافدها آثرنا أن نسير في تحليلنا للخطاب على ضوء تصور اللساني الهولندي "هانسون" Hanson في إطار التداوليات الثلاث. بداية بتناول ضروب السياق وتوليد الدلالة، ثمّ الإشاريات بأنواعها المفصلية، والشخصية، والزمانية، والمكانية، ثمّ الوقوف على المعنى الحرفي والمعنى السياقي من خلال دراسة الافتراض المسبق والاستلزام الحواري ومبادئ المحادثة في المدونة.

أولا– العناصر السياقية وتوليد الدلالة في عالم الخطاب:

يختلف الخطاب الأدبي عن باقي أنواع التعبير، لما لهذا الخطاب من خصوصية، لاسيما وإن كان هذا الخطاب شعرا تتجاوز لغته المألوف، وتعتمد على التلميح والبعد في الإشارة، وألفاظه متوثبة حرّة لا يكاد يمسك بدلالاتها إلاّ القليل، وما يطبع اللغة الشعرية كذلك الإيجاز وعدم الخوض في التفاصيل

1 زتسيسلاف، واورزنياك، مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، ص 22. الوعيد فهو كل خبر يتضمن إيصال ضرر إلى الغير أو تفويت نفع عنه في المستقبل.

* الوعيد فهو كل خبر يتضمن إيصال ضرر إلى الغير أو تفويت نفع عنه في المستقبل. ينظر: القاضي عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهيبة، القاهرة– مصر– (د.ط)، 1988، ص (134–135).

كما تخوض لغة النثر أو اللغة العادية، فالشعر بهذا المصاف يُعدّ ثورة مستمرة وتحطيم كلي لكلّ حواجز اللغة [1]، ويضاف للغة الشعر امتثالها للعاطفة، وتحرّرها من سلطان العقل، لهذا لا يحسن في هذا المقام وضع منهجية صارمة لكشف ستائرها.

ومهما يكن يبق الخطاب الشعري مرآة صادقة تعكس كلّ أوضاع العالم ومتقلباته، تماشيًا مع حال المتكلم، لتكون لغة الشاعر مطابقة لحاله، فالشعر يجب أن يجمع بين الإفادة والمتعة مادامت المتعة من لزوميات نجاح الأدب عامة والشعر على وجه الخصوص، وفي هذا المعنى يقول "هوراس" Horace: « إذا كانت لغة المتكلم غير مطابقة لحالته، فإنّ روما بأسرها شبابها وشيبها تجتمع للسخرية منه» [2]، وقد أعلى "مارتن هيدجر" M. Heidegger من أهمية الشعر في تفسير ماهية اللغة فيقول: « فالشعر لا يتلقى اللغة قط مادة يتصرف فيها كأنّها معطاة له من قبل، بل الشعر هو الذي يبدأ بجعل اللغة ممكنة، الشعر هو اللغة البدائية للشعوب والأقوام، وإذن، فيجب أن نفهم ماهية اللغة من خلال ماهية الشعر».

فالشعر عنده هو أساس التاريخ وليس تعبيرًا عن الواقع فحسب، ولكن الشعر العربي في العصر الحديث كان أكثر التزاما بواقع الأمة ؛ حتّى أنّ الشعراء في مساراتهم الفنية قد يحدث لهم تغير جذري بسبب الظروف الراهنة التي تواكبها الأمّة من هؤلاء "نزار"، فبعد هزيمة (حزيران 1967) انقلب تمامًا من شاعر المرأة إلى شاعر الوطن، ولو أنّه لم يفصل بين المرأة والوطن، ليتحول شعره إلى كتلة غضب وعنف ورفض تماشيًا مع موقف كلّ عربي يأبى الجور والهوان واغتصاب المقدسات.

ليقدم قصائده الغاضبة التي تلت النكسة: (هوامش على دفتر النكسة، منشورات فدائية على جدران إسرائيل، الكبريت في يدي ودويلتكم من ورق...) فـ "نزار قباني" من خلال نتاجه الشعري السياسي يحاول استنهاض الهمم، وتعبئة الجماهير عامة مثقفيها وغير مثقفيها، ساستها وسوادها، منطلقا من قناعته الراسخة في دور الشعر في تغيير الواقع « الشعر هو عملية انقلابية يخطط لها، وينفذها إنسان غاضب، ويريد من ورائها تغيير صورة الكون.. »[3].

---

1 جهاد فاضل، قضايا الشعر الحديث، دار الشروق، بيروت – لبنان- ط1، 1984، ص 18.

2 هوراس، فن الشعر، ترجمة: لويس عوض، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – مصر- ط3 ، 1988، ص 206.

3 نزار قباني، قصتي مع الشعر، مطابع دار الكتب، منشورات نزار قباني، بيروت – لبنان- ط 1، 1973، ص (78-79).

وبما أنّ الشعر يحمل من الحواجز المانعة من ولوج العامة عالمه كالوزن والإيقاع والمجاز وتعالي اللغة، لهذا السبب نجد أن "نزارا" في قصيدته – منشورات فدائية على جدران إسرائيل– يميل إلى لغة شعبويّة (لغة الخطاب اليومي) متجاوزًا بذلك القالب الموسيقي الرتيب، ليبني قصيدته المتوثبة على تفعيلة (مستفعلن) الحرّة في بحر الرجز المناسب لغرض الحماسة والتحدّي، ليستقطب أكبر عدد من القراء وبذلك يصل بخطابه الغاضب إلى العرب قاطبة ليواسيهم ويخفف من روعه وروعهم، ويخاطب بني صهيون خطابًا من ألفه إلى يائه وعيدًا وتهديدًا، مذكرًا إياهم: « بأنّكم ربحتم المعركة ولم تربحوا الحرب» مشيرًا بذلك إلى كلّ الأبعاد التاريخية، والدينية، والثقافية التي يعيها المخاطب الحقيقي في قصيدته "اليهودي" ليبيّن له أنّ وجوده على هذه الأرض المقدسة أمرٌ مبتوتٌ فيه بالجلاء والتشرد والتيه، فهذه الروافد والمرجعيات الثقافية تظهر باطراد في المعجم اللغوي السياسي النزاري.

وقد اعتمد " نزار" في تواصليته على الضمير الجمعي (نحن) في مقابل (أنتم)، ليبني القصيدة على ثنائية ممثّلة لصراع أزلي أبدي بين العرب واليهود، معتمدًا بذلك على كلّ القرائن اللغوية الصريحة وغير الصريحة التي تجعل من الخطاب رسالة شفافة وواضحة تؤدي غرض المحاججة والتهديد في آنٍ واحد.

اجتمع في بناء مخطط القصيدة الواقع المزري الذي آلت إليه الأمة بعد النكسة، وتطلعات " نزار" إلى واقع أفضل في المستقبل، يتوعد من خلاله اليهود بالهزيمة والتنكيل، استمد معطياته من النص المقدس (الثقافة الدينية) والتاريخ، لعلّه يشفي غليلا في صدره تجرّعه ولم يكد يسيغه.

وتبقى القصيدة —كونها عالمًا مجردًا– بعيدة تمامًا عن الواقع ما لم نخضعها إلى أبنية الخطاب ذات الطابع التداولي.

من أجل قراءة تداولية تأويلية للخطاب الشعري النزاري بات من الضروري أن تتوفر مجموعة من المعطيات السياقية لرفع اللثام عن شفرات الخطاب التي تبقى كونًا مغلقًا ما لم تربط بالفضاء الخارجي الممثل للواقع بكلّ حيثياته؛ أي الوقوف على الظروف والملابسات العامة التي قيلت فيها قصيدة (منشورات فدائية على جدران إسرائيل) من خلال عناصر السياق الآتية:

1/ المرسل Emetteur: وهو الذي ترتكز عليه عملية التواصل، فهو يمثّل الذات المحورية في إنتاج الخطاب من أجل التعبير عن مقاصد معينة، ويفرض تحقيق هدف فيه [1]، فالمرسل في هذا

1 الشهري عبد الهادي بن ظافر ، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 45.

الخطاب هو الشاعر "نزار قباني" الناطق بلسان كلّ عربي من المحيط إلى الخليج، وهو في الوقت نفسه المؤول لهذا الخطاب لدواعي سيتم الإفصاح عنها فيما بعد.

2/ المرسل إليه Récepteur: وهو مؤول الخطاب والركن الثاني في العملية التواصلية، ومن أجله ينسج الخطاب، فهذا المتلقي هو الذي يبذل جهدًا معتبرًا في الفهم والتأويل والقراءة، فالمقول له هم الصهاينة ومن شايعهم الذين مازالوا يتلذذون بنشوة النصر، وهو ما صرّح به "نزار" في متن الخطاب، وفي الوقت ذاته الخطاب موجّه للشعوب العربية التي لم تهضم هزيمة (حزيران)، وهو ما لم يصرّح به (مسكوت عنه).

3/ الرسالة Message: وهي المضمون أو الفكرة التي يرسلها المرسل إلى متلقٍ، وتتم من خلال الكلمة المكتوبة أو المنطوقة أو من خلال الإشارة أو العلامة تتضمن المعنى المقصود من الرسالة الاتصالية [1]، فالقول بنية لغوية شعرية تعدّ من أقوى الأدوات تأثيرًا على المتقبّل لقيامها على العاطفة والخيال، فهذه الرسالة كما أرادها صاحبها أن تكون من الشعر الحرّ – بغض النظر عن التسمية– الذي يتجاوز التنميط الإيقاعي الذي أراد الشاعر كسره، والتحرّر من قيوده تلبية لحاجة في نفسه؛ التحرّر من براثن واقع كلّه ذلّ وهوان وانكسارات، لتأخذ الإرسالية من النثر حريته من كلّ القيود ومن الشعر الموسيقى العذبة، وهي قصيدة النثر التي قال بها نزار، فهي تتغلغل إلى نفوس سامعيها، وتأخذ بألبابهم وتنقلهم إلى عالم مرسوم بالكلمات.

4/ موضوع الرسالة: يتعلق بالواقع المزري الذي حلّ بقلب الأمّة العربية والإسلامية جراء (النكسة) التي كانت من النكسات المؤلمة، وما زامنها من تقاعس الحكام ورقودهم فوق صدور شعوبهم راضين بكلّ خزي وعار مسلّط على أمتهم الممزقة كلّ ممزق روحيًا وجغرافيًا، فاقتطع من مصر صحراء سيناء، وهضبة الجولان من سوريا، وسرقت الضفة الغربية من الأردن التي كانت تحت وصايتها قبل النكسة واغتصبت فلسطين.

لهذا نجد الشاعر يتوعد الصهاينة بالخروج منها بقوة السلاح (م 17):

بِأَنَّكُمْ مِنْ مِصْر تخْرُجُونْ..

وَأَنَّكُمْ فِي تِيهِهَا سَوْفَ تَجُوعُونَ وَتَعْطَشُونْ

---

1 محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي، دارسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، دار النشر للجامعات، القاهرة – مصر– ط1، 2005، ص 24.

وَمِنْ ذُرَى الجُولَانِ تَخْرُجُونْ..
وَضِفَّةِ الأُرْدُنِ تَخْرُجُونْ..
بِقُوَّةِ السِلَاحِ تَخْرُجُونْ..

لعلّه يحيي نخوة العربي الذي لن يبقى راضيًا بالضيم وتجرّع الذلّ ليستعيد كرامته ومجده الضائع.

د- سياق الموقف: في هذا النوع من السياق يعبرّ المرسل عن مكونات العالم الحقيقي بتعبيرات لغوية، فإنّ السياق المقامي يوفّر جزئيًا بعض العوامل التي من شأنها أن تفرز الخطاب وتحدد معاني تعبيراته [1]، فسياق الموقف هنا يمثل جميع الظروف الاجتماعية والسياسية التي يعيشها المجتمع العربي والإسلامي بعد هزيمة حزيران وما قبلها من التنازلات التي ألفتها الأمّة العربية والإسلامية كما ورد في (م 4):

المَسْجِدُ الأقْصَى، شَهِيدٌ جَدِيدْ
نُضِيفُهُ إِلَى الحِسَابِ العَتِيقْ

فهذه الملفوظات في ظاهرها تدلّ على عدم اكتراث بالمصاب الجلل، بينما هي في الواقع تحمل كلّ معاني الحزن والأسى، في الوقت الذي تنتشي فيه إسرائيل بحلاوة النصر، لأن العرب تحجروا ولن يستطيعوا أن يحركوا ساكنًا بعد الهزيمة التي أوهنت عزمهم وأثقلت كاهلهم...

هذه الظروف لا يكاد عربي يهضمها، فكيف يتقبلها الشاعر، وهو أرهف الناس إحساسا وأرقهم وجدانًا؟ فهو لا يدري ماذا يقول وماذا يفعل؟ فالشعراء العرب تباينت مواقفهم في مثل هذا الوضع، فمنهم من زعزعت النكسة إيمانه فكفر بكلّ شيء وانطلق لاعنًا وساخطًا، ومنهم من استبد به اليأس فصمت صمتًا بليغًا معبرًا عن حالته وحالة المجتمع العربي المضطربة، وهناك من أخذ يتأمل ويدرس محاولاً أن يخرج من النكسة بدرس أو عبرة.

فهذه الأزمة التي كان يعانيها الشاعر العربي أزمة طاحنة، غيرت مسار الشعر العربي عامة، وشعراء القضية الفلسطينية خاصة، والشاعر الحق هو الذي ينطلق لسانه صادحًا في مثل هذه الظروف، فشعره ليس ببضاعة يبتغي من ورائها رزقًا أو شرفًا خاصًا مثل ما يفعل كلّ رويبضة تافه،

1 الشهري عبد الهادي بن ظافر ، استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية، ص 43

وإنّما هو الشاعر الذي يشارك أمّته كلّ أحوالها آلامها وأفراحها، لعلّه يصل برسالته إلى الأمل المنشود، وهو التأثير الذي هو غاية الشاعر يحدث بفعل مواقف كثيرة متشابهة، حاضرة تزول أحداثها وتبقى انطباعاتها، وما تولده في عقول المتلقين من متصورات وحقائق وما يختلج في النفوس من عواطف ومشاعر؛ بحيث متى عرضت عليها نفس الحقائق في قالب عالم مماثل، وهو مضمون الخطاب، انطبقت على ما انطبع سابقًا من المواقف الحاضرة أو المتصرّمة حديثًا، فنجد التفاعل المماثل أو الإدراك الشبيه، ويظلّ يتنامى حتّى يستوي موقفًا بعد عاطفة ووعيًا، ثمّ حركة بعد عزم، ويلعب الخيال أو المتصورة كما يطلق عليه ابن سينا دورًا فعالاً في هذا المجال [1].

فبفعل هذه الظروف الخانقة التي يمرّ بها الوطن العربي كان لزامًا على الشعراء العرب أن ينخرطوا جميعًا في سلك جديد يمثل الواقعية المعبّرة عن الوجدان الجمعي يتعلقون فيه بالوطن وينفعلون بهمومه وأشجانه، ليغدو الوطن المحور الأساسي في شعرهم، هذا ما حدث لـ "نزار قباني" بفعل نكسة حزيران الموجعة 1967 الممثلة لأفدح جرح قومي، فانهمرت قصائده السياسية في حركة كاسحة، فيما يمكن أن نسميه (جلد الذات) عبر عدد ضخم من القصائد والمطولات بعضها محدد التاريخ وملموس الوقائع، وبعضها مجهول الزمن[2]، لتكون النكسة التي لم يحتملها الشاعر العربي العامل الفاصل في تحول الشاعر "نزار" من شاعر الحب إلى شاعر الوطن والسياسة، أو لنقل من نزار العاشق إلى نزار الغاضب على الزمن العربي – ولو أنه لم يفصل بين المرأة والوطن– وهو ما عبر عنه في قصيدته "هوامش على دفتر النكسة":

يَا وَطَنِي الحَزِينْ
حَوّلْتَنِي بِلَحْظَةٍ
مِنْ شَاعِرٍ يَكْتُب شِعْرَ الحُبِّ وَالحَنِينْ
لِشَاعِر يَكْتُب بِالسِكِّينْ [3].

1 سعد مصلوح، حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر، عالم الكتب، القاهرة – مصر– ط1، 1980، ص 11، نقلا عن نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة – الجزائر– ط1، 2009، ص 53.

2 أحمد عبد الله محمد حمدان، دلالات الألوان في شعر نزار قباني، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية في نابلس – فلسطين– 2008، ص15.

3 نزار قباني، الأعمال الشعرية والسياسية، المجموعة الكاملة، منشورات نزار قباني، بيروت – باريس، ط17، 2007،ج3، ص699.

ليهجر الشاعر معشوقته (المرأة) ويهيم بمعشوقته (الأرض) التي: « أشار لها الشعراء بكلّ ما في لغة العشاق من ألفاظ صالحة وشفافة ودافئة، كي تجسد هذا العشق الكبير في صور فنية اتسعت لتملأ المكان فيما بين مفردات الواقع وسبحات الخيال» [1].

وبحضور كل عناصر السياق المرسل والمرسل إليه والرسالة والموضوع يحصل نوع من التفاعل والحركية فيما بينها مفرزة بذلك متخيلا شعريًا يسهم في تغيير الواقع بعد تصويره، فالذات المنشئة للخطاب تعمل على تحريك الشعوب العربية وتعبئتها من جهة وقذف الرعب وزعزعة كيان الصهاينة من جهة أخرى، بتذكيرهم بمآلهم المحتوم الذي يعرفونه أكثر من غيرهم مثلما هو وارد في (م 22):

نَحْنُ الذِينَ نَرْسُمُ الخَرِيطَهْ
وَنَرْسُمُ السُفُوحَ وَالهِضَابْ
نَحْنُ الذِينَ نَبْدَأُ المُحَاكَمَهْ
وَنَفْرِضُ الثَوَابَ وَالعِقَابْ

فلسان حال الشاعر يقول: إنّ العربي يعرف كيف يحافظ على أرضه، وهو الوحيد الذي يرسم حدودها دون أن يتنازل ولو على شبر منها مهما كلفه الأمر من تضحيات، لأنّ ما أخذ بالقوة لا يسترد إلاّ بها، وقد أنشد "شوقي" (الوافر):

وَللحرّية الحمرَاء بَابٌ بكلّ يد مضرّجة يدقّ [2].

ثانيا – المؤشرات (الملفوظات المفصلية):

يحمل الخطاب ألوانًا من مظاهر التعبير ذات الخصوصية البارزة، ولا يمكن فهمه دون تحديد مواضيعها والوقوف على دلالاتها، فهذه المؤشرات كانت ملفوظات مركزية في الخطاب(مفتاحية) أو مضمرات أو إشاريات زمانية ومكانية فإن لها بالغ الأثر في ربط حبال التواصل بين المشاركين لتحقق غايتها التداولية عندما يحسن المبدع استعمالاتها تماشيًا مع السياق الواردة فيه، وبهذه المحددات اللفظية يمكن سبر كوامن الخطاب الأدبي ومعرفة مقاصد المؤلف ومدى تأثيره على المخاطب، وبالتالي تحقيق البعد البرجماتي والنفعي الذي نسج من أجله الخطاب، ومن هذه المؤشرات:

1– الألفاظ المفتاحية: وهي الألفاظ المركزية التي يوظفها المبدع من أجل التعبير عن موقفه، وأبرزها:

1 عبد الله سرور، أثر النكسة في الشعر العربي، الإسكندرية – مصر– (د.ط)، 1988، ص 135.

2 أحمد شوقي، الديوان، تحقيق: إميل كبا، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت – لبنان– ط2، 1999، 379/2.

أ– مؤشر البقاء: إنّها الكلمة الأولى التي تقرع أذن السامع، وهي غاية الشاعر من خطابه، فدلالتها المعجمية البقاء، في أسماء الله الحسنى الباقي: هو الذي لا ينتهي تقدير وجوده في الاستقبال... ويعبر عنه بأنه أبدي الوجود، والبقاء ضد الفناء[1]، فبهذا المنطلق تعني الثبات والدوام، جاءت على صيغة اسم الفاعل (باقون) – هكذا– على وجه التفعيل والاستمرار، هذا البقاء يمسّ كل ما يحيط بهذا المجموع (نحن) وما هو متصل به، وفي هذا الاصطلاح طمأنة لنفسه ولأمّته وتحد صريح للصهاينة الذين زعموا أن العربي انتهى واندثر مثلما تبدد الهنود الحمر، وهل يعقل أن ينسلخ العربي من مقدساته، أو أن ينسى المسلم قرآنه ونبيّه، أو أن يهجر المسيحي صليبه، فالشاعر في هذا الخطاب جمع بين المسلم والمسيحي لمواجهة عدو واحد لهما ولكلّ الإنسانية (م 1):

بَاقُونَ كَالحُفَرِ عَلَى صُلْبَانِهَا
بَاقُونَ في نَبِيِّهَا الكَرِيمِ، فِي قُرآنِهَا
وَفِي الوَصَايَا العَشْرْ..

إنّه بقاء وثبات اتصل فيه الأزلي بالأبدي، فـ "نزار" أراد أن يصل المؤشر (باقون) في سياقه اللغوي المباشر بالسياق الخارجي (الموقف)، كاستجابة لما أخذ من أرض العرب، فالعربي باق في أرضه شديد الالتصاق بها، فهو باق مادامت الأيام، متشبث بكلّ مقدس من مقدساته، وبكلّ ما هو متأصل في تاريخها ووجدانها، وفي هذا الترتيب لهذا النوع من البقاء توسيع من الشاعر لدائرة التأثير، فهو إلى جانب المسلمين يستنهض المسيحيين ليحافظوا على كينونتهم.

ثم ليؤكد ثبات العربي على أرضه باستمرار لغة العروبة التي ستظل مرتبطة بها، فأنى للعبرية أن تحل محل لغة امرئ القيس وأبي تمام، أو لغة من أحبهم الشاعر؟ (م 13):

بَاقُونَ فِي شِعْرِ امْرِيءِ القَيْسِ، وَفِي شِعْرِ أَبِي تَمَّامْ
بَاقُونَ فِي شِفَاهِ مَنْ نُحِبُّهُمْ
بَاقُونَ فِي مَخَارِجِ الكَلَامْ..

1 ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب، مادة (بقي)، المجلد 89/14.

إنّ هذا التكرار المطرد للفظة (باقون) أدى فائدة التحدي والإصرار، وإثبات الأرض لأهلها، إذْ لم يكن هذا التكرار هدرًا وحشوًا، يقول ابن الأثير:" فإن رأيت شيئًا منه تكرر من حيث الظاهر فأنعم نظرك فيه، فانظر إلى سوابقه ولواحقه لتنكشف لك الفائدة منه" [1].

قام "نزار" بتكرار هذا المؤشر للربط بين البنية السطحية المحيلة إلى غرض معين من أغراض الكلام، وهو التأكيد الذي يصل في آخر مراتبه إلى الإقناع، لاسيما تكرار الوحدة المعجمية نفسها في أول السطر كما هو وارد في المدونة. و هذا النوع من التكرار يفرض حضوره على المتلقي ويوجّه دلالة السياق بوصفه يشكل مفتاحًا يمكن اختزاله في موقع ثابت... ويعمل بحضوره واسترساله مع تعميق الدلالة عن طريق التداعي [2]، وقد اعتمد "نزار" على هذا النوع بمعدل تكرار قدره 27 مرة.

فتكرار كلمة (باقون) في أول العبارة وهو ما يسمى: بتكرار الاستهلال جعلها مركزًا دلاليًا تتفرع عنه دلالات لاحقة كلّها ترمي إلى تأكيد حق العربي في البقاء على أرضه محافظًا على هويته.

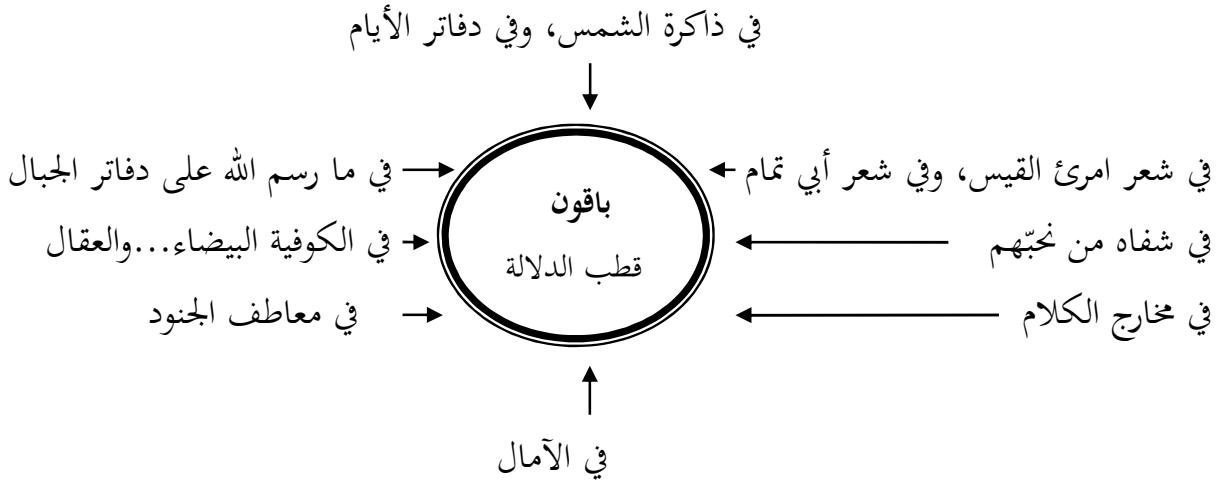

بقاء متصل بالحياة مادامت مستمرة في الزمان والمكان، وفي العادات والتقاليد (الأصالة)، وفي العروبة التي لا تطمس، وفي الإسلام والمسيحية والأمل...

1 ابن الأثير (ضياء الدين)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوى طبانة، دار النهضة للطبع والنشر، القاهرة، ط2، (د.ت)، 2/ 08.

2 هايل محمد الطالب، قراءة النص الشعري لغة وتشكيلا- نزار قباني نموذجًا تطبيقيًا – دار الينابيع، دمشق- سوريا، ط2، 2008، ص 102.

ب- مؤشر الطلوع: استعمل "نزار" هذا المؤشر لربط الخطاب بالغاية التي من أجلها وجد، وفيه وعيد من صاحب المقولة (العرب) للمخاطب (الصهاينة) بأنّ الموت مخبوء لكم في كلّ ما ينتظر أو لا ينتظر، فدلالة الوحدة معجميًا، طلع فلان علينا.. أتانا وهجم علينا.. ومن الاطلاع بمعنى الهجوم قوله تعالى : ﴿ **لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ**﴾ **[الكهف18]**؛ أيّ لو هجمت عليهم ووافيت عليهم [1]، وهذه الدلالة التي يرمي إليها نزار وكلّ عربي، فالكلّ متربص بكم بني صهيون ومنبثق أمام وجوهكم ليسومكم سوء العذاب الذي تستحقون.

فاستعمل الشاعر المؤشر (نطلع) وما كان في معناه نأتي، نخرج، موعدنا، بغرض التهديد والوعيد لليهود من جهة، وحشد واستنفار للعرب من جهة أخرى، لتخرج هذه الوحدة عن دلالتها المعجمية مؤدية بذلك دلالات تتناسب مع السياق الواردة فيه، نجد دلالة المفاجئة (م 10):

نَطْلَعُ فِي رُومَا.. وَفِي زُورِيخَ..
مِنْ تَحْتِ الحَجَرْ
نَطْلَعُ مِنْ خَلْفِ التَمَاثِيلِ..
وَأَحْوَاضِ الزَهَرْ..
رِجَالُنَا يَأْتُونَ دُونَ مَوْعِدٍ

لكن العربي والفلسطيني هل كان غائبًا حتى يطلع؟ – وهذا لم يفت الشاعر- وإنما ربط الطلوع بالثورة التي يتوقعها الصهاينة – وما أعمالهم البشعة ووحشيتهم إلاّ دليل على خوفهم منها- لهذا ارتبط الطلوع بالفلسطيني المتشبث بأرضه الخراب، وبأمّه وأبيه، وبكلّ مقومات أصالته (م 25):

أَنَا الفِلِسْطِينِيُّ
بَعْدَ رِحْلَةِ الضَيَاعِ وَالسَرَابْ
أَطْلَعُ كَالعُشْبِ مِنَ الخَرَابْ
أَطْلَعُ كُلَّ لَيْلَةٍ..
مِنْ فُسْحَةِ الدَارِ.. وَمِنْ مَقَابِضِ الأَبْوَابْ

1 الزبيدي مرتضى ، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد العليم الصحاوي، سلسلة التراث العربي تصدرها وزارة الإعلام – الكويت- 16- (د.ط)، 1984، 21/ (447-448).

أَطْلَعُ مِنْ صَوْت أَبِي..

وَمِنْ وَجْهِ أمِّي، الطَيِّبِ، الجَذَّابْ

فهذا التكرار الظاهر في صدر الأسطر الشعرية غايته إبراز الذات الممثلة لفحوى الخطاب، فـ"نزار" استطاع أن يتقمص شخصية الفلسطيني الذي اندفع من تراب شذاه يعبق قداسة ونبوءة (م 25):

أَطْلَعُ مِنْ رَائِحَةِ التُرَابْ

تكرر الجذر اللغوي (طلع / أطلع) سبع مرات، بصيغة المضارع في جميعها، مع اختلاف جهة الإسناد:

- مرتان للجماعة (نطلع).
- خمس مرات للمفرد، وفي استعمال المفرد أكثر تأثير على المتلقي، وكأنّ "نزارا" يخاطب كلّ غيور على فلسطين والوطن العربي السليب على حدة.

التكرار الصوتي يشكل انزياحًا أسلوبيًا يستهدف حالة لغوية وتوكيدها عدّة مرات من أجل الوصول إلى وضع شعري معين، إذْ يساعد على تكثيف الدلالة وتلوين النص بمعان ثانوية [1].

قد يبدو التكرار نوع من الإطناب، وزيادة الألفاظ عن المعاني، ولكن إن أنعمنا النظر وجدناه تكرارًا لم يرد إلاّ لفائدة تأكيد المعنى المقصود، والمبالغة فيه، لاسيما في الخطاب الحجاجي الذي يرمي صاحبه إلى الإقناع، وفي هذا المقام يكون التكرار أبلغ من الإيجاز وأحسن وأشدّ موقعًا، يقول ابن الأثير: « إنّ التكرير إنّما يأتي لما أهمّ من الأمر»[2]، وأيّ أمر أهم من القضية التي شغلت بال الشاعر وبال كلّ عربي.

هذا التكرار لمثل هذه المؤشرات إنّما هو تكرار وظيفي، لما له من إمكانات تعبيرية يتميز بها أسلوب عن آخر، فالأثر الذي يتركه المقطع المكرر في نفس المتلقي أن يجعله وكأنه قد قرأ المقطع المكرر من قبل، لكن سرعان ما تظهر له دلالة ثانية تختلف عن سابقتها، وذلك لا لشيء إلا أن السياق الذي أستعمل فيه المكرر مختلف، وهو من بواعث السرور لدى المتلقي، لأن هذه الآلية قد كسرت أفق توقعاته.

---

1 بوقرة نعمان ، مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، الكتب الحديثة، ط1، 1428هـ - 2008م، ص 41.

2 ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، 2/ 11

2- الإشاريات الشخصية:

من الإشاريات الشخصية البارزة في خطاب المدونة (نحن) و(أنتم) اللذان يمثلان ثنائية قامت عليها القصيدة، إذْ يعتبرها "جاكبسون" Jacobson ومن بعده من الألسنيين محركات مفصلية في عالم الخطاب [1]، فالضميران (نحن وأنتم) هما قطبا العملية التواصلية ومن خلالهما يمكن للمرسل أن يؤثر على المتقبل.

لكن عن أيّ (نحن وأنتم) نتكلم في هذا المقام؟ إنّها إشاريات وإنّ بدت ضربًا من التجريد في علم الخطاب فإنها صورة حيّة عن واقع طاحن يسمه صراع سرمدي بين الـ (نحن) والـ (أنتم)؛ فـ (النحن) يجمع بين (أنا) الشاعر والعربي الذي قطعت أطرافه بفعل فاعل، وهو الـ (أنتم)، هذا الأخير الممثل لقوى الشرّ من اليهود وأتباعهم المتآمرين على الوطن العربي.

تفصح هذه الثنائية عن معاداة بينهما منبثقة من دوافع عرقية ودينية وتاريخية وثقافية، إذْ انطلقت ذات الشاعر المندغمة في المجموع (نحن) إلى تفعيل الصراع وتأجيجه في زمن استبد فيه الخنوع والهوان بالأمّة، ليتحول هذا الـ (نحن) في عالم الخطاب إلى قوة لا تقوض، وإلى كينونة لا تمزق ولا تطمس، إنّه صراع البقاء الذي يحمل كلّ مظاهر التحدي والصمود على نحو ما أورده "نزار" في (م 1):

لَنْ تَجْعَلُوا مِنْ شَعْبِنَا
شَعْبَ هُنُودِ حُمْرْ
فَنَحْنُ بَاقُونَ هُنَا..

ولا يقف عند هذا الحد، إذْ يتجه الـ (نحن) في ثنايا الخطاب إلى التهديد والوعيد، وهما الغرضان اللذان تقف عندهما مقصدية (أنا) الشاعر الناطقة بلسان المجموع، هذا الاندغام المعبّر عن أسمى معاني الانتماء المتجسدة بشكل مطرد في ثنايا الخطاب مع الضمير (نحن) باختلاف استعمالاته.

وإذا تتبعنا نتاج الشاعر، وهو عمله الإبداعي لوجدنا المؤشر (نحن) مكررًا بكثافة لافتة للنظر، سواء أكان ضميرًا منفصلا (نحن)، أم متصلا (نا)، أم مستترا، ليؤدي هذا التكرار وظائف ودلالات مختلفة. ولو أنّ هذا الـ (نحن) قد ينشطر إلى قائل ومقول له، لأنّ "نزارا" على يقين تام بأنّ القصيدة

1 نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء، ص 65.

قبل أن تكون موجهة لمخاطب بغيض، فهي موجهة لأخيه العربي السليب، لتقيم علاقة حميمية معه يجمعها المصير المشرك.

فالمرسل في استعماله للضمير (نحن) دليل على حضور الطرف الآخر أو استحضاره، حتى لو كان غائبًا عن عينه، انطلاقًا من أنّه « يسمى ضمير المتكلم والمخاطب ضمير حضور، لأنّ صاحبه لابدّ أن يكون حاضرًا وقت النطق به»[1] فالشاعر في هذه القصيدة أدغم (الأنا والأنتم) لدلالة التضامن فيما بينهم، وهو ما يظهر في بنية الخطاب العميقة، وهذا طبعًا في خطاب الشاعر مع أبناء قومه، وعندما يستعمل المرسل (نحن) الشاملة (أنا، أنتم) التي تدلّ على أن اهتمامات المرسل، هي ذاتها اهتمامات المرسل إليه، وكأنّهما مرسل واحد. فالمرسل يمارس نوعًا من السلطة والصلاحية، وذلك بإشراكه عددا من الآخرين معه في إرسال الخطاب [2]، وهذا النوع من المخاطبات يعد أكثر أنواع الخطابات جماهيرية، لتوحد المشاعر بين المرسل والمرسل إليه، لكن السؤال الذي يطرح نفسه هل الـ(نحن) يفي بشرط الإخلاص الإنجازي الذي وضعه "سيرل" أم يبقى لعبة لغوية همّها تحقيق التضامن؟

الواقع الذي تعيشه الأمّة العربية بعد النكستين الأولى 1948م، والثانية 1967م، وفي ظل سيطرة اليهود، يثبت- من جهة- أن مثل هذه الخطابات التي يلتزم أصحابها بتحرير القدس ومقاتلة اليهود تبقى مجرد ألعاب لغوية لافتقادها شرط الإخلاص؛ لأنّ المتكلم يزعم أنّه قادر على فعل مالا يستطيع، ولهذا تكون ردّة فعل المواطن الفلسطيني سلبية كأن يقول: لا يهمنا الخطاب بقدر ما يهمنا الفعل الحقيقي، إنّهم يتكلمون ويلتزمون أمام العالم ونحن ندفع الثمن، لأننا وحدنا من يفعل الفعل الحقيقي – ومن جهة- أخرى قد يفي بهذا الشرط، لأنّ الـ (نحن) يقول ما يعتقد صدقة فـ"نزار" وكلّ العرب على يقين بأنّ اليهود لا يمكنهم طمس هوية الشعب العربي أو القضاء عليه كما فعلت أمريكا بشعب الهنود الحمر (م 3):

لِأَنَّكُمْ لَسْتُم كَأَمْرِيكَا

وَلَسْنَا كَالهُنُودِ الحُمْرْ

1 عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة – مصر- (د.ط)، (د.ت)، 1/ 218.

2 الشهري عبد الهادي بن ظافر ، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 293.

فـ"نزار" يخاطبهم بما يعتقده يقينًا، أنّ اليهود لا قرار لهم في الأرض، ومآلهم إلى تشتت، معتمدًا بذلك على المرجعية الدينية التي استقى منها هذه الحقيقة، ذلك أن الأرض المقدسة (*) التي حرمها الله عليهم لمخالفتهم أمر ربّهم وعصيان نبيهم عندما حدثهم النقباء بحال الجبابرة، رفعوا أصواتهم بالبكاء، وقالوا: ليتنا متنا بمصر فعاقبهم الله تعالى بالتيه بعد الدعاء عليهم (*) لفرط ما حلّ به من الحسرة والحزن، فشكا لله بثّه أن يفرق بينه وبينهم [1].

فالشاعر أراد أن يذكر بني صهيون بتيههم بطور سيناء، وما نزل عليهم من العذاب والنكول، ليقول لهم أن التاريخ يعيد نفسه (م 3):

فَسَوْفَ تَهْلَكُونَ عَنْ آخِرِكُمْ

فَوْقَ صَحَارِى مِصْرْ..

إن علاقة الـ (نحن) بالـ (أنتم) التي تقتضي أن تكون مجسدة تداوليًا لتكريس مبدأ التعاون واحترام قواعد المحادثة، لا تكاد تكون موجودة واقعيًا بين متخاطبين ليس بينهما ميثاق، أثبت الواقع تناحرهما، فقد ورد مؤشر الـ (أنتم) في صورتيه، واو الجماعة وكاف الخطاب المصحوبة بميم الجمع (كم) بقدر يتجاوز قاعدة الكم، إذ لا يكاد تهديد أو وعيد مضمنًا في القول يذكر دون أن يكون هناك حضور للضمير (أنتم)، وفي هذا الحضور موازنة من الشاعر له مع المؤشر (نحن) لتجسيد الصراع القائم بين العرب واليهود.

والـ (أنتم) تمثل الآخر السالب الأرض، والغازي الديار، والمنتهك الحرمات، والبائع الأطفال، والمتجني عن الديانات (م 11):

لَقَدْ سَرَقْتُمْ وَطَناً..

فَصَفَّقَ العَالَمُ لِلمُغَامَرَهْ

صَادَرْتُمْ الأُلُوفَ مِنْ بُيُوتِنَا

---

* أرض بيت المقدس، وقيل الطور وما حوله، وقيل الشام، وقيل فلسطين ودمشق وبعض الأردن، ينظر الزمخشري، الكشاف 1/ 620.

*قال تعالى:﴿ قَالَ ربِّ إنِّي لا أمْلُك..... فلا تَاس عَلَى القَوْم الفَاسقِين﴾ [المائدة 26]، قال ابن عباس: " اقض بيني وبينهم، عوقبوا على نكولهم بالتيهان في الأرض يسيرون إلى غير مقصد ليلا ونهارًا، صباحًا ومساءً، ويقال أنّه لم يخرج أحد من التيه ممن دخله، بل ماتوا كلّهم في مدة أربعين سنة، ولم يبق إلاّ ذراريهم سوى "يوشع" و"كالب" عليهما السلام". ينظر: ابن كثير (أبو الفداء الحافظ)، قصص الأنبياء من القرآن والأثر، تحقيق: صدقي جميل القطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان- ط1، 2003، ص 279.

1 الزمخشري، الكشاف، 1/ (620-621).

وَبِعْتُمْ الأُلُوفَ مِنْ أَطْفَالِنَا
فَصَفَّقَ العَالَمُ للسَّمَاسِرَهْ
سَرَقْتُمْ سَرَقْتُمْ الزَيْتَ مِنَ الكَنَائِسِ
سَرَقْتُمْ المَسيحَ مِنْ مَنْزِلِهِ فِي النَاصِرَهْ

ومن ثم وجب عقاب السارق مهما كانت قوته ودعامته، لكن من يعيد للمظلوم حقّه؟ لا شكّ أنه الوحيد الذي بمقدوره أن يدوس على جماجم جلاديه، ويعيد للخريطة شكلها الطبيعي الذي أراده الله لها (م 22):

نَحْنُ الذِينَ نَرْسُمُ الخَرِيطَهْ
وَنَرْسُمُ السُفُوحَ وَالهِضَابْ
نَحْنُ الذِينَ نَبْدَأُ المُحَاكَمَهْ
وَنَفْرِضُ الثَوَابَ وَالعِقَابْ..

هذه الخريطة التي طمست معالمها، وحرّف رسمها بعد المؤامرة التي حيكت على العربي، وللأسف كان واحدًا من المتآمرين، هذا ما أثار حفيظة الـ (نحن) الذي لم يجلْ في خاطره أن يتنازل ولو على شبر واحد من أرضه، فكيف إذا تعلق الأمر بأقاليم تنهب ومقدسات تستباح.

في هذه المحنة وجّهت أصابع الاتهام كلّها للمقاومة الفلسطينية دون التخاذل والتقاعس العربي، فنحن العرب كأنّنا أمام حوار ساخف بين المتهم (المقاومة الفلسطينية) والمحققين (الأنظمة العربية) في مناخ الحرب العربية الإسرائيلية عام 1967حيث البيانات المعلقة والطائرات الساقطة والدفاع الجوي المتهاوي والناطق العسكري المثرثر الذي يقول ولا يفعل شيئًا [1]، كلّ هذه الظروف مجتمعة أدّت إلى سخط جماهيري واسع ممثل بالمؤشر (نحن) الذي سخط على هذا الرعيل من الساسة والقادة الذين وهنوا واستكانوا وهانت عليهم أرضهم ومقدساتهم، ليكونوا ممن ينطبق عليهم قول "المتنبي" (الخفيف):

مَن يَهُن يَسهُلِ الهَوانُ عَلَيهِ ما لِجُرحٍ بِمَيِّتٍ إيلامُ [2]

1 مصطفى عبد الغني، الاتجاه القومي في الرواية، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت– 188– (د.ط)، 1994، ص 189.

2 أبو الطيب المتنبي (أحمد بن الحسين الجحفي الكندي)، الديوان، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت – لبنان– (د.ط)، 2005،ص 174.

كلّ ذلك أدى إلى إجماع عربي لأول مرّة على التواصل مع جذورهم العربية عندما أحسوا الخطر على الهوية العربية جراء ما حدث بعد الهزيمة التي لا تعدو أن تكون كبوة.

3- الإشاريات الزمانية: إنّ لمؤشر الزمن دورًا حاسمًا في كشف معاني الخطاب، إذْ أن الجهل به يؤدي إلى التباس المعنى على القارئ، فالزمن يحدده السياق الذي تستخدم فيه إشاريات الزمان، فالزمن في تصور "أندري لالاند" A .Laland هو ضرب من الخيط المتحرك الذي يحرك الأحداث على مرأى من ملاحظ هو أبدًا في مواجهة الحاضر، وهو مظهر وهمي يزمن الأحياء والأشياء فتتأثر بمضيه الوهمي غير المحسوس[1]، فالزمن صار ظاهرة تحمل دلالات متنوعة رمزية أو كونية أو فلسفية، ولم يعد ذلك الزمن التقليدي المرتبط بالماضي والحاضر والمستقبل، بل اتسع لمجالات نفسية وذهنية على مستوى الذات، وليشمل الذاكرة التاريخية، وامتدادات المستقبل للجماعات والأمم [2]، وهذا ما سيتم رصده في هذه المدونة.

تتشكل القصيدة بنائيًا من سبعة وعشرين مقطعًا مفصليًا يجمعها خيط زماني يدلّ على الحركية والتجديد، بما يناسب طموح الشاعر الذي يصبو إلى تجاوز الواقع العربي الذي تخيم عليه سكونية مميتة في ظل الفاجعة والسقوط المتواتر للشرف والسيادة.

فهناك **الزمن الكوني (الخارجي المتواصل)**، وهو زمن موضوعي يظرف الأشياء والأحياء، وهو زمن طولي سرمدي، لكن حركته ذات ابتداء وانتهاء [3]، واستعمال هذا الزمن من الشاعر له دلالته النفسية كما هو ممثل في الجدول الآتي:

الزمن الكوني	المقطع	الدلالة
فجر العمر، تاريخها	م 1	التأكيد والإثبات
الساعة	م 8	التنبيه والتحدي والوعيد

1 مرتاض عبد الملك ، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب -الكويت- عدد 240، ديسمبر 1998، ص 172.

2 فوغالي باديس ، الزمن ودلالته في قصة من البطل، لزليخة السعودي، مجلة العلوم الإنسانية، دورية علمية محكمة تصدرها جامعة محمد خيضر، بسكرة -الجزائر- جوان 2002، عدد 2، ص 52.

3 مرتاض عبد الملك ، في نظرية الرواية، ص 175.

دفتر الأيام	م 13	الإصرار والتحدي
حين يجيء المغيب	م 14	الوعيد
من رجم الأيام	م 27	التهديد والوعيد والتحدي

وهناك **الزمن المتعاقب**، وهو « زمن دائري لا طولي، وهو تعاقبي في حركته المتكررة، لأنّ بعضه يعقب بعضًا، كزمن الفصول الأربعة، تجعل الزمن يتكرر في مظاهر متشابهة» [1] ، ولورود هذا الزمن إيحاءات نفسية ممثلة في الجدول الآتي:

الزمن التعاقبي	المقطع	الدلالة
آذارها، نيسانها	م 1	الأصالة (التراث، والحكايات الشعبية، والأمثال في المشرق العربي)
عام، خمسة، عشرة، ألف عام	م 13	التهديد والوعيد والتحدي
أطلع كلّ ليلة	م 25	استمرار المقاومة والالتصاق الأبدي بالأرض

وهناك **الزمن المنقطع**، وهو الزمن المرتبط بحدث معين حتى إذا انتهى لغايته انقطع، نحو أعمار الناس، ومدد الدول الحاكمة، وفترات الفتن، وهو زمن لا يكرر نفسه إلاّ نادرًا، فهو زمن طولي[2]، يمكن أن نمثل دلالته كالآتي:

1 المرجع السابق، ص 175.

2 المرجع نفسه، ص 175.

الزمن المنقطع	المقطع	الدلالة
ليس حزيران	م 15	الوجع العربي وزمن الوعي
ظلّ الفلسطيني أعوامًا	م 21	استمرار المعاناة
بعد حزيران	م 23	التحول من الاستكانة إلى المقاومة

فالشاعر من خلال استعماله لهذا الزمن المنقطع يشير إلى أنّ حزيران يمثل نكسة لا يمكن أن تتكرر، فالمؤمن لا يلدغ من الجحر الواحد مرتين، وأنّ سني القهر التي ظلها الفلسطيني زمنها قد ولّى، والعرب بعد حزيران تحوّلوا، تحولوا (م 24):

وَالعَرَبُ الذِينَ قُلْتُمْ عَنْهُمْ تَحَجَّرُوا..

تَغَيَّرُوا..

تَغَيَّرُوا..

أمّا **الزمن النفسي الذاتي**، فهو يعني تحويل ذات الزمن العادي إلى زمن غير عادي [1]، نحو تحويل الزمن الطويل إلى قصير في حالات السعادة والحبور، وتحويل الزمن القصير إلى طويل وقت الضيق والضنك، وهذا الاستعمال يتوقف على حال الشاعر النفسية:

الزمن الذاتي	المقطع	الدلالة
تجمعوا منذ ثلاثين سنة	م 16	الاضطهاد والمعاناة
في أيّ لحظة	م 16	التمني والتهديد
يوم من القمقم يطلعون	م 19	الأمل والتمني والوعيد

1 المرجع السابق، ص 176.

إنّ النفس المنشئة للخطاب أحست بالمرحلة ما بين النكستين (1948-1967) والمقدرة بتسع عشرة سنة، وكأنّها ثلاثون سنة لفرط ما لاقاه الفلسطيني من المعاناة والقهر في غرف التحقيق ومراكز البوليس، ثمّ ليزج به في السجون الإسرائيلية ظلمًا وعدوانا، فما عسى هؤلاء فاعلون؟ (م 24):

فِي أيِّ لَحْظَةٍ

مِنْ كُلِّ أَبْوَابِ فِلِسْطِينَ يَدْخُلُونْ..

هاته اللحظة هي التي ينشدها "نزار"، وكلّ جموع العرب التي تتقطع غيظًا لهذا المصاب الجلل، فهم سيطلعون (يومًا) – هكذا على التنكير– ليؤدي دلالة المفاجأة والمباغتة للصهاينة، وما يحمله كذلك من دلالات الشغف والترقب للنيل من عدوهم.

ويضاف إلى هذه الأنواع من الزمن، **الزمن النحوي** المتعلق بأزمنة الفعل (الماضي، الحاضر، المستقبل)، وهذا الزمن يغير المنشئ في دلالاته بما يناسب الموقف الذي تستعمل فيه الصيغة، ومن ثم تتسنى إمكانية التعرف على أزمنة الفعل المتماهية في متن الخطاب.

أ) **الزمن الماضي ودلالاته:** يمكن رصد هذا الزمن بالاعتماد على صيغة الماضي المؤدية دلالته الأصلية والمضارع الذي قلب زمنه إلى الماضي، وذلك بتحديد الصيغة والمقطع الواردة فيه ثمّ الغرض من ذلك:

أ–1 صيغة الماضي الدالة على الماضي:

صيغة الماضي وعدد تكرارها	المقطع	الدلالة
عشقنا، كتبنا، وجدنا، لعبنا	م 01	الإثبات والتأكيد
قطعت، كسرت، ظلت	م 03	التنبيه بغرض التحدي
هزمتم، قطعتم	م 08	الإصرار والمقاومة من أجل البقاء
جاء	م 09	التهديد والوعيد
سرقتم (4 مرات)، صفق (4مرات)،	م 11	تحقيق الفعل وتأكيده والتحقير والازدراء

صادرتم، بعتم، خطفنا		إظهار الحزن والأسى والحرقة، والتعجب
تجمعوا (مرتين)	م 16	التحدي والإصرار
مات، قتلناه، أطعمناه، قطعنا، علقناه، جعلنا	م 20	التحوّل والتغيير
ظلّ، أخرج، زيّت، أصبح	م 21	استمرار المعاناة، التحوّل والتغيير، النسبة؛ أيّ نسبه للزيت والتحول، الدخول في الزمن والمكان
كانوا، تحولوا، انتقلت (مرتين)	م 23	التحوّل للعرب (التهديد والوعيد، التذكير)
ماج، أورق، قلتم، تحجروا، تغيروا (مرتين)	م 23	التذكير والتعهد، والتأكيد على التحول

تلونت صيغة الماضي بدلالات تخدم الموقف الشعري، ففي المقطع الأول كانت في مجملها تدلّ على التقرير والإثبات، إذ يبدو "نزار" مؤكدا على ارتباط العربي بأرضه ارتباطًا أزليًا منذ فجر التاريخ، إلى أن غدا ملتصقًا بخلجاتها وتاريخها ووجدانها، وفي المقطع الثالث أراد أن يوقظ الصهاينة من غرورهم، ويتحداهم أن يطمسوا شخصية العربي، ذلك أنّ المعجزة التي قادتهم إلى النصر لن تتكرر (م 3):

لأَنَّ مُوسَى قُطِعَتْ يَدَاهْ

وَلَمْ يَعُدْ يُتْقِنُ فَنَّ السِّحْرْ

لَأَنَّ مُوسَى كُسِرَتْ عَصَاهْ

وَلَمْ يَعُدْ بِوسْعِهِ

شَقَّ مِيَاهَ البَحْرْ

لتبقى الدلالة العامة لهذه الأفعال الماضية كلها وراء التهديد والوعيد والتذكير المصحوب بالتحقير والتهكم والازدراء والتحوّل والتغير، وإظهار الحزن والأسى.

أ–2 صيغة المضارع الدالة على الماضي: إذا اقترنت صيغة (يفعل) مع إحدى الكلمات الوظيفية التي تضام إليها مثل: (لم)؛ فإن (لم يفعل) تغدو دالة على الماضي المنقطع البعيد، لأن (لم) تسبق صيغة (يفعل) فتبقي الحدث وتجزم الصيغة وتقلب معناها إلى الماضي غير المتوقع [1] كما هو وارد في المقطع الثالث: **لَمْ يَعُدْ يُتْقِنُ فَنَّ السِّحْرْ، وَلَمْ يَعُدْ بِوسْعِهِ شَقَّ مِيَاهَ البَحْرْ**، وفي المقطع الثامن:**هزمتم الجيوش ..إلاّ أنّكم لم تهزموا الشعور**، وفي المقطع العشرين: **وَلَمْ يَعُدْ فِي القَصْرِ غلْمَانٌ.. وَلَا خِصْيَانْ، لَمْ يَعُدْ إنْسَانْ**، فهذا التركيب يساوي الماضي المنقطع البعيد لأنّ الشاعر في معرض بيان تحوّل العرب، فالعرب بعد حزيران ليسوا هم العرب الذين عرفتم وهزمتم.

ويؤدي المضارع دلالة الماضي إذا سبق بـ (كان) أو إحدى أخواتها في نحو قوله (م21):

ظَلَّ الفِلِسْطِينِيُّ أَعْوَاماً عَلَى الأَبْوَابْ
يَشْحَذُ خُبْزَ العَدْلِ مِنْ مَوَائِدِ الذِئَابْ
وَيَشْتَكِي عَذَابَهُ للوَاحِدِ التَوَّابْ

فقد وقع المضارع، يشحذ ويشتكي في خبر (ظلّ) التي تفيد مع معمولها اتصاف اسمها بمعنى خبرها اتصافًا يتحقق طول النهار[2]، وعلى ذلك فإنّ مركب (ظلّ يفعل) يدلّ على الماضي المستمر، وهو ما يصطلح عليه بالزمن المركب.

وفي نفس المقطع يواصل الشاعر:

أَصْبَحَ فِي مَقْدُورِهِ
أَنْ يَبْدَأ الحِسَابْ..

وضعت أصبح لاتصاف المخبر عنه بالخبر في وقت الإصباح، فهي بذلك تدلّ على استمرار الحدث في وقت محدد ألا وهو الصباح، ذلك أن الصيغة (أصبح) تحمل في مدلولها الانقطاع لحالة حدث، فإذا ضامت يفعل فإن المركب (أصبح يفعل) تدل على الماضي المستمر المتجدد [3].

---

1 الريحاني محمد عبد الرحمن ، اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر– (د.ط)، (د.ت)، ص 92.

2 عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة – مصر– (د.ط)، (د.ت)، 1/ 554.

3 الريحاني محمد عبد الرحمن ، اتجاهات التحليل الزمني، ص 112.

ومن دلالة الفعل المضارع على الماضي، إذاما ورد في قول قد قيل سابقًا لزمن الخطاب، نحو ما جاء في (م 17):

وجاء في كتابه تعالى.. (تخرجون، سوف تجوعون وتعطشون، سوف تكفرون)، فرغم الدلالة الأصلية للمضارع على الحاضر والاستقبال مع الضمائم (السين، سوف) إلاّ أن زمنه انتكس إلى الماضي لوقوعه في مقول قول مستهلاً بالفعل الماضي (جاء)، فالغاية من استعمال الشاعر لدلالة الماضي – رغم طبيعة النص الوعيدية والتهديدية– هي إبراز الموقف الشعري وخدمة الهدف العام من الإرسالية، وذلك بالرجوع إلى تاريخ ارتباط العربي بأرضه، وبيان ما يكابده من أجل الحفاظ عليها، وبيان تحول العرب بعد الهزيمة إلى تيار جارف يقتلع كيان بني صهيون من جذوره، إضافة إلى تذكيرهم بتاريخهم الذي يفصح عن كلّ أعمالهم الهابطة، ومن ثمّ تهديدهم.

ب) الزمن المستقبلي ودلالته: ترتبط دلالة الزمن بالقصدية من طرف الفاعل (المبدع)، ومن الخطر التركيبي أن يأتي تركيب في جملة تدلّ على وقوع الحدث في وقت المستقبل دون الاعتماد على نية أو رغبة الشخص [1]، وهذا ما سيتم الوقوف عليه من خلال تتبع دلالة الحاضر المستمر أو المستقبلي مع الصيغ الآتية: فعل، يفعل، افعل.

ب–1 دلالة (فعل) على المستقبل: يدل الماضي على المستقبل إذا كان في مقام دعاء أو شرط، ورد في (م 2):

إِذَا قَتَلْتُمْ خَالِداً
فَسَوْفَ يَأتِي عَمْرُو
وَإِنْ سَحَقْتُمْ وَرْدَةً
فَسَوْفَ يَبْقَى العِطْرْ..

فلا القتل ولا السحق ثبت وتحقق، لأنّ الفعل في كليهما أصبح رهين الشرط للاسم (إذا) وللحرف (إن)، فدلالة الماضي في هذا المقام أدت معنى الاستقبال لإقامة غرض الوعيد الذي لا يكون إلاّ مستقبلاً، ومثله كذلك قوله في وعيده للصهاينة (م 8):

يَا آلَ إِسْرَائِيلَ، لَا يَأْخُذْكُمْ الغُرُورْ

1 المرجع السابق ، ص 238.

عَقَارِبُ السَّاعَةِ إِنْ تَوَقَّفَتْ
لَا بُدَّ أَنْ تَدُورْ..

ب–2 دلالة صيغة (يفعل) على الحال واستمرارها في عالم الخطاب: صيغة يفعل المضارعة تدلّ على التجدد، أمّا الزمن فهو يترجح للحال إذا كان مجردًا من السوابق واللواحق واللواصق [1] التي لها دور فعال في تحديد الزمن مع هذه الصيغة دون إغفال القرائن السياقية والمقامية التي تحفّ الخطاب وتحتويه، ويمكن رصدها كالآتي:

تلبس (م 1)، نضيفه (م 4)، يسقط، يبقى (م 8)، يرسمن، يقبرن، يحملن (م 10)، تقتل (م 12)، ينبت (م 15) هذه الأفعال الدالة على الحال والتي يعيشها العربي في أرضه، فالأرض العربية هي موطن الجمال والأمن والسلام الدائم، ومن ثمّ فهي مبعث الأمل والحياة إن لم تكن هي والحياة صنوان، وهو ما يحيل إلى التعلق الدائم بها، ضف إلى ذلك مشاعر الحزن والألم التي عدّت ظاهرة يعيشها المواطن العربي في مرحلة الستينيات التي يطبعها التخاذل العربي والفرقة وتفاقم المشاكل الاجتماعية، رغم هذا يبقى الأمل منشودًا كحال حاضرة – دوما– تنازع العربي مع حال الإحباط والتشاؤم.

فرغم سيطرة البنية الفعلية المضارعية (يفعل) على البنى الفعلية في المدونة إلاّ إن الأفعال الدالة على الحال لم تتعد تسعة أفعال؛ وهذا يرجع – طبعًا– ليس لتأثير ضمائم الاستقبال (السوابق واللواحق واللواصق) فحسب، بل أن للسياق والمقام المحقق لغرض الوعيد دوره في هذا الانزياح الدلالي الذي تحولت بموجبه دلالة الصيغة من دلالة الحال إلى دلالة الاستقبال.

ب–3 دلالة صيغة (يفعل) على الاستقبال: يدلّ المضارع على الاستقبال إذا كان مضامًا إلى كلمات وظيفية من قبيل: (السين، سوف): يرى "ابن هشام الأنصاري" « أنّ (السين) مفردة حرف يختص بالمضارع ويخلصه للاستقبال ..، وهي حرف تنفيس وتوسيع، وذلك أنّها تقلب المضارع من الزمن الضيق، وهو الحال إلى الزمن الواسع، وهو الاستقبال... ومعنى السين أنّ ذلك كائن لا محالة، ودخولها على ما يفيد الوعد والوعيد مقض لتوكيده وتثبيت معناه » [2]، ويرى أنّ (سوف) مرادفه

1 المرجع السابق ، ص 89.

2 ابن هشام جمال الدين الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، مراجعة: سعيد الأفغاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان– ط 1، 2000، ص (139–140).

للسين وأوسع منها، أمّا دلالتهما فقد وقف "ابن الأنباري" موقفًا حاسمًا في إنصاف البصريين الذين ذهبوا إلى أنّ (السين) أصل بنفسها على خلاف الكوفيين الذين ذهبوا إلى أنّ أصلها (سوف) قائلاً: « وأمّا قولهم (*) أنّ السين تدلّ على الاستقبال كما أنّ سوف تدلّ على الاستقبال» قلنا هذا باطل؛ لأنّه لو كان الأمر كما زعمتم لكان ينبغي أن يستويا في الدلالة على الاستقبال على حدٍّ واحدٍ، ولا شكّ أنّ سوف أشدّ تراخيًا في الاستقبال من السين، فلمّا اختلفا في الدلالة دلّ كلّ واحد منهما حرف مستقل بنفسه [1].

ومهما يكن فإنّ السين وسوف تناسبان غرض الوعيد، وهو ما يرمي إليه "نزار" في إرساليته، ولنا معرفة تجلياته في مقاطع المدونة:

سوف يأتي، سوف يبقى (م 2)، سوف تهلكون (م 3)، سيخرج (م 9)، سيكبرون (مكررة ثلاث مرات) سيدخلون (م 16)، سوف يموت (مكررة مرتان) (م 18).

فمن خلال استعمال الضميمة (سوف، السين) مع الفعل المضارع يتحقق إنجاز الوعد، إذْ أنّ الضميمتين تعمّان للدلالة على زمن المستقبل الملوّن بالفرح والرغبة من الفاعل (الشاعر).

ومن ضمائم المضارع البارزة في نص المدونة (لن) وهي حرف نفي ينصب الفعل المضارع ويخلصه للاستقبال [2]، ذهب "الخليل بن أحمد" إلى إنّها مركبة من لا النافية بالنظر إلى معناها، ومن أن المصدرية نظرًا لعملها، وأن معناها من النفي والتخلص للاستقبال الحاصل فيها [3]، بغض النظر عن رجاحة تأصيل الخليل لها، فهي لن تخرج عن دلالة النفي والاستقبال فالصيغة الضميمية (لن يفعل) وكأنّها نفي لصيغة (سيفعل)، وبذلك تحقق غرض التحدي والتهديد والوعيد المصاحب لمقصدية الشاعر، وقد ظهرت في المدونة على هذا النحو:

لن تجعلوا (م 1)، لن تفلتوا (مكررة ثلاث مرات) (م5)، لن تستريحوا (م 6)، لن تمنع (م 12).

---

* يقصد الكوفيين.

1 ابن الأنباري (أبي البركات)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، تحقيق: جودة مبروك محمد مبروك، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر– ط 1،2002 ، المسألة 96، ص (515–517).

2 المرادي (الحسين بن قاسم) ، الجنى الداني في حروف المعاني، ص 270.

3 فخر صالح سليمان قدارة، مسائل خلافية بين الخليل وسيبويه، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد– الأردن– (د.ط)، 1990، ص 44.

ومما يدل على الاستقبال اقتران المضارع بـ (أنْ) للدلالة على المستقبل المتجدد المطلق، فإن المصدرية تضام صيغة المضارع فتؤثر فيها عملاً ومعنى [1]، فـ "الخليل بن أحمد" يرى بأنّ المضارع الواقع بعد حتّى يُرفع إذا كان الفعل واقعًا، نحو قوله تعالى: ﴿ **وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولُ الرَّسُولُ**﴾ **[البقرة 214]**؛ أيّ حتّى قال، ويُقرأ بالنصب على معنى الاستقبال [2]، والقاعدة النحوية تقول أن المضارع بعد حتّى ينصب بأن المضمرة وجوبًا، فـ(أن) – إذًا– هي عاملة النصب والاستقبال.

وردت في المدونة على هذا النحو: أن تقرؤوا، أن تحملوا (م 9)، أن يبدأ (م 21)، أن أنتظر (م 25)، مؤدية دلالة التهديد والوعيد.

ومما يدل على الزمن المستقبلي كذلك اقتران المضارع بـ (لام النهي) نحو قوله: لا تسكروا بالنصر (م 2)، لا يأخذكم الغرور (م 8)، وذلك وراء مقصدية الإنذار والوعيد.

وقد اقترن المضارع بـ (لا النافية) الدالة على المستقبل المتجدد القريب في قوله (م 13):

مَا بَيْنَنَا.. وَبَيْنَكُمْ.. لَا يَنْتَهي بعَامْ

لَا يَنْتَهي بخَمْسَةٍ، أَوْ عَشْرَةٍ، وَلَا بِأَلْفِ عَامْ

و(م 13):

لَا يَعْرِفُ مَا القُدْسُ.. وَمَا بيسَانْ

فالصيغة الضميمية (لا يفعل) في هذا المقام أدّت دلالة التحدي والصمود والإصرار على المقاومة.

يضاف إلى الأفعال الدالة على الحاضر المستمر والاستقبال كلّ الأفعال المضارعة المؤدية لمعنى الوعيد، وإن كانت مجردة من قرائن الاستقبال، فالسياق هو الذي يعطيها هذه الدلالة، نحو: ننصحكم (مكررة مرتان) (م 9)، نطلع (مكررة ثلاث مرات)، يأتون (مكررة مرتان) (م 10)، يجيء (م 14)، نرسم (مكررة مرتان)، نبدأ، نفرض (م 22)، تزهر(م 23)، أطلع (مكررة ست مرات)، أضيئ، أهطل، أفتح، أدخل (م 25)، نأتي (مكررة خمس مرات)، نرسم، نصحح، نطمس (م 27)، فهذه الأفعال المضارعة التي تمّ رصدها كانت أفعال إنجازيه موظفة للتأثير على المخاطب من خلال

1 الريحاني محمد عبد الرحمن ، اتجاهات التحليل الزمني، ص 96.

2 الفراهيدي الخليل بن أحمد ،كتاب الجمل في النحو: تحقيق: فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان– ط1، 1985، ص(162–163).

غرض الوعيد، فالأفعال من قبيل: نأتي، نطلع، يجيء، تدل على الانبثاق والمفاجأة، ولهذا الغرض كان ذكرها مطردًا في الخطاب.

ب–4 دلالة صيغة (افعل) على الاستقبال: لم يشر النحاة إلى الزمانية لبناء (أفعل)، فـ "سيبويه" جعل الأبنية اثنين (فعل ويفعل) أحدهما بني لما مضى، والثاني بني لما يكون وهو المستقبل، أو لما هو كائن لم ينقطع، وهو الحال.

يشرح "السيرافي" كلام "سيبويه" قائلاً: « وأمّا الماضي فإنّه يخص بناءً واحدًا والحال والمستقبل الذي ليس بأمر يختصان بناءً واحدًا...»[1]، فلو تأملنا عبارة (والمستقبل الذي ليس بأمر) لوجدنا أنّ بناء (أفعل) يقف على دلالة الاستقبال في نظر "السيرافي"، وقد ذهب النحاة إلى أنّ بناء أفعل متقطع من (يفعل)، إذْ أن الأصل فيه ليفعل بـ (لام الأمر) ثمّ حذفت اللام مع حرف المضارعة، ليبقى أوّله ساكن توصلوا إلى نطقه بهمزة الوصل، وما بقي أوّله متحركًا لم تلزمه همزة الوصل كالرباعي مثلاً، ليفرق "أبو العباس المبرد" بين الجزم الذي يستدعي دخول اللام على (يفعل) والبناء على صيغة (افعل) تبعًا لجهة الأمر، فإذا كان المأمور مخاطبًا يبنى الفعل، قائلاً: « فما كان منهما مجزومًا فإنّما جزمه بعامل مدخل عليه، فاللازم له اللام، وذلك قولك: ليقمْ زيدٌ، ليذهبْ عبد الله، وتقول: زرني ولأزرك. فتدخل اللام، لأنّ الأمر لك، فأمّا إذا كان المأمور مخاطبًا ففعله مبني غير مجزوم وذلك قولك: أذهبْ، انطلق »[2]، ومن هنا تتضح دلالة الزمن المستقبلي لصيغة (افعل) مادامت مكافئة للصيغة الضميمية (ليفعل)، ولنا أن نحدد مواطن ورودها في المدونة فهي لم تتعد الخمس مرات، انتبهوا (مكررة مرتان) (م 7) انتظرونا (م 10)، تذكروا (مكررة مرتان) (م12)، وكلها وراء الوعيد والتهديد.

لقد أدت البنى الفعلية إلى تماسك الخطاب من خلال ورودها باطراد، وقد توزعت بين دلالات الماضي والحاضر والمستقبل، لتؤكد على الحركية التي قد تتطلع إلى الثورة والتغيير والتجديد، ومن هنا تسيطر الحركية المحيية على السكونية المميتة، فالبنى الفعلية لها حمولات تعكس موقفه وموقف الأمّة العربية مما حدث.

---

1 السيرافي (أبو سعيد)، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: حجازي عبد التواب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية – مصر– (د.ط)، 1986، 1/ 57.

2 المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد)، كتاب المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة – مصر– (د.ط)، 1994، 2/ 129.

بعد تقصي أزمنة الخطاب بأنواعها اتضح أن "نزارا" يلعب على عنصر الزمن بتقنية الاسترجاع والتنبؤ والتداعي، فالزمن حاملا الكثير من الأحداث والمفارقات التي تختزل في مجموعها النكبة، وما أثارته من غضب الشاعر والجماهير العربية، ليتحول من زمن الحال المفعم بكلّ أنواع التراجيديا الفلسطينية والعربية إلى الزمن المستقبلي المفعم بالتحدّي والتهديد، ليكون زمن المستقبل مهيمنًا على الخطاب بما يتماشى والموقف الشعري، والزمن الذي يمثل بؤرة التحول في الخطاب هو (حزيران) زمن النكسة التي أثارت قريحة الشاعر.

4- الإشاريات المكانية:

يؤدي المكان والزمان دورًا بارزًا في كلّ الأعمال الأدبية مادامت هذه الأخيرة نقلاً للأحداث وتصويرًا للحالات، لهذا لا يعقل أن تصور هذه الأحداث والحالات في منأى عن إطاري الزمان والمكان، وبعد التعرف على دلالات الزمان المختلفة في المدونة كان لزامًا التعرف على الأمكنة التي احتوت الأحداث وأزمنتها.

ينبه "عبد الملك مرتاض" إلى أن الحيز الأدبي ليس جغرافيًا، ولو أراد أن يكونها « إنّه مظهر من مظاهر الجغرافيا، ولكنّه أكبر من الجغرافيا مساحة وأشسع بعدًا، فهو امتداد، وهو ارتفاع، وهو انخفاض، وهو طيران وتحليق... وهو انطلاق نحو المجهول، وهو عوالم لا حدود لها، بينما الجغرافيا بحكم طبيعتها المتمخضة لوصف المكان الموجود، لا المكان المفقود، ولا المكان المنشود...»[1]، وبعد هذا التفريق بين الحيز الأدبي والمظهر الجغرافي سيتم حصر الأمكنة والتعرف على وظائفها ضمن الحركية الدلالية العامة للخطاب.

أ- جغرافية الخطاب: إنّ قصيدة (منشورات فدائية على جدران إسرائيل) قصيدة مكان، فالموضوع الأساسي فيها المكان، وهو مسرح أحداثها، فالحيز يكشف عن أعماق ظواهر واقع تناحري قائم على إثبات ذات ومسخ أخرى.

فدلالة المكان تنطلق من العنوان (منشورات فدائية على جدران إسرائيل)، وكأنّ "نزارا" يشير بعبارة (جدران إسرائيل) إلى تلك الحصون التي يحتمي وراءها الصهاينة الجبناء، هذه الجدر ستدك وتنهار بالمقاومة والفداء، فالجدار في هذا المقام يؤدي معاني (الجبن، والتستر، وطمس الحقيقة).

1 مرتاض عبد الملك ، في نظرية الرواية، ص 123.

فالشاعر عرف حقيقة اليهودي الذي جيء به من كلّ حدب وصوب على اختلاف عاداته وألوانه، فلا يمكن أن يجمع بين قلوبهم الشتات إلاّ بواسطة القرى المحصنة، ولا أن يقاتلوا إلاّ من وراء جدر، وهذه المعاني استلهمها الشاعر من النص الديني (*)، ولو أنعمنا النظر في الخطاب لوجدنا أن إشارياته المكانية في أغلبها تحيل إلى الجغرافية السليبة (فلسطين، القدس، وضفة الأردن، والجولان، وصحاري مصر)، التي حرّكت وجدان الشاعر، وهزّت جوانح الأمّة، فـ "نزار" عبّر عن هذا الجزء المفقود من بلاد العرب بالأرض وبلادنا بكلّ معاني الانتماء.

وما يلاحظ في هذه القصيدة الثراء النسبي في الأمكنة وتعددها ينعكس حتمًا على وظائفها، فالأرض والبلاد تدلّ على الانتماء والتعلق، و(القدس، والأردن، والجولان، وصحاري مصر) تدلّ على الوجع العربي المصحوب بالتحدّي والتهديد، وأمكنة أخرى تتجاوز في بعضها المواقف وظيفتها الأساسية المتمثلة في كونها إطارًا أو ديكورًا لتصبح عنصرًا مهمًا من عناصر تطور الحدث، وبالتالي توظيفها لم يكن إلاّ لدلالة توحي بها على نحو ما أورده الشاعر في (م 23):

وَانْتَقَلَتْ (هَانَوِي) مِنْ مَكَانِهَا..

وَانْتَقَلَتْ (فِيتَنَامْ)..

وفي (م 24):

فَفِي رُبَى السُودَانِ (*) قَدْ مَاجَ الشَقِيقُ الأَحْمَرُ

وَفِي صَحَارِى لِيبِيَا

أَوْرَقَ غُصْنٌ أَخْضَرُ

قام "نزار" بذكر هذه الأمكنة (هانوي، فيتنام، السودان، صحاري ليبيا) التي شهدت بطولات خالدة مجدها التاريخ ليذكّر الصهاينة بأنّ حدائق التاريخ دومًا تزهر، وأنّ مآلهم هو مآل فرنسا بالهند

* قال تعالى: ﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر 14]

* وردت (الأوراس) مكان السودان في القصيدة، وهو ما يناسب الغرض الذي يرمي إليه الشاعر؛ لأنّ الأوراس يعد رمزًا عالقًا في وجدان الأمّة العربية، على خلاف ما ورد في هذا الديوان، ينظر: نزار قباني، منشورَاتٌ فِدَائيّة على جُدْرَانِ إسْرائيل، (على الخط)، تمت الزيارة يوم 2012/08/29، متوفر على العنوان:

http://www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=shqas&qid=10

الصينية التي لاقت شرّ هزيمة، ومثلها ما حدث في السودان وليبيا، فدلالة رموز الأمكنة كانت وراء معاني البطولة والتحدي والشموخ والكبرياء، لينشئ من خلالها الشاعر غرض الوعيد للصهاينة.

ومن الأمكنة الموظفة في عالم الخطاب (الطور) وفيه إشارة إلى المكان الذي تاه فيه (بنو إسرائيل) عند نزولهم حول طور سيناء وما جرى لهم فيه من الأمور العجيبة [1]، فـ"نزار" يذكرهم بالهلاك الذي ينتظرهم، ففي صحاري مصر سيهلكون كما هلكوا في تيههم بها لتخلفهم عن قتال الجبابرة فعوقبوا على نكولهم بالتيهان في الأرض، ففي تذكيرهم بحادثة التيه تتضح مقصدية الشاعر الحاملة لكلّ معاني الوعيد والتهديد.

ومن الأمكنة التي وظفها الشاعر:

1/ (المقبرة) من خلال الفعل (يقبرن) المسند إلى نساء فلسطين في (م 10)، حاول "نزار" أن يجعل من القارئ – مباشرة – يشتم رائحة الموتى والجثث، وهذا يعد تصويرًا فضيعًا لشنائع أحفاد القردة والخنازير، وهذا يشي بأنّهم يفتقدون أدنى سمات الإنسانية.

2/ (غرف التحقيق، مراكز البوليس، السجون) في (م 16)، وهي أمكنة أراد "نزار" أن يمدها ببعد إنساني افتقده الفلسطيني الذي اعتاد ارتياد هذه الأمكنة التي تحدّ من حرية صاحبها، ففي غرف التحقيق ومراكز البوليس يلمح الشاعر إلى كلّ أنواع التعذيب والتنكيل التي كانت ترتكب على المواطن الفلسطيني المضطهد في عقر داره، فالصهاينة يرصدون كلّ حركات الفلسطيني اليومية، ويحاسبونه عليها، وكأنّها جنايات تقتضي عقاب فاعلها، وفي السجون يعيش هذا الفلسطيني في عزلة يحفها الشجون والغيظ، فهؤلاء كلّهم تجمعوا كالدمع في العيون، فهذا الوصف لمأساة الفلسطيني من شأنه أن يوقظ حميّة العربي التي فترت واستكانت من جهة، وأن يطلع الإنسانية على حقيقة هذا الكيان الذي لا يرقب في الإنسانية إلاًّ ولا ذمة، فهم ليسوا بأعداء للعرب فقط، بل يكنون العداوة للإنسانية جمعاء، وما مصائب الإنسانية إلاّ وكانت لليهود يد خفية فيها[*].

---

1 ابن كثير (أبو الفداء الحافظ)، البداية والنهاية، تحقيق: جودة محمد جودة، محمد حسني شعراوي، دار ابن الهيثم، القاهرة – مصر– ط1، 2006، 1/ (266- 267).

* قال تعالى:﴿ وَالقَينَا بَينَهُم العَدَاوَة وَالبَغضَاء إلى يومِ القيَامَة، كلّمَا أوقَدوا نارًا للحَربِ أطْفَأَهَا الله ويسْعونَ في الأرضِ فَسَادًا والله لاَ يُحبُّ المفسدِينَ﴾ [المائدة 164]

فهذه الأمكنة التي تم رصدها تمثل ركنًا عميدا في الخطاب لارتباطها الوثيق بالموقف الشعري، فـ"نزار" عمد إلى شحن القصيدة بدلالات وإيحاءات مكثفة من خلال توظيف هذه الرموز المكانية.

ومن إشاريات الخطاب المكانية:

ب) أسماء الإشارة: وهي أكثر الإشاريات المكانية وضوحًا، ولكن يصعب فهم دلالاتها دون وضعها في السياق المباشر الذي قيلت فيه، وسيتم – بعد رصدها في ثنايا الخطاب – معرفة استعمالاتها ودلالاتها من حيث موافقتها للمشار إليه بعدًا أو قربًا تماشيًا مع السياق الفعلي للقولات، أوردها "نزار" في خطابه بشكل مقتضب فبدلاً من توظيفها نجده يكرر الألفاظ بعد ذكرها لغاية أرادها.

ثبت ورودها في المدونة من خلال اسم الإشارة (هنا) مكررًا أربع مرات، و(هذه) مكررة مرتان، في (م 1):

فَنَحْنُ بَاقُونَ هُنَا..

فِي هَذِهِ الأَرْضِ التِي تَلْبَسُ فِي مِعْصَمِهَا

إِسْوَارَةً مِنْ زَهْرْ..

فَهَذِهِ بِلَادُنَا

اعتمد "نزار" على اسم الإشارة المستعمل للمشار إليه القريب، لأنّ الأرض والبلاد التي يذكرها قريبة من قلبه رغم اتساع رقعتها، وامتداد أرجائها.

وفي (م 9):

فَمَا لَكُمْ خُبْز هُنَا.. وَلَا لَكُمْ حُضُورْ

فهو يخاطب بنبرة حادة فـ (هنا) إشارة إلى مكان غير آمن للصهاينة، ثم ليواصل وعيده لهم في (م 26):

فَمِنْ هُنَا.. جَيْشُ أَبِي عُبَيْدَةٍ

وَمِنْ هُنَا مُعَاوِيَهْ

فـ "نزار قباني" يجعل من نفسه محور المكان، فهو يشير إلى الجهات المتباعدة والتي يراها قريبة، وكأنّه يرمي إلى التعبير عن وحدة الأمّة العربية التي ستطوق هذا البيت الداعر لإسرائيل كبيت أيّ زانية.

خ) ظروف المكان: فهذه الإشاريات عناصر يشار بها إلى مكان لا يتجدد إلاّ بمعرفة موقع المتكلم واتجاهه ومن الظروف الواردة في المدونة (هنا) التي سبق ذكرها ضمن أسماء الإشارة، فهي من ظروف المكان « وإذا كان المشار إليه مكانًا أتينا بكلمة (هنا)، وهي اسم إشارة وظرف مكان معًا » [1]، وكذلك الظرف (فوق) في (م 3) وفي (م 27)، والظرف (خلف) في (م 9) وفي (م 19)، وما يلاحظ كذلك على هذه المدونة من حيث دلالة الأمكنة كثرة توظيف حروف الجر التي أخذت معنى الظرفية المكانية أبرزها (من) و(في).

فـ (من) هنا لبداية الغاية... ويعرف بصحة وضع (الابتداء) مكانه، و(في) للظرفية، وهي حلول الشيء في غيره حقيقة أو مجازًا [2]، فقد وردت (من) الدالة على الظرف مقترنة بالأفعال (أطلع، نخرج، نأتي).

ففي (م 5) وردت مستندة للفعل (نخرج) أربع عشرة مرة.

وفي (م 9) وردت مستندة للفعل (سيخرج) مرتان.

وفي (م 25) وردت مستندة للفعل (أطلع) أربع عشر مرة.

وفي (م26) مضامة للظرف (هنا) مرتان.

وفي (م27) مستندة للفعل (نأتي) سبع مرات.

نلاحظ أن الشاعر أعاد تكرار الحرف (من) في هذه المقاطع المذكورة 39 مرة، لتدل مع قرائنها (الطلوع والخروج والإتيان) على الانبثاق والمفاجأة للعدو، فالعربي يأتي ليأكل لحم مغتصبه من حيث يدري أو لا يدري.

أمّا (في) فقد وردت في الخطاب بشكل ملفت للنظر، لامتدادها على كلّ ما يحيط بالعربي من ظروف المكان (أرض، ومسجد، وحارات، وشوارع، وأبواب، وغرف، ومراكز)، مادامت مقترنة ببقائه في أرضه.

ففي (م 1) وردت مقترنة بصيغة اسم الفاعل الدالة على الاستمرار والاستقبال (باقون) و(مشرشون) خمس عشرة مرة.

---

1 عباس حسن، النحو الوافي، 1/ 335.

2 الجرجاني عبد القاهر (أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد)، العوامل المائة، عني به أنور بن أبي بكر الشيخي الداغستاني، دار المناهج، بيروت – لبنان– ط1، 2009، ص (43-44).

وفي (م 5) وردت مع صيغة اسم المفعول (مبثوثون) أربع مرات.

وفي (م 7) وردت ثلاث مرات.

وفي (م 10) وردت مع الفعل (نطلع) و(يأتون) ست مرات.

وفي (م 13) وردت مع صيغة (باقون) تسع مرات.

وفي (م 14) وردت مرة واحدة.

وفي (م 15) وردت مرة واحدة.

وفي (م 16) وردت مع صيغة (تجمعوا) خمس مرات.

وفي (م 17) وردت ثلاث مرات.

وفي (م 18) وردت مع صيغة (باقون) إحدى وثلاثين مرة.

ووردت مرتان في كل من (م 20)، و(م 21)، و(م 24)، ومرة واحدة في (م 27).

وفي الإجمال تكررت (في) مع قرائن المكان في المدونة 85 مرة، ولهذا التكرار مبرره، لأنّ الخطاب الذي قدمه "نزار" خطاب مكان، فهو يثبت أن الأرض للفلسطينيين، ويؤكد على أنّ الشعب العربي باق في ما رسم الله عليها، وفي عاداتها وأصالته، وهو يتوعد اليهود بالانتظار في كلّ مكان...

ثالثا – المعنى الحرفي والمعنى التواصلي:

بعد الوقوف على العناصر الإشارية في المدونة نحاول توسيع السياق من سياق الموضعة وكشف الإحالات، إلى السياق المتعارف عليه عند المتخاطبين، وفي هذا إشارة إلى اعتبار تداولية الدرجة الثانية من خلال برنامج "هانسون": دراسة للطريقة التي ترتبط بها القضية بالجملة المعبّر عنها في كلّ الحالات، إذ تتميز عن الدلالة الحرفية للجملة [1]، وبهذا سيتم تمييز المعنى الحرفي عن المعنى المجازي (الاستعاري)، والمعنى المباشر عن المعنى التلميحي، من خلال تناول الافتراض المسبق والاستلزام الحواري.

1– الافتراض المسبق:

ويعني ما يقتضيه اللفظ ويعترضه، ففي كلّ تواصل لساني ينطلق الشركاء من معطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم، تشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح

1 فرنسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 51.

في عملية التواصل، وهي محتواة ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة، فمن هذا المنطلق يبرز دور الخلفية المعرفية التي يجب توفرها لدى مستخدمي اللغة، فلفهم ملفوظ ما لا يكفي المرء تسخير كفاءته اللغوية، بل عليه كذلك التعويل على معرفة موسوعية، أي معرفة العالم التي اكتسبها[1]، ومن هنا يتسع مفهوم الافتراض المسبق، ليشمل المعلومات العامة، والخلفية المعرفية، والسياق المشترك، والعهد بين المتخاطبين، ومواطن الحذف، فالافتراض المسبق بهذا المعطى يعتبر القاعدة الأساس التي يرتكز عليها الخطاب في تماسكه العضوي[2]. ومما له نظير في المدونة قوله في (م 1):

لَنْ تَجْعَلُوا مِنْ شَعْبِنَا
شَعْبَ هُنُودِ حُمْرْ

فاستخدام حرف النفي (لنْ)، يتضمن افتراضًا مسبقًا باستحالة تمكن الصهاينة من العرب، كما أنّ التركيب يحمل كذلك افتراضًا مسبقًا معروفًا لدى المتخاطبين يتمثل في اندثار وتلاشي شعب الهنود الحمر بعد أن قضى عليهم راعي البقر الأمريكي، فالمرسل من خلال هذا المنطوق يتحدى اليهود بأنّ يصنعوا بشعبه العربي ما صنعه الأمريكي بشعب الهنود الحمر (م3):

لِأَنَّكُمْ لَسْتُم كَأَمْرِيكَا
وَلَسْنَا كَالهُنُودِ الحُمْرْ

فقد اعتمد الشاعر على حقيقة تاريخية تدخل ضمن باب المعرفة الخلفية (استعمال معرفة العالم)، وهذا ما ذهب إليه "براون" Brown و"يول" Yule إلى أن: « المعرفة التي نملكها كمستعملين للغة تتعلق بالتفاعل الاجتماعي بواسطة اللغة ليست إلاّ جزءًا من معرفتنا الاجتماعية، الثقافية، هذا المعنى أورده "محمد خطابي" في قوله: إن التساؤل حول كيفية معرفة الناس لما يتحرك في نص ما ليس إلاّ حالة خاصة للتساؤل عن كيفية معرفة الناس لما يجري في العالم »[3]، وهي معرفة موسوعية تعمل على تذليل معاني الخطاب، لأنه من غير الممكن الاعتماد على الكفاءة اللغوية دون المعرفة الموسوعية التي اكتسبها، ومن هنا يبرز دور معرفة العالم في عملية التأويل، فالعلم بالاجتماع والثقافة والتاريخ يساعد المشاركين في الحدث الكلامي على التواصل الواضح والناجح.

1 دومينيك مونقانو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف- الجزائر- ط5، 2005، ص 45.
2 ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، تيزوزو - الجزائر- طبعة 2005، ص 179.
3 خطابي محمد ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي، بيروت- لبنان- ط1، 1991،ص (311–312).

ومن متضمنات القول الواردة في (م 1):

فِي هَذِهِ الأَرْضِ التِي تَلْبَسُ فِي مِعْصَمِهَا

إِسْوَارَةً مِنْ زَهْرْ..

فَهَذِهِ بِلَادُنَا

نجد في المنطوق إشارة من الشاعر إلى أنّ الأرض التي ينتهي إليها العربي هي أرض الجمال والأمن والاستقرار والمستقبل قبل أن يعكر صفوها المفسدون (الصهاينة)؛ يتضح من استعمال الشاعر اسم الإشارة (هذه) للمشار إليه القريب، القريب من قلب "نزار" (بلاده)، يتضمن افتراضًا مسبقًا يتمثل في الصراع القائم على الأرض بين العرب واليهود، في ظلّ الزعم الباطل لليهود بأنّ الأرض المقدسة أرضهم، لهذا نجد الشاعر يصرّ على البقاء على هذه الأرض من خلال تكراره للملفوظ (باقون):

بَاقُونَ فِي آذَارِهَا..

بَاقُونَ فِي نِيسَانِهَا..

بَاقُونَ كَالحُفَرِ عَلَى صُلْبَانِهَا

بَاقُونَ في نَبِيِّهَا الكَرِيمِ، فِي قُرآنِهَا

وَفِي الوَصَايَا العَشْرْ..

إنّ استعمال "نزار قباني" للمؤشر (باقون) يتضمن كذلك افتراضًا مسبقًا لدى السامع، بأن الصهاينة أرادوا سلب الفلسطيني حقوقه واغتصاب أرضه، فالشاعر يستنهض المسلمين والنصارى على السواء لمواجهة أعداء الإنسانية، فهم الذين تبجحوا بقتلهم المسيح والافتراء على أمّه البتول، ففيما يذكره "الزمخشري": « أنّ رهطًا من اليهود سبوه (*) وسبوا أمه فدعا عليهم: اللهم أنت ربي وبكلمتك خلقتني، اللهم ألعن من سبني وسبّ والدتي فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير، فأجمع اليهود على قتله »[1]، فتربصوا بالمسيح عليه السلام لكن الله أوهن عزمهم وعزّ عليهم قتله قال تعالى﴿**وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ**﴾ [النساء 157]، يقول الشيخ "محمد عبده" في معنى هذه الآية: « أي والحال أنهم ما قتلوه كما زعموا بالجريمة، وما صلبوه كما ادعوا وشاع بين

* عيسى بن مريم عليه السلام.

1 الزمخشري، الكشاف، 1/ 587.

الناس (ولكن شبه لهم)؛ أيّ وقع لهم الشبهة [*] أو الشبه فظنوا أنهم صلبوا عيسى وإنما صلبوا غيره»[1].

إنّ الغاية من ذكر هذه القصة تتمثل في الإفصاح عن المسكوت عنه في عالم الخطاب، ومن هنا يبرز دور أسلوب الحذف المعتمد على المعرفة المشتركة بين المتخاطبين، إذْ يعد هذا الأسلوب القائم على الافتراض المسبق لدى السامع من أبرز أفانين البلاغة ووجوهها، فهذا "عبد القاهر الجرجاني" يبرز أهميته في بلاغة الكلام والوصول على المراد:« هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنّك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بيانًا إذا لم تبن »[2]، « وهو التخفيف من ثقل الكلام وعبء الحديث، ومن منا لم يفضل الخفة على الثقل، مادامت الخفة هي المطلوبة، والمقام يستدعيها والحال يطلبها، ففي الخفة تلك تكمن البلاغة، ويسمو الكلام حتّى يصل إلى قوة السحر في التأثير، وتكون الجملة مع الحذف أشدّ وقعًا على النفس، وأتمّ بيانًا وأفصح من الذكر»[3].

فـ"نزار" أراد أن يحرك المسيحيين لمجابهة الصهاينة الذين استباحوا مقدساتهم وانتهكوا حرماتهم ببيان العداوة الأزلية التي يكنها الصهاينة لهم ولسائر الديانات الأخرى. ليواصل الشاعر هذا الغرض – تأجيج العرب (المسلمين والمسيحيين)– من خلال بيان هوان اليهود واندثار سبل نجاتهم، وهو ما يدلي به في (م3):

لأَنَّ مُوسَى قُطِعَتْ يَدَاهْ
وَلَمْ يَعُدْ يُتْقِنُ فَنَّ السِّحْرْ
لَأنَّ مُوسَى كُسِرَتْ عَصَاهْ
وَلَمْ يَعُدْ بِوسْعِهِ

---

* عندما أجمعت اليهود على قتله: " أخبره الله بأن يرفعه إلى السماء ويطهره من صحبه اليهود، فقال لأصحابه: " أيّكم يرضى أن يلقى عليه شبهي، فيقتل ويصلب ويدخل الجنة ؟ فقال رجل منهم: أنا فألقى عليه شبهه فقتل وصلب. وقيل: كان رجلاً ينافق عيسى، فلمّا أرادوا قتله قال: أنا أدلكم عليه، فدخل بيت عيسى فرُفع عيسى وألقي شبهه على المنافق، فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون أنّه عيسى" ، الكشاف، 1/ 578.

1 محمد عبده، تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار، تأليف السيد محمد رشيد رضا، دار المنار – مصر– ط2، 1427هـ، 6/ 18.

2 الجرجاني عبد القاهر ، دلائل الإعجاز، ص 146.

3 لاشين عبد الفتاح ، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، دار المريخ للنشر والتوزيع، الرياض، – السعودية – (د ط)، (د ت)، ص (159-160).

شَقَّ مِيَاهَ البَحْرْ

أراد "نزار" أن يذكر الصهاينة بالمآل الذي ينتظرهم، وهو الهزيمة والتشتت والتيه في الأرض؛ لأنّ زمن المعجزة قد ولّى، فـ"نزار" يشير إلى المعجزة التي أعطاها الله موسى، وهي عصاه التي أنجى بها الله بني إسرائيل من الهلاك على يد فرعون وجنوده، هذه العصا كسرت، وليس لليهود في هذا الزمن رجل صالح يقودهم إلى برّ الأمان، فموسى الصهيوني قطعت يداه اليوم، فـ "نزار" لم يصرح بالوعيد وإنما ضمنه في القول، ولم يذكر إلاّ ما كان تعليلا لذلك المحذوف، وهو تعليل مفاده إبطال المعجزة، لأنّ موسى قطعت يداه، وكسرت عصاه... ليترك "نزار" معاني القصة (*) التي يدركها بنو صهيون أكثر من غيرهم تفصح عن مراده.

ثمّ ليتوعدهم بالتيه في صحاري مصر (م3):

فَسَوْفَ تَهْلَكُونَ عَنْ آخِرِكُمْ

فَوْقَ صَحَارِى مِصْرْ..

وكأنّه يقول لهم يا بني صهيون أنّ التاريخ يعيد نفسه، فقد أهلككم الله تعالى في صحراء سيناء لجبنكم وعدم الامتثال لأمر الله بالدخول إلى الأرض المقدسة وقتال الجبابرة، فسوف تهلكون عن آخركم كذلك في ذات البقعة، فـ"نزار" يذكرهم بما حدث لهم بصحراء سيناء، وما وقع لهم من الأمور العجيبة إلى أنْ هلكوا أجمعين، ليوهنهم ويحطّ من عزمهم من جهة، ويحمل العرب على الفتك بهم من جهة أخرى.

لقد عانت الأمّة العربية الأمرين من السقوط المتواتر للإمارات واضطهاد شعوبها، وهذا ما يفصح عليه هذا المنطوق (م 4):

المَسْجِدُ الأقْصَى، شَهِيدٌ جَدِيدْ

نُضِيفُهُ إِلَى الحِسَابِ العَتِيقْ

وَلَيْسَتِ النَّارُ، وَلَيْسَ الحَرِيقْ

---

* ورد أنّ بني إسرائيل في فرارهم من فرعون وجنوده انتهى الطريق بهم إلى ساحل فنزلوا هنالك، وأدركهم فرعون وجنوده، قالوا: أمر الله موسى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه وأن يقسمه ليدخل بنو إسرائيل في البحر واليبس، وصار الماء من ها هنا وها هنا كالجبلين، وصار وسطه يبسًا، لأنّ الله سلط عليه ريح الجنوب والسموم ، فجاز بنو إسرائيل البحر وأتبعهم فرعون وجنوده، فلمّا توسطوا أمر الله موسى عليه السلام فضرب البحر بعصاه فرجع الماء كما كان عليه، ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، مج1/ 1/ 262.

سِوَى قَنَادِيلَ تُضِيءُ الطَرِيقْ

إنّ هذا المنطوق على فضاعته إلاّ أنّه يتضمن وعيدًا صارخًا في وجه الصهاينة، محذرًا إياهم أن أعمالهم البشعة ووحشيتهم لن تقضّ من عزيمة العربي بقدر ما هي أنوارٌ تكشف للشعب طريق نصره والانتقام من عدوه، وفي وعيده للصهاينة يصرح "نزار" بكلّ ما من شأنه أن يكون مكانًا يحمل في جنباته انبثاق رجال فلسطين لينقضوا على عدوهم، وهو ما صرح به في مواطن متفرقة من الخطاب في (م 5):

مِنْ قَصَبِ الغَابَاتْ

نَخْرُجُ كَالجِنِّ لَكُمْ

وفي (م 7):

المَوْتُ مَخْبُوءٌ لَكُمْ

فِي مِشْطِ كُلِّ امْرَأَةٍ..

وَخُصْلَةٍ مِنْ شَعْرْ..

وفي (م 10):

نَطْلَعُ فِي رُومَا.. وَفِي زُورِيخَ..

مِنْ تَحْتِ الحَجَرْ

رِجَالُنَا يَأْتُونَ دُونَ مَوْعِدٍ

فِي غَضَبِ الرَّعْدِ.. وَزَخَّاتِ المَطَرْ

وفي (م 10):

أَنَا الفِلِسْطِينِيُّ

بَعْدَ رِحْلَةِ الضَيَاعِ وَالسَرَابْ

أَطْلَعُ كَالعُشْبِ مِنَ الخَرَابْ

أُضِيءُ كَالبَرْقِ عَلَى وُجُوهِكُمْ

أَهْطُلُ كَالسَحَابْ

ففي هذه السطور يشير "نزار" إلى كلّ مواطن المفاجأة، فالفلسطيني يأتي ليعاقب جلاّده الصهيوني من حيث لا ينتظر، وكأنّ لسان حاله يقول: نخرج لكم ونأتيكم حتى من.. فحتّى الغائية المتضمنة في

القول توحي بمدى تربص الفلسطيني بعدوّه، حتّى في الأمكنة التي لا يعيرها الصهيوني أيّ اهتمام، فما بالك في الأمكنة التي يتوقعها ويحذر منها.

فقد اندمج العربي مع موطنه والتصق بكلّ عناصره، فهو مبثوث في الريح وفي الماء والنبات ومعجون بالألوان والأصوات، فأنى لك يا ابن صهيون أنْ تفلت من قبضته؟ (م 10):

فَكُلُّ بَيْتٍ فِيهِ بُنْدُقِيَّةٍ

مِنْ ضِفَّةِ النِّيلِ إلى الفُرَاتْ..

إن العربي لن يتنازل عن أرضه للصهاينة، على أطماعهم المتزايدة، فاستعمال "نزار" لهذا المنطوق " **مِنْ ضِفَّةِ النِّيلِ إلى الفُرَاتْ..** " يقتضي ردّ أطماع اليهود المتمثلة في إنشاء دولة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات فيما أورده النص الديني: « يناوب العهد القديم بين صيغة الأمر وصيغة السرد فيما يتعلق بأرض إسرائيل، ففيه تتنوع تعريف (أرض إسرائيل) (Terre d'Israël)، فحسب الصيغة الأولى، فإنّها تترافق مع الوعد الذي أعطاه الله إبراهيم «سأمنح أرض هذا البلد لأولادك وأحفادك من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات » [1]، فهذا النص كان وراء فكرة إنشاء دولة إسرائيل الكبرى، فـ"نزار" يعرّض للصهاينة بهذا القول إبطالاً للمخطط اليهودي، فإذا كانت إسرائيل تحلم بإنشاء دولتها على حدود النهرين كما هو مجسد في العلم الإسرائيلي، فإنّ المقاومة لا تستثني بيتًا واحدًا من النيل إلى الفرات.

ثم ليواصل "نزار" وعيده للصهاينة، ويملي لهم أن يحملوا توراتهم (الألواح) التي يزعمون احتواءها الغيب، وهو من تحريف الكلم عن مواضعه، على ما ورد في كتب الإسرائيليات وأثرها في تفسير القرآن الكريم[*] (م 10):

نَنْصَحُكُمْ أَنْ تَقْرَؤُوا

---

1 ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، Terre d'Israël، (على الخط)، تمت الزيارة يوم 01 / 03 / 2012، متوفر على العنوان:
http: // f. Wikipedia. Org/ wiki/ Terre d'Israël

* فقد جعلوا التوراة مشتملة على كلّ ما كان وكلّ ما يكون، وهذا مما لا يعقل ولا يصدّق، فمن ذلك ما ذكره الألوسي في تفسيره قال: اصطحب قيس بن خرشة وكعب الأحبار حتّى إذا بلغا صفين، وقف كعب ثمّ نظر ساعة ثمّ قال: ليهراقن بهذه البقعة من دماء المسلمين شيء لا يراق ببقعة من الأرض مثله، قال قيس: وما يدريك ؟ فإنّ هذا من الغيب الذي استأثر الله به !!، فقال كعب: ما من الأرض شبر إلاّ مكتوب في التوراة التي أنزل الله تعالى على موسى ما يكون منه وما يخرج منه إلى يوم القيامة !! وهو من المبالغات التي روى أمثالها على كعب ولا تصدّق ذلك؛ إذْ لا يعقل قط أن يكون في التوراة كلّ أحداث الدنيا إلى يوم القيامة.ينظر: أبو شهبة محمد بن محمد ، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، الدار السلفية لنشر العلم، القاهرة، ط4، 1407، ص 203.

مَا جَاءَ فِي الزَبُورْ..
نَنْصَحُكُمْ أَنْ تَحْمِلُوا تَوْرَاتَكُمْ
وَتَتْبَعُوا نَبِيَّكُمْ لِلطُورْ

ففي (الطور) وقع لبني إسرائيل من الأمور العجيبة التي من شأنها أن تجعل من كلّ إنسان يؤمن بقدرة الله ووحدانيته، لكن نقباءهم وقساوستهم أعرضوا عن كلّ الآيات، فكان مآلهم الهلاك، ف"نزار" كلّما ذكر (الطور) إلاّ وأراد بذلك الرجوع إلى مسألة التيه وهلاكهم عن آخرهم، حتّى يقيم غرض الوعيد الذي تقف وراءه مقصدية هذه الإرسالية.

ثم ليعلن "نزار" – صراحة– أن إسرائيل هي البنت المدللة التي تسهر أمريكا على رعايتها وحمايتها، (م 12):

تَذَكَّرُوا..
تَذَكَّرُوا دَائِما..
بِأَنَّ أَمْرِيكَا – عَلَى شَأْنِهَا –
لَيْسَتْ هِيَ اللهَ العَزِيزَ القَدِيرْ
وَأَنَّ أَمْرِيكَا – عَلَى بَأْسِهَا –
لَنْ تَمْنَعَ الطُيُورَ مِنْ أَنْ تَطِيرْ

استعمال "نزار" للفعل تذكروا يتضمن افتراضًا مسبقًا بأنّ أمريكا كانت – دومًا– إلى جانب الصهاينة، لكنها ليست هي الله العزيز الذي إن أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون، فالعربي من خلال هذا المنطوق أمام حتمية لا مناص منها، وهي مجابهة إسرائيل وحلفائها بما في ذلك أمريكا التي تبدو كقوة لا تقهر (على شأنها، على بأسها).

إنّ لـ (حزيران) وقعا كبيرا على "نزار" والعرب، فبمجرد أن يذكر هذا الشهر العلقم إلاّ وتحركت معه أوجاع العرب، (م 15):

لَيْسَ حُزَيْرَانُ سِوَى يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامْ
وَأَجمَلُ الوُرُودِ، مَا يُنْبِتُ فِي حَدِيقَةِ الأَحْزَانْ..

يقتضي (حزيران) تذكر الهزيمة، إن لم يكن قرينها عند الشاعر العربي، لكن "نزارا" أراد أن يعطي (حزيران) معنى آخر، وهو أن يجعله زمن الوعي العربي، وكأنه يؤكد على أن كل ثورات الشعوب التي

حققت بها كرامتها وسيادتها لم تتفجر وتتوهج إلاّ من بعد المعاناة والأحزان وتجرع الآلام، فـ (حزيران) هنا بمثابة الصفعة التي أيقظت العربي من سباته، ليبحث عن مصيره، ويضع حدًّا لمأساته.

هذا الفردوس المفقود لن يكتب للعربي تحقيقه إلا بإراقة الدماء والتضحيات الجسام، التي ستحمل الصهاينة على الخروج من أرضه أذلة صاغرين (م 17):

وَجَاءَ فِي كِتَابِهِ تَعَالَى :
بِأَنَّكُمْ مِنْ مِصْر تخْرُجُونْ..
وَأَنَّكُمْ فِي تِيهِهَا سَوْفَ تَجُوعُونَ وَ تَعْطَشُونْ
وَأَنَّكُمْ سَتَعْبُدُونَ العِجْلَ دُونَ رَبِّكُمْ
وَأَنَّكُمْ بِنِعْمَةِ اللهِ عَلَيْكُمْ، سَوْفَ تَكْفُرُونْ
وَفِي المَنَاشِيرِ التِي يَحْمِلُهَا رِجالُنَا
وَمِنْ ذُرَى الجُولَانِ تَخْرُجُونْ..
وَضِفَّةِ الأُرْدُنِ تَخْرُجُونْ..
بِقُوَّةِ السِلَاحِ تَخْرُجُونْ..

يقتضي هذا المنطوق (تخرجون) افتراضًا مسبقًا، بأنّ إسرائيل قد دخلت واغتصبت صحراء سيناء، وأرض الجولان، وضفة الأردن وتحقق دخولها، فبعد الدخول يجد العربي نفسه أمام حتمية المقاومة، ليؤكد "نزار" على أن ما أخذ بالقوة لا يستردّ إلاّ بها، فمثلما دخلت إسرائيل بقوة السلاح فهي السبيل التي بها تخرج.

أما في قوله وأنكم ستعبدون العجل دون ربّكم تسفيهًا لهم، فقد اقتبس هذا المعنى من قوله تعالى: ﴿**وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا.. اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ..**﴾ [الأعراف148]، ألم يروا أنّه لا يكلمهم، الاستفهام للتقرير والتعجب من حالهم فقد سفه رأي الذين اتخذوا العجل إلهًا، بأنهم يشاهدون أنّه لا يكلمهم، وهذا يدلّ على سفه رأيهم [1].

ومن الشخصيات التاريخية الواردة في المدونة ما ذكره في (م 18):

سَوْفَ يَمُوتُ الأَعْورُ الدَجَّالْ

1 بن عاشور محمد الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس– 1984، 9 /110.

سَوْفَ يَمُوتُ الأَعْورُ الدَجَّالْ

استهل الشاعر هذا المنطوق بحرف الوعيد سوف الضميم إلى المضارع يموت، هذا الموت يتوعد به "نزار" من كان سببًا في هزيمة العرب "موشيه دايان" (*)، و"نزار" لا يقصد "موشيه دايان" في شخصه، وإنّما يعني موت اليهودي الغاصب الذي يرى في هذه الشخصية بطل طروادة الذي خول لإسرائيل النصر على العرب، ومن ثم بسط الهيمنة على الشرق الأوسط، ثمّ ليوظف شخص "هارون الرشيد" إسقاطا على الحاكم العربي العاجز الذي لم يعبأ بقضايا الأمّة المصيرية، وبقي حبيس شهواته، لأنّه لا يعرف حقيقة (القدس) ولا (بيسان) (م 20):

لِأَنَّ هَارُونَ الرَشِيدَ لَمْ يَعُدْ إنْسَانْ
لأَنَّهُ فِي تَخْتِهِ الوَثِيرِ..
لَا يَعْرِفُ مَا القُدْسُ.. وَمَا بيسَانْ
فَقَدْ قَطَعْنَا رَأْسَهُ أَمْسِ..
وَعَلَّقْنَاهُ فِي بِيسَانْ

يرجع "نزار" من خلال هذه السطور، عودًا على بدء، إلى أسباب هزيمة حزيران والتي لا يراها إلاّ نتيجة تخاذل الحاكم العربي الذي تنازل عن مقدساته وأرضه التي منها (القدس وبيسان) ليجعل من قصور هؤلاء قيادة الأركان، ليبدأ حساب الصهاينة، ويغيّر وجه الخريطة (م22):

نَحْنُ الذِينَ نَرْسُمُ الخَرِيطَهْ
وَنَرْسُمُ السُفُوحَ وَالهِضَابْ
نَحْنُ الذِينَ نَبْدَأُ المُحَاكَمَهْ

---

* "موشيه دايان"، (20 مايو 1915- 16 أكتوبر 1981) عسكري وسياسي إسرائيلي، يترجم اسمه من العبرية إلى العربية " القاضي موسى" ويلقب بالوطن العربي الأعور، ولد بفلسطين عندماكانت تحت الهيمنة العثمانية، في حرب 1948م عمل على قيادة العمليات العسكرية الدفاعية في سهل الأردن.و أعجب به رئيس الوزراء الإسرائيلي "ديفيد غوريون" أشدّ الإعجاب و اختاره شيمون بيريز لحمايته الشخصية وترقى بالمناصب العسكرية بعد حرب 1948م بين الفترة 1955- 1958م إلى أن وصل لمنصب رئيس الأركان للجيش الإسرائيلي، وفي عام 1967م عين "شكول" "موشيه دايان" وزيرًا للدفاع.. لم يكن لدايان دور يذكر للتخطيط والإعداد لحرب 1967 إلاّ أنّه أسهم إيجابًا للجانب الإسرائيلي في مجريات الحرب، ولم يدخر جهدًا بعد الحرب في الأمور الدعائية لنسب الانتصارات في حرب 1967 لصالحه. ينظر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، موشيه دايان (على الخط)، تمت الزيارة يوم 01 / 03 / 2012 متوفر على العنوان: http: //f. Wikipedia. Org/ موشيه دايان

وَنَفْرِضُ الثَوَابَ وَالعِقَابْ..

فإعادة رسم الخريطة يتضمن افتراضا مسبقًا بتحريف شكلها وتغييرها، فقبل النكسة كانت الأمّة العربية محافظة على أقاليمها وبلدانها، لتتغيّر هذه الخريطة بفعل فاعل، وتستولي إسرائيل على سيناء، والجولان. وضفة الأردن، ليتسع الخرق على الراقع، ويستفحل العضال في قلب الأمة عندما استبيح القدس، ليصل إلى أطرافها، وكلها عوامل مجتمعة حملت صاحب القولة على إنشاء فعل الوعيد للصهاينة، بتغيير هذه الخريطة التي لم يستوعب "نزار" أو غيره من العرب حدودها، ولا ألوانها المفروضة عليه؛ فهو يبشّر بفجر ثورة تبدّع وتنشّئ العربي من جديد، من حال السكون إلى الحركية، وهو ما ذكره في (م 23):

العَرَبُ الذِينَ كَانُوا عِنْدَكُمْ
مُصَدِّرِي أَحْلَامْ
تَحَوَّلُوا – بَعْدَ حُزَيْرَانَ – إِلَى حَقْلٍ مِنَ الأَلْغَامْ
وَانْتَقَلَتْ (هَانَوِي) مِنْ مَكَانِهَا..
وَانْتَقَلَتْ (فِيتَنَامْ)..

إنّ استعمال "نزار" للفعل تحوّلوا بالنسبة للعرب، يتضمن افتراضًا مسبقًا ببقائهم على حال واحدة عند المخاطب الذي يزعم أن العرب لن يحركوا ساكنًا، ولن تكون لهم ردّة فعل على ما يحدث بأرضهم، ليعتمد "نزار" على المعرفة الخلفية للعالم والتاريخ، ويستحضر (هانوي) و(فيتنام) رمزا البطولة والتضحية، وليبرهن للصهاينة وأشياعهم على أنّ إرادة الشعوب لا تقهر، هذه الثورة تحمل معها بذور الفناء لأعداء الشعوب، لتنتقل إلى العرب ليستردوا أرضهم السليبة ومجدهم الضائع.

ومن المعاني التداولية المضمنة (التهديد) القابع وراء عبارات الحقد والكراهية، في قوله (م 26):

مُحَاصَرُونَ أَنْتُمْ بِالحِقْدِ وَالكَرَاهِيَهْ
فَمِنْ هُنَا.. جَيْشُ أَبِي عُبَيْدَةٍ
وَمِنْ هُنَا مُعَاوِيَهْ
سَلَامُكُمْ مُمَزَّقٌ
وَبَيْتُكُمْ مُطَوَّقٌ
كَبَيْتِ أَيِّ زَانِيَهْ

استعمال "نزار" للمنطوق محاصرون يقتضي تربص جموع العرب بالصهاينة، ومثله كذلك قوله: سلامكم ممزق الذي يقتضي أن إسرائيل كانت تراهن على نجاعة مسرحيات السلام التي تفطن لها العربي

بعد يقظة العربي وجبت معاقبة الجاني ومصادرة أملاكه، بل محق معالمه (م27):

نَأْتِي.. لِكَيْ نُصَحِّحَ التَارِيخَ وَالأَشْيَاءْ..

وَنَطْمِسَ الحُرُوفَ مِنَ الشَوَارِعِ العِبْرِيَّةِ الأَسْمَاءْ..

فالفعل نصحّح يتضمن افتراضًا مسبقًا بأنّ هناك أمكنة عربية قد تمّت مصادرتها من العرب، وتلونت بكلّ مظاهر الحياة الإسرائيلية، واستبدلت اللغة العربية باللغة العبرية، فقد آن الأوان أنْ نصحّح التاريخ ونطهر الأمكنة من رجسهم وبراثنهم.

2- الاستلزام الحواري:

وضع "غرايس" مجموعة من المبادئ التي تساعد المشاركين في المحادثة للوصول للمعاني، وهذه المبادئ كما ذكرها، مبدأ النوعية، والكمية، والعلاقة (المناسبة)، والأسلوب (الكيفية)، وكلها تندرج ضمن (مبدأ التعاون) الذي بناه "غرايس"- في أغلب الظن- على نزعة إنسانية تعاونية خيرة مفترضة.

اهتم "غرايس" بشرح الاختلاف بين ما (يقال) وما (يعني)؛ فما (يقال) هو ما تعنيه الكلمات حرفيًا، وهو ما يمكن شرحه- غالبًا- وفق مفهوم الحقيقة، أمّا ما (يعني) والذي نعني به القصد، فهو التأثير الذي يحاول المتكلم إضفاءه على السامع، من خلال معرفة هذا الأخير لذلك القصد معتمدًا على جملة المعطيات التي يتقاسمها مع المتكلم (المعرفة العامة [*] والمعرفة السياقية المشركة)؛إذن فالقصد من القول هو ما تعنيه الكلمات مجازيًا (المعنى غير الحرفي)، أو ما يمكن تسميته بالمعنى السياقي فقد رأى "غرايس" أن الناس في محاوراتهم قد يقولون أكثر مما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون فهذه الاعتبارات تؤدي مباشرة إلى إمكانية خرق مبدأ التعاون وعلاقاته، ليتولد الاستتباع الحواري (الاستلزام الحواري).

[*] إنّ الناس لا يعرفون معنى تعابير لغتهم فقط، ولكن لديهم معرفة عقلانية إنسانية عامة تحت تصرفهم، جيفري ليش وجيني توماس، البرقماتية (المعنى في السياق)،، ضمن الموسوعة اللغوية، تحرير: ن.ي. كولنج، ترجمة: محي الدين حميدي وعبد الله الحمدان، منشورات جامعة الملك سعود – النشر العلمي والمطابع، الرياض – السعودية- (د.ط)، (د.ت)، 1/ 259.

يمكن اعتبار مبدأ التعاون وسيلة لشرح كيفية وصول الناس للمعاني، إلاّ أنّه قد يمكننا أن نخرق بوضوح صارخ أحد المبادئ ويسمي "غرايس" هذا الخرق (الاستهزاء بالمبادئ) كي نقود المخاطب إلى معنى ضمني غير واضح لا يتمّ الوقوف على دلالته إلاّ بتوليد الاستلزام الحواري [1]، ولنا معرفة هذه الاستتباعات الحوارية، بالوقوف على المعاني غير الحرفية المضمرة وراء التراكيب، وذلك بتحليل بعض ألوان المجاز كـ (الاستعارة، والكناية، والتشبيه)، والتي تعد بإجماع أرباب الدرس التداولي من أنواع الاستعمال غير الحرفي.

إنّ الحديث عن (الاستعارة) يقودنا إلى تمثل كلّ المعاني غير الحرفية التي نقف على مدلولها بواسطة السياق، ولا نقصد بالتركيب الاستعاري الاستعارة كما هي محددة بلاغيًا، وإنما يقصد بها التعبير المجازي بكلّ ضروبه؛ فالمبالغة، وتجاوب الحواس، والسخرية، والتمثيل، يمكن أن تعتبر مجازات استعارية متميزة [2]، فالاستعارة بهذا المعطى تعني المجاز، وتجاوز الحقيقة، وهذا ما عبّر عنه "أمبرتو إيكو" بقوله: « من البديهي أن من يستعمل استعارة فهو حرفيًا يكذب » [3]؛ لأنّه ما من شكّ أن القيام باستعارة ينتهك قاعدة النوع، والكم، والمناسبة، والطريقة، هذا الانتهاك يقود السامع إلى تمثّل استلزامات حوارية صادقة، إذ أنّه يمكن أن نستخلص من القول الذي يعبّر عن قضية كاذبة استلزامات صادقة[4].

فالاستعمال غير الحرفي (الاستعارة والتشبيه) لا يمثل مقصدية الشاعر الأساسية، وإنما يرمي إلى شيء آخر ينضوي تحت التركيب، باعتبار أن التشبيه والاستعارة في الصورة الشعرية المعاصرة ليسا هدفين بحدّ ذاتهما، وإنما هما وسيلتان لاستكشاف شيء آخر [5].

جاء في (م 1):

لَنْ تَجْعَلُوا مِنْ شَعْبِنَا

شَعْبَ هُنُودِ حُمْرْ

---

[1] جيفري ليش وجيني توماس، البرقماتية (المعنى في السياق)، ص 259.

[2] هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ص 83.

[3] أمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، ص 238.

[4] آن روبل وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في الواصل، ص 192-193.

[5] عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، (قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية)، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، بيروت – لبنان– ط3، 1981، ص 143.

في التركيب الاستعاري ينفي "نزار" المشابهة بين شعبه وشعب الهنود الحمر، وهو تعبير غير حرفي يقودنا إلى استلزامات صادقة كالآتي: لن تستطيعوا القضاء علينا، لنا القدرة على دحركم، أنتم أقلّ من أن تفعلوا، لأنّكم جبناء، إن الزمن سيكشف لكم عن قناعه، أنتم لستم كأمريكا، ولسنا كالهنود الحمر.

ثمّ ليقدم الشاعر تركيبًا استعاريًا رائعًا:

فِي هَذِهِ الأَرْضِ التِي تَلْبَسُ فِي مِعْصَمِهَا

إِسْوَارَةً مِنْ زَهْرْ..

في هذا المنطوق يشبه "نزار" الأرض بالمرأة التي تتقلد السوار الذي يكشف عن كلّ بواعث الحسن، ليحذف المرأة (المشبه به) ويبقي على لازم من لوازمها (السوار)على سبيل الاستعارة المكنية، فهذه الاستعارة تقودنا إلى تمثل معان ضمنية مسكوتا عنها، وهذا ما يندرج ضمن بلاغتها وأثرها في المعنى، على نحو ما عبرّ عنه "عبد القاهر" : « إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل، كأنها قد جُسّمت حتّى رأتها العيون، وإن شئت لطّفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها إلاّ الظنون»[1]، فالقول بالظنون فيما أورده الجرجاني يكاد يكون طبقًا لما يعرف بالاستلزامات الحوارية الصادقة التي يعبر عنها هذا المنطوق الاستعاري: لا يمكنكم يا بني صهيون أن تعكروا صفو حياتنا، حياتنا مشرقة بالأمل، سنعيش في أرضنا سعداء، نلعب ونعشق...

ليواصل في المقطع نفسه تأكيد أحقية العربي في وراثة أرضه التي عليها وجد منذ فجر العمر:

مُشَرِّشُونَ نَحْنُ في تَارِيخِهَا

يمكن أن نعدّ هذا المنطوق من الاستعارة الحسية أو المجسمة، وذلك بتعويض المجرد بغير المجرد [2]، فقد جعل من التاريخ وهو الشيء المعنوي بمثابة الشيء المادي الذي يتشبث به، فهذا المنطوق في ظاهره كاذب، لكن يمكن أن يشفع باستلزامات صادقة من قبيل: إن التاريخ يثبت أن الأرض لنا وليس لكم أيّ ارتباط بها، عليكم أن ترحلوا منها، فهذه المعاني عبّر عنها كل الشعراء العرب لردّ مزاعم اليهود الباطلة بعد المأساة الأولى (1948م) تعبيرًا جادًا عن المأساة؛ خاصة الشعراء غير

[1] الجرجاني عبد القاهر ، أسرار البلاغة، مراجعة وتعليق: عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان- ط1، 2006، ص 47.

[2] هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية، ص 84.

الفلسطينيين الذين استطاعوا الموازنة بين العاطفة والفكر في بكائهم لها، على خلاف شعراء فلسطين الذين غنوا أصدق ألحان المأساة وأعمقها عاطفة، لمعايشتهم التجربة، هذا مما أدى إلى طغيان العنصر الانفعالي على العنصر الفكري، ليبدو شعرهم هزيلاً فقيرًا [1].

ليبقى هذا الانفعال مسيطرًا على الشعر العربي المعاصر خاصة بعد النكسة الثانية التي أثرت في الشاعر العربي تأثيرًا بالغًا مثلما هو مجسد في هذه القصيدة الثائرة لـ"نزار قباني".

ثم ليخاطب "نزار" اليهود بهذا المنطوق غير الحرفي في (م 2):

لَا تَسْكَرُوا بِالنَصْرْ

جعل "نزار" من (النصر) وهو الشيء المعنوي خمرة معتقة مكثت حقبة في قعر دن ينتشي بها متعاطيها، فهذا المنطوق كاذب حرفيًا، لكنه – حسب مقصدية الشاعر– يقودنا إلى استلزامات حوارية صادقة، توحي بما يريد الشاعر أن يعرب عنه، وكأنّ لسان حاله يقول: يا بني إسرائيل لا يأخذكم الغرور، احذروا إن الأيام دول، عليكم أن تفيقوا من غفلتكم، انتصاركم نشوة عابرة، ستصحون على وقع الهزيمة... فكلّ هذه الاستلزامات تكرس غرضًا واحدًا وهو الوعيد.

ومثله كذلك ما صرح به في (م5):

فَنَحْنُ مَبْثُوثُونَ فِي الرِّيحِ.. وَفِي المَاءِ.. وَفِي النَبَاتْ

يريد "نزار" من خلال هذا القول أن يعبّر عن مدى التصاق العربي بأرضه وانتشاره بها، حتّى لا سبيل لليهودي للهروب والإفلات، فقد قدم صورة رائعة عندما شبه العربي بما تنقله الريح، وبما يخلط به الماء، وبما يتصل بالنبات، فهذا التعبير المجازي يضفي إلى ما ينوي الشاعر التصريح به من استلزامات حوارية حقيقة صادقة، على نحو: سندرككم أينما تذهبون، لن تفلتوا من قبضتنا، نأتيكم من كلّ مكان، وذلك أيضًا لإنشاء غرض الوعيد الذي يتجلى أكثر في المقطع السابع (م 7):

أَعْمِدَةُ النُورِ لَهَا أَظَافِر
وَلِلشَّبَابِيكِ عُيُون عَشْرْ
وَالمَوْتُ فِي انْتِظَارِكُمْ
فِي كُلِّ وَجْهٍ عَابرٍ.. أَوْ لَفْتَةٍ.. أَوْ خَصْرْ..

---

[1] صالح الأشتر، مأساة فلسطين وأثرها في الشعر المعاصر، مطبعة جامعة دمشق – سوريا – 1961، ص 18.

المَوْتُ مَخْبُوءٌ لَكُمْ

تحمل هذه السطور معاني ضمنية تعكسها الصور المتضافرة، وهي في مجملها استعارات مكنية، إذ يرى "نزار" أن لأعمدة النور أظافر وكأنها ضوارٍ تبطش بضحيتها، وللشبابيك عيون راصدة، وكأنها جواسيس ترقب عدوها، والموت متربص ومخبوء، وكأنه كمين ليفتك بمن تربص به. فهذا الاستعمال الحرفي الكاذب لم يدل به الشاعر إلاّ لمعاني سياقية مستلزمة من قبيل: أنتم محاصرون، الخطر يحيط بكم، ستهلكون بغتة وأنتم لا تشعرون.

لا ريب أن مأساة فلسطين هي أعظم تجربة يعانيها الأدب العربي المعاصر، وهي التي هزّت أهوالها ضمائر الشعراء العرب، لتوحي إليهم بصور شعرية لا حصر لها كما هو معبّر عنه في (م 10): **نِسَاؤُنَا..**

يَرْسُمْنَ أَحْزَانَ فِلِسْطِينَ عَلَى دَمْعِ الشَجَرْ

يُقْبِرْنَ أَطْفَالَ فِلِسْطِينَ بِوِجْدَان البَشَرْ

أيُّ رسم ترسمه نساء فلسطين؟ وهل الأحزان ترسم؟ إنّه ضرب من التصوير، فالحزن هو الشيء المعنوي، أنّى له أن يرسم؟ ففي وجدان النساء ألوان كافرة من البؤس والشقاء، من ثكلٍ وموتِ وجوعٍ ... يصارعن المقادير العمياء، فـ"نزار" تمثل الأشياء الواقعة في المكان في صورة شعرية تتجاوز فيها الكلمات صورة المشابهة إلى صورة تعبيرية، فالشاعر عندما يستخدم الكلمات الحسية، إنما يحاول أن يثير الدهشة في القارئ بواسطة الارتباط غير المتوقع بين الألفاظ [1]، فمن هذا المنطلق نجد أن "نزارا" لم يتجاوز بهذه الصورة الشعرية المعاني الحرفية للتركيب، وإنما ما تضمنته الاستعارة من تشبيه خفي مستور ليعبر عن معاناة مضمنة كانت قدرًا مقدورًا على الضعفاء من أهل فلسطين (النساء والأطفال)، لعلّه بهذه الصيغ يحرك نخوة أمّة رآها رضيت بالضيم ودبّ فيها الهوان والذلّ، ليخاطب "نزار" الضمير الجمعي العربي بكلّ ما تحويه الصورة من طاقات وإيحاءات تؤثر في المتلقي، وهذا ما أشار إليه "جابر عصفور" بقوله: « لقد توقف أغلب البلاغيين والنقاد عن مجرد تقرير أن المجاز أفضل من الحقيقة؛ لأنّه يؤثر في المتلقي ويستجيب لهذه الخصوصية التي تحدثها الصورة في المعنى» [2]، فالمعنى السياقي – حسب مقصدية القائل– يقودنا إلى استلزامات حوارية مطابقة للمقام الذي أنجزت

[1] رمضان الصباغ، في نقد الشعر العربي المعاصر دراسة جمالية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية – مصر– ط1، 1988، ص 310.

[2] جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان– ط3، 1992، ص 324.

فيه نحو: أين أنتم يا عرب؟، إن القدس يناديكم، أين الإنسانية يا دعاة السلام، ويا أصحاب الشعارات الكاذبة؟

ثمّ ليكشف "نزار" المؤامرة التي حاكتها تلك المنظمات البائسة بتعبير مجازي يحمل كلّ دلالات الحزن والأسى إلى ما آلت إليه البشرية من وحشية وموت الإنسان فيها، في (م 11):

لَقَدْ سَرَقْتُمْ وَطَناً..

فَصَفَّقَ العَالَمُ لِلمُغَامَرَهْ

صَادَرْتُمْ الأُلُوفَ مِنْ بُيُوتِنَا

وَبِعْتُمْ الأُلُوفَ مِنْ أَطْفَالِنَا

فَصَفَّقَ العَالَمُ للسَّمَاسِرَهْ

من التعبير غير الحرفي أو الكاذب أن يقال: وطن سُرق، فما جرت فيه العادة في تحليل المجاز أن يكون المسروق ما اشتمل عليه الوطن من خيرات، ليمثّل الوطن (المكان أو المحل)، وبهذا نكون أمام مجاز مرسل علاقته المحلية، لكن المفارقة تكون إذا كان هذا المسروق وطنًا فعلاً، وحقيقة لم يهضمها بنو يعرب، أمام مباركة الهيئات الجائرة التي عبّر عنها بهذا المنطوق المجازي (فَصَفّق العَالمُ للسّمَاسِرة)، ولم يقصد بالعالم إلاّ تلك المنظمات العالمية التي لم تنصف القضية الفلسطينية، ليشكل هذا المنطوق غير الحرفي مجازًا يقودنا إلى استلزامات حوارية تعرب عن قصدية الشاعر نحو: هذه بلادنا وأرضنا، وليس لكم مكان فيها، أنتم لا تمتون للإنسانية بصلة يا قراصنة السطو ويا قتلة الأطفال الأبرياء، تبًّا لكم وتبًّا لمنظمات عقوق الإنسان التي تذكي أوجاع المعطوبين وتُعين الظلمة على جورهم، ليغلق المقطع باستعارة ساخرة:

وَتَنْصِبُونَ مَأْتَماً

إِذَا خَطَفْنَا طَائِرَهْ..

ثمّ ليتذكر "نزار" النكسة المؤلمة ويعطيها دلالة أخرى في (م 15):

لَيْسَ حُزَيْرَانُ سِوَى يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامْ

وَأَجمَلُ الوُرُودِ، مَا يُنْبِتُ فِي حَدِيقَةِ الأَحْزَانْ..

فقد جعل "نزار" من أحزان (حزيران) حديقة تنبت أجمل الورود، وفي استعمال هذا المعنى السياقي يبتغي التأثير في نفس السامع؛ لأنّ حقيقة التشبيه الجيد ترمي إلى إدراك ما بين الطرفين من

صفة صادقة تؤثر في النفس، وتتدرج بها إلى فهم طبقات المعنى [1]، فالغاية من الاستعمال غير الحرفي الوصول بالسامع إلى الاستلزامات الآتية: يا آل إسرائيل لا تفرحوا بالنصر، إنّ الهزيمة والأحزان قناديل تضيء الدرب، إنّ للحرية ثمن، نحن على يقين أن بعد العسر يسر... ثمّ ليواصل في نفس الغرض، وهو التهديد والوعيد في (م 16):

لِلْحُزْنِ أَوْلَادٌ سَيَكْبُرُونْ..

لِلْوَجَعِ الطَوِيلِ، أَوْلَادٌ سَيَكْبُرُونْ..

لِلْأَرْضِ.. لِلْحَارَاتِ.. لِلأَبْوَابِ.. أَوْلَادٌ

سَيَكْبُرُونْ..

فقد جعل للشيء المعنوي (الحزن، والوجع) وللجماد (الأرض، والحارات، والأبواب) أولادا، مشبهًا إياهم بالإنسان، وهو ضرب من التشخيص، أو ما أسماه "هنريش بليت" H. Plett « بالاستعارة المشخصة، تعويض حي بغير حي، أو عاقل بغير عاقل» [2]، وله وراء هذا الاستعمال السياقي قصدًا يقود المخاطب إلى استلزامات حوارية يمكن تأويلها كالآتي: عليكم أن تعرفوا أن التقتيل لا يزيدنا إلاّ قوة، يجب عليكم أن تتركوا فلسطين لأهلها، إن الأحزان ستجمعنا، سيأتي من يقتص منكم حقّه، إنّا للحرب أولاد مشائيم سينالون منكم، ماذا تنتظرون ممن ألقمتموهم الأحزان والأوجاع؟

وَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ.. تَجَمَّعُوا مُنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَهْ

فِي غُرَفِ التَحْقِيقِ.. فِي مَرَاكِزِ البُولِيسِ.. فِي

السُجُونْ

تَجَمَّعُوا كَالدَمْعِ فِي العُيُونْ..

إنّ تشبيه من يرتادون غرف التحقيق ومراكز البوليس والسجون، بالدمع الذي يتجمع في العيون، للدلالة على شدّة الوجع والغيظ، وفي هذه المشابهة يرمي "نزار" إلى « تنفير النفس عمّا تنفر منه »،

[1] أبو علي محمد بركات حمدي ، البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق، سلسلة الأدب والبلاغة والبيان القرآني، عدد 6، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان- الأردن- ط1، 2003، ص (98- 99).

[2] هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية، ص 84.

بعبارة "القرطاجني" [1]، ولهذا الاستعمال السياقي المؤول بالاستلزامات الحوارية دور في تمرير معاني الخطاب، وذلك لإنشاء غرض الوعيد.

ثم ليؤكد على معاناة الفلسطيني التي استمرت ردحًا من الزمن في (م 21):

ظَلَّ الفِلِسْطِينِيُّ أَعْوَاماً عَلَى الأَبْوَابْ
يَشْحَذُ خُبْزَ العَدْلِ مِنْ مَوَائِدِ الذِئَابْ
وَيَشْتَكِي عَذَابَهُ للوَاحِدِ التَوَّابْ
وَعِنْدَمَا..
أَخْرَجَ مِنْ إِسْطِبْلِهِ حِصَانَهُ
وَزَيَّتَ البَارُودَةَ المُلْقَاةَ فِي السِرْدَابْ
أَصْبَحَ فِي مَقْدُورِهِ
أَنْ يَبْدَأَ الحِسَابْ..

ليجعل من العدل خبزًا يشحذ، وذلك تعبيرًا منه لحاجة الفلسطيني لهيئات أممية منصفة، ولكنها مؤتمرات تحاكي موائد الذئاب في جورها وتغميطها حق الفلسطيني، فهذا المنطوق غير الحرفي يقود السامع إلى معاني سياقية يمكن ذكرها فيما يأتي: إنّ الحلول السلمية لا تجدي، لن نلجأ إلى هيئات أممية لتنصفنا، سنعلّم أعداءنا نماذج من البطولة، في نحو ما أورده في (م 24):

حَدَائِقُ التَارِيخِ دَوْماً تُزْهِرُ

يذكر "نزار" الصهاينة أنّ للتاريخ حدائق لا تنضب أزاهيرها، ليجعل من هذا المنطوق الاستعاري صورة شعرية مكثفة تحمل كلّ ألوان التهديد والوعيد التي تفصح عنها هذه الاستلزامات الحوارية: عليكم أن تأخذوا العبرة والدرس من الثورات الشعبية المنصرمة، إنّ إرادة الشعوب لا تقهر، ألم يقل الشابي في قصيدة (إرادة الحياة) ؟ (المتقارب):

إذا الشَّعبُ يَومًا أرَادَ الحَيَاةَ فَلاَ بُدَّ أنْ يَستَجيبَ القَدَرْ[2].

[1] القرطاجني حازم ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، (د ط)، 1966، ص 113.

[2] الشابي أبو القاسم، ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، قدم له وشرحه: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان– ط2، 1994، ص 88.

أما رأيتم ما فُعل بفرنسا في هانوي (فيتنام) وفي (الأوراس)؟ وما لحق إيطاليا في صحاري ليبيا؟ من الأجدر بكم أن تتركوا الأرض لأهلها، أنا الفلسطيني أعرف كيف أطيح بجلادي، وهو ما أعلنه صراحة في (م 25):

أَنَا الفِلِسْطِينِيُّ
بَعْدَ رِحْلَةِ الضَيَاعِ وَالسَرَابْ
أَطْلَعُ كَالعُشْبِ مِنَ الخَرَابْ
أُضِيءُ كَالبَرْقِ عَلَى وُجُوهِكُمْ
أَهْطُلُ كَالسَحَابْ

قدّم "نزار" في هذا التركيب صورة شعرية مركبة، إذ شبه ضياع الفلسطيني تحت سيطرة الصهاينة برحلة مجهولة مشؤومة لا يعرف وجهتها ولا نهايتها، ثمّ ليشبّه الأماني والوعود الكاذبة التي كان يمنى بها بالسراب على سبيل الاستعارة التصريحية، وبعد معرفته لحقيقة عدوّه، وجب عليه أن يحاكي انبثاق العشب، وسنا البرق، وأن ينهمر كالوابل الجارف، ليقدم مجازًا مرسلاً علاقته المحلية عندما ذكر المحلّ (السحاب) وعدل عن ذكر المطر؛ ليجعل من الصورة أكثر تعبيرًا عن المعنى، ولعلّ هذه المعاني السياقية تحيلنا إلى الاستلزامات الحوارية التالية: مهما فعلتم من جرائم وإبادات لن تستطيعوا القضاء علينا، لا يمكنكم إخماد المقاومة، ستمتد المقاومة إلى كلّ ربوع الوطن، لا يزيدنا التقتيل إلاّ عزمًا وقوة...

وفي تعبيره عن بغضه للصهاينة وانتقاصه من قيمتهم الوضيعة السافلة يصرّح "نزار" بهذا المنطوق غير الحرفي في (م 26):

مُحَاصَرُونَ أَنْتُمْ بِالحِقْدِ وَالكَرَاهِيَهْ
فَمِنْ هُنَا.. جَيْشُ أَبِي عُبَيْدَةٍ
وَمِنْ هُنَا مُعَاوِيَهْ
سَلَامُكُمْ مُمَزَّقٌ
وَبَيْتُكُمْ مُطَوَّقٌ
كَبَيْتِ أَيِّ زَانِيَهْ

إن الأحقاد والكراهية تحيط بالصهاينة وتحاصرهم، وكأنها جيوش متربصة بعدوها، فهذا التركيب غير الحرفي يدخل ضمن الاستعارة المكنية، ومثلها حينما جعل السلام ثوبًا بقرينة (التمزيق)، وشبه دويلتهم ببيت زانية يستقطب من هبّ ودبّ من الزوار، فكلا البيتين يشتركان في كثرة ورادهما، فهذه المعاني السياقية غير الحرفية تسوق المتلقي إلى الاستتباعات الحوارية الآتية: سنحطم أركان دويلتكم، إنّ السلم مسرحية، ستخرجون من حيث دخلتم، نعم إنّ الفلسطيني سيأتي ليفرض العقاب، ويصحح ما اختل من الأشياء والتاريخ، وهو ما أدلاه في (م 27):

مِنْ رَحِمِ الأَيَّامِ نَأْتِي كَانْبِثَاق المَاءْ
مِنْ خَيْمَةِ الذُلِّ التِي يَعْلُكُهَا الهَوَاءْ
نَأْتِي.. لِكَيْ نُصَحِّحَ التَارِيخَ وَالأَشْيَاءْ..
وَنَطْمِسَ الحُرُوفَ مِنَ الشَوَارِعِ العِبْرِيَّةِ الأَسْمَاءْ..

سيبعث الفلسطيني من جديد من الأيام التي شبهها الشاعر بالرحم، ويأتي لعدوّه مثل انبجاس الماء، وقد جعل من الذّل خيمة، وما الفرق بينهما إذا كانت هذه الخيمة هي خيمة (اللاجئين) التي اقترنت بكلّ مظاهر الذّل والصغار، وصور البؤس والشقاء والضياع، وتقف أمام خيمة اللاجئين لتقص قصة العربي التائه، لقد انتهى دور اليهودي التائه منذ أن أصبح له في إسرائيل وطن قومي يحميه، وبيت يظلّه ويؤويه، وأرض تطعمه من خيراتها وتؤويه، وهام العربي على وجهه، بلا وطن، ولا بيت ولا أرض، يجوب في الدروب حافيًا عاريًا خائفًا...حتّى إذا أقبل عليه الليل أوى إلى تلك الخيمة السوداء التي أصبحت رمزًا كريهًا للنكبة [1]، هذه الخيمة البائسة يعلكها الهواء ويعبث بها، ففي هذا التركيب ضرب من التشخيص، وفي قوله: «نطمس الحروف»، جعل من الحروف شخصية تطمس، وهي استعارة مكنية إذا نظرنا إلى القرينة اللفظية (نطمس)، وهو لا يقصد (الشوارع العبرية) وإنّما يقصد ما في الشوارع من مُثل وثوابت الصهيونية – إن كانت لهم مُثل وثوابت– باعتبار الشوارع (محل)، ليكون المجاز مرسلاً علاقته المكانية، إذًا هذه الألوان من المعاني السياقية تقودنا إلى استتباعات حوارية يمكن إيرادها فيما يلي: سنأتيكم من كلّ مكان، آن وقت الحساب، ستعودون إلى تيهكم، لن يقطن الفلسطيني خيام اللاجئين، سنهزمكم ونطهر الشوارع من براثنكم ورجسكم.

[1] صالح الأشتر، مأساة فلسطين وأثرها في الشعر المعاصر، ص 16.

هذه المعاني السياقية التي تمّ رصدها من المدونة تدخل ضمن مجازات التشابه (الاستعارات)، وفيما يلي سنقوم برصد مجازات التجاور (الكنايات) [1]، وما انضوى تحتها من الرموز باعتبارها صورًا مستحدثة للكنايات، وقد عرفت (الكناية) بأنّها لفظ أطلق أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه، وهي في عرف اللغة أن تتكلم بشيء وتريد غيره [2]، وللكناية وظائف وفوائد لا تقوم بها الاستعارة، ولا التشبيه، لأن لها نمطًا خاصًا ومسلكًا مميزًا، فبداياتها واضحة ثمّ لتتصاعد في المعنى حتّى تغدو لدى المتلقي العادي ألغازا وأحاجي تستغلق في رموزها ومعانيها، فهي تجمع بين الاستعارة والتشبيه في مشهد بياني واحد، فهي تتحدث عن الاستعارة المكنية، وتأخذ منها المعنى الكنائي، وتبرز التشبيهية، وتنتهي إلى معنى كنائي ضمني [3]، وتتطلب مهارة الكناية سعة ثقافة وتنوع معرفة في ضروب المجتمع وطوابعه، وفي العادات وشيوعها، والتقاليد والأصالة، وفي أنماط تفكير المتلقين وحاجاتهم، ولمعرفة الأبعاد الثقافية أو المعرفة المشتركة أو الخلفية المختزنة لدى مستخدمي اللغة، وجب توفر الإستراتيجية التلميحية التي يحققها التعبير الكنائي حتّى جرى مجرى المثل قولهم: « ما في التلميح يغني عن التصريح».

أمّا الرمز فهو يعتبر من أهم وأبرز أساليب الشعراء المعاصرين في التعبير عن مشاعرهم، وتدعو الرمزية – من حيث هي اتجاه فني– إلى الارتقاء فوق الواقع المحسوس إلى عالم مثالي منشود، وتتخذ من الرمز أداة للربط بين العالمين، فدارس المتن الشعري المعاصر يكتشف أن ظاهرة توظيف الرمز الشعري فيه آخذة في التنامي والازدياد، إذ أن القصيدة لم تعد تقديرية تعتمد على محاكاة الواقع، بل تجاوزت الخطابية إلى مرحلة التعبير بالرمز والإيحاء، فالرمز يبعث في القارئ كثافة التخييل، ويثير في نفسه عمق التأويل [4]، فالرمز ليس إلاّ وجهًا مقنعًا من وجوه التعبير بالصورة ولا يستدعي المقام تتبع مصطلح الرمز تاريخيًا أو معرفة أنواعه، غير أن الذي يهمّنا – هنا– هو اعتبار الرمز نوعا من أنواع الاستعمال غير الحرفي الذي يقودنا إلى استتباعات حوارية تكشف إدراكه الحسي للعلاقات العميقة

[1] هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية، ص 83.

[2] القزويني الخطيب (جلال الدين محمد بن عبد الرحمن)، التلخيص في علوم البلاغة، ضبط وشرح: عبد الرحمان البرقوقي، دار الفكر العربي، بيروت – لبنان– ط1، 1904، ص 337.

[3] محمد بركات حمدي أبو علي، البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق، سلسلة الأدب والبلاغة والبيان القرآني، عدد 6، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان– الأردن– ط1، 2003،ص 135.

[4] بن زرقة سعيد ، الحداثة في الشعر العربي، أدونيس نموذجًا، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان– ط1، 2004، ص 287.

والخفية بين الظواهر المادية وما يختبئ وراءها من أسرار بتوظيف الطاقة الإيحائية للرمز المتولدة من التقاء الأشياء.

فالكناية والرمز كلاهما يعتمد على المعرفة الخلفية المختزنة لدى المتخاطبين؛ لأنّنا نلاحظ أن الانتقال من دلالة الوضع (المعنى الحرفي) إلى دلالة الملزوم بالعقل (المعنى المستلزم)، يتم بواسطة استدلالات ذات طبيعة غير لغوية، وهو ما يعرف عند بعض المناطقة المعاصرين بالخلفية الثقافية الاجتماعية، ومن هذه الأبعاد الثقافية مخزون اللغة الثقافي على نحو ما استعمله "نزار" في خطابه:

وردت في (م 1) مجموعة من الرموز (الخبز المرقوق، الزيتون، القمح المصفر) للدلالة على الأصالة والتمسك بالعادات والتقاليد والمثل العربية، (آذار، نيسان) ارتبطا بالتراث والحكايا الشعبية والأمثال في المشرق العربي، (الصلبان، النبي الكريم، القرآن، الوصايا العشر)، وهي رموز دينية تدل على التمسك بالمعتقد، فهذه الرموز تتجاوز بنيتها الحرفية إلى إيحاءات تقودنا إلى استلزامات حوارية يمكن إيرادها كالآتي: هذه بلادنا، ما لكم مكان فيها.

يقدم الشاعر تعبيرين إيحائيين في (م 2):

إِذَا قَتَلْتُمْ خَالِداً

فَسَوْفَ يَأتِي عَمْرُو

وَإِنْ سَحَقْتُمْ وَرْدَةً

فَسَوْفَ يَبْقَى العِطْرْ..

ويمثلان كناية عن صفة التحدي والإصرار، مدعمة باستحضار الشخصية التراثية التي من خلالها يحقق غايته، ويثري تجربته الشعرية ويمنحها شمولاً وكلية وأصالة عبر تقنية القناع التي تمكّنه من قول كلّ شيء، « لأنّه سيلجأ إلى شخصية أخرى يتقمصها أو يتحد بها أو يخلقها خلقًا جديدًا » [1]، مثلما وظف شخصيتي "خالد" و"عمرو" رمزا البطولة والعزة، ولعلّ "نزارا" يرمي، من خلال هذا الاستعمال غير الحرفي، إلى التعبير عن مقصديته التي تحيلنا إلى هذه الاستلزامات الحوارية: لا يزيدنا التقتيل إلاّ قوة، لا يمكنكم قمع المقاومة، كلّ قتيل عندنا يموت آلافا من المرات.

ثم ليبين علّة هوان الصهاينة من خلال هذا المنطوق الكنائي في (م3):

[1] محمد علي كندي، الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت – لبنان– ط1، 2003، ص 101.

لأَنَّ مُوسَى قُطِعَتْ يَدَاهْ
وَلَمْ يَعُدْ يُتْقِنُ فَنَّ السِّحْرْ
لأَنَّ مُوسَى كُسِرَتْ عَصَاهْ
وَلَمْ يَعُدْ بِوسْعِهِ

وهما كنايتان عن صفة (العجز وبطلان المعجزة)، وفي توظيفه لشخصية "موسى عليه السلام" الذي نظنّ- تجوزًا- أنّه يرمز لمن ينسبون إلى ملّته، وهم اليهود، أمّا سحر "موسى" (معجزتا اليد والعصا) فيمكن أن يحمل على الآلة الحربية المدمّرة التي كانت إحدى أسباب تضخم حجم العدو في الذات العربية المنهزمة، كتأثير مفعول السحر على المسحور في إدراكه للحقائق والأشياء [1]، لكن مفعول هذا السحر اندثر تمامًا بعد يقظة العربي من سباته بعد الصفعة التي تلقاها بنبأ النكسة، فهذه التعبيرات السياقية تقودنا إلى استتباعات حوارية تأخذ هذه المعاني: ستهلكون عن آخركم، إنّ زمن المعجزة قد ولّى، لقد انقطعت سبل نجاتكم.

ومن الاستعمال غير الحرفي للمعاني الكنائية كذلك نقف على ما أورده "نزار" في (م 13):

مَا بَيْنَنَا.. وَبَيْنَكُمْ.. لَا يَنْتَهي بعَامْ
لَا يَنْتَهي بخَمْسَةٍ، أَوْ عَشْرَةٍ، وَلَا بِأَلْفِ عَامْ

إذ يحمل المنطوق المجازي كناية عن صفة التحدي والصمود، فهذا الخرق للمبادئ الأساسية لمبدأ التعاون الجرايسي يؤدي بالمخاطب إلى توليد الاستتباع البرقماتي الذي يكشف عن التزامات الشاعر الضمنية الآتية: لن تستريحوا معنا، سنظلّ نقاتلكم حتّى نطهّر أرضنا منكم، إنّنا نعلم أنّ الحرب بيننا طويلة، ولن نستسلم ولن نساوم..

يعبر "نزار" عن كل معاني التحدي من خلال هذا المنطوق (م 24):

فَفِي رُبَى السُودَانِ قَدْ مَاجَ الشَقِيقُ الأَحْمَرُ
وَفِي صَحَارِى لِيبِيَا
أَوْرَقَ غُصْنٌ أَخْضَرُ

[1] نواري سعودي أبو زيد، جدلية الحركة والسكون نحو مقاربة أسلوبية لدلائلية البنى في الخطاب الشعري عند نزار قباني (الغاضبون نموذجًا)، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة – الجزائر- ط1، 2009، ص 95.

إنّ هذين التركيبين غير الحرفيين يلمّحان إلى موصوفين، الأول هو الدم، والثاني هو الحرية، ليكون الدم هينًا ورخيصًا إذا كان المآل النصر والحرية، فهذا المعنى السياقي يقودنا إلى الاستلزامات الحوارية الآتية: إنّ الحرب قادمة، إنّ التضحية والدماء تكلّل بالنصر، عليكم أن تأخذوا العبرة من التاريخ، ثمّ ليلمح "نزار" إلى سيادة العربي وحريته من خلال هذا المنطوق (م 25):

أَفْتَحُ بَابَ مَنْزِلِي..

أَدْخُلُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَنْتَظِرَ الجَوَابْ

لأَنَّنِي أَنَا السُؤَالُ وَالجَوَابْ..

إنّ الإستراتيجية التلميحية التي يتميز بها التركيب الكنائي تغني عن التصريح المباشر، إذ أن الكناية من ألطف أساليب البلاغة وأدقها، وهي أبلغ من الحقيقة والتصريح، لأنّ الانتقال فيها يكون من الملزوم إلى اللازم، فهو كالدعوة ببينة، وإنّها تمكن الإنسان من التعبير عن أمور كثيرة يتحاشى الإفصاح بذكرها، إمّا احترامًا للمخاطب، أو الإبهام على السامعين، أو للنيل من خصمه ولا يدع له سبيلاً عليه، أو لتنزيه الأذن عمّا تنبو عن سماعه، ونحو ذلك من الأغراض واللطائف البلاغية[1]، ألا ترى أنّها تقدم لك المعاني المجردة في صورة محسوسة مرئية ترتاح لها النفس، فـ"نزار" من خلال المنطوق السابق عدل عن التصريح بالحرية والسيادة ولمح لذلك بفتح الباب من غير أن يسأل أو ينتظر ردًّا... فالمعنى السياقي لهذا التركيب يحيلنا إلى الاستلزامات الحوارية الآتية: سترفع علينا سيطرتكم وننعم بالسيادة والحرية، لم يعد لكم علينا سلطان، هذه بلادنا لنا فيها ما نريد، ننصحكم أن تخرجوا منها.

وقد أبدع "نزار" في طرق التعبير عن مقصده باستعمال نوع من الخرق اللغوي الذي تجسد في المبادلات الرمزية (تراسل الحواس) التي تشحن المعاني بطاقات إيحائية وجدانية كي تقوى على التعبير على ما يستعصى التعبير عنه، وذلك بوصف مدركات كلّ حاسة من الحواس بصفات مدركات الحاسة الأخرى، فتعطي المسموعات ألوانًا، وتصير المشمومات أنغامًا، وتصبح المرئيات عاطرة، وهكذا؛ ذلك أنّ اللغة – في أصلها– رموز أصطلح عليها لتثير في النفس معاني وعواطف خاصة، والألوان والأصوات والمشمومات تنبعث من مجال وجداني واحد، وتنقل صفات بعضها إلى بعض

[1] أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا– بيروت– لبنان– ط1، 1999، ص 290.

يساعد على نقل الأثر النفسي[1]، والشاعر "نزار" كغيره من الشعراء المعاصرين الذين تراسلت حواسهم تراسلاً خاصًا، لينتهك بها مادية الأشياء، ويعبّر بها عن معاني استعصى عليه التعبير عنها، ومن ذلك ما نجده في قوله من (م 5):

وَنَحْنُ مَعْجُونُونَ بالأَلْوَانِ وَالأَصْوَاتْ

ففي هذا السطر تراسلت حاستا البصر والسمع، فبينما العجن يمثل حاسة اللمس (مَعجُونُونَ بْالأَلوَانِ وَالأَصْوَاتْ)، لأنّ اللون مجال حاسة البصر، والصوت مجال حاسة السمع، بينما العجن مجال حاسة اللمس، لتمزج هذه الحواس في تركيب لغوي واحد، لتقتحم خصائص السمع والبصر مجال حاسة اللمس، وتذوب الحواجز المادية بينها للتحوّل إلى انفعالات وعواطف متعددة الدلالات توافق قصدية الشاعر، منها هاته المبادلة الرمزية، فهذا التعبير غير الحرفي يقودنا إلى الاستلزامات الحوارية الآتية – تماشيًا مع سياق الموقف المستعملة فيه– : نحن نحاصركم، لن تفلتوا من قبضتنا، أين تذهبون؟

وبين ثنايا الخطاب استدعى "نزار" الشخصية التراثية ليتحد معها في تقنية القناع، وقد اعتبر إحسان عباس « القناع أنّه يمثل شخصية تاريخية – في الغالب– يختبئ الشاعر وراءها، ليعبر عن موقف يريده» [2]،نحو قوله في (م 9):

سَيَخْرُجُ الحَجَّاجُ ذَاتَ لَيلَةٍ..

وَيَخْرُجُ المَنْصُورْ..

وفي (م 10):

يَأْتُونَ فِي عَبَاءَةِ الرَسُولِ..

أَوْ سَيْفِ عُمَرْ..

وفي (م 13):

بَاقُونَ فِي شِعْرِ امْرِيءِ القَيْسِ، وَفِي شِعْرِ أَبِي تَمَّامْ

وفي (م 20):

لِأَنَّ هَارُونَ الرَشِيدَ مَاتَ مِنْ زَمَانْ

---

[1] محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة، بيروت – لبنان– (د ط)، 1973، ص (418– 419).

[2] إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، ص 121، نقلاً عن محمد علي الكندي، الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، ص 100.

وفي (م 26):

فَمِنْ هُنَا.. جَيْشُ أَبِي عُبَيْدَةٍ

وَمِنْ هُنَا مُعَاوِيَهْ

وفي (م 27):

مِنْ وَجَعِ الحُسَيْنِ نَأْتِي..

مِنْ أَسَى فَاطِمَةَ الزَهرَاءْ

استدعى "نزار" شخصية "الحجاج بن يوسف الثقفي" وشخصية "المنصور" لتهديد الصهاينة، وذلك لعقد المشابهة بين العربي وأسلافه من أصحاب البطولة والمجد والعزّة، أمّا توظيفه لشخصية "**الرسول**" ﷺ وخليفته "عمر بن الخطاب" للدلالة على عودة الإسلام بقوة وتحطيم أصنام الصهيونية الغبية، وقد استدعى رمزا العروبة وشاعرا العروبة، "امرأ القيس" وأبا تمام"، وما لهما من شعر البطولة والحماسة، فاستحضاره لشخصية "امرئ القيس الكندي" الذي تعامل معه الشعراء المعاصرون بعدّة وجوه: وجه اللاهي العابث، ووجه الضائع الشريد، ووجه النادب المفجوع، ووجه الموتور الساعي وراء الثأر، غير أنّ حضوره في هذه القصيدة كان له بعدًا آخر، وهو وجه (الحازم العازم) على إدراك المجد أو أن يهلك دونه، وهو ما ورد في بيتيه المشهورين (من الطويل):

1) بَكَى صَاحِبي لَمَّا رَأى الدَّربَ دُونَهُ وأيقَـنَ أَنَّا لاَحِقَانِ بِقَيــصَرَا

2) فَقُلتُ لهُ: لاَ تَبْكِ عينُكَ، إنّما نُحَاولُ مُلْكًا، أو نَمُوتَ فَنُعْذرَ [1]

أمّا استحضاره لشخصية "أبي تمام" الذي عرف بالحكمة والتمدح بالبطولة والحماسة، فحضوره في هذه القصيدة يحيلنا إلى قصيدة فتح الفتوح (فتح عمّورية) التي غدت رمزًا مع قائلها يعبر عن زمن العزة والشرف العربي، خاصة في مطلعها الذي يدعو إلى ترك الكتب المروية والاحتكام إلى حدّ السيف، لعلّ الساسة العرب يتركون المفاوضات مع الصهاينة جانبًا، ويحتكمون إلى قعقعة السلاح وهدير المدافع، إذ بات غيرها ليس يغني، يقول "أبو تمام" من (البسيط):

1) السَّيفُ أصْدَقُ أنْبَاءً مْن الكُتُبِ فِـي حـدِّه الـحَدُّ بَينَ الجِدِّ وَاللّـعِبِ

2) بِيضُ الصَّفَائحِ لاَ سُودَ الصَّحَائِف فِـي مُتُـونِّـهِن جَـلاَءُ الـشَّكِ وَالريَّـبِ

[1] امرؤ القيس، الديوان، ضبطه وصححه: مصطفى عبد الشافي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان– ط5، 2004، ص 64.

3) والعِلْمُ في شُهُبُ الأرْمَاحِ لاَمِعَةً بَينَ الخَميسَينِ لاَ فِي السَّبعَةِ الشُّهبِ [1]

ثمّ ليوظف شخصية "هارون الرشيد" ويعطيها بعدًا آخر – بغضّ النظر عن حكم الشاعر عن هذه الشخصية الفذّة في التاريخ العربي الإسلامي- وهو تقاعس الحاكم العربي، وسعيه وراء الشهوات والملذات والأهواء، ليقول لبني صهيون إنّ ذلك العهد اندثر وجاء زمن الحزم والعزم، ثمّ ليستحضر شخصيتي "معاوية" و"أبي عبيدة"، رمزا القوّة والجهاد والصراع، وفي توظيفه لشخصيتي "الحسين" و"فاطمة الزهراء" ريحانة "الرسول ﷺ" وأمّ أبيها كما يكنيها عليها السلام، رمزا الطفل الفلسطيني وأمّه اللذان ألقمهما الصهاينة كلّ صنوف العذاب، فـ"نزار" بهذا الاختيار الموفق للرمز الذي أعطاه بعدًا تراثيًا يمثل حلقة وصل متينة بين الماضي والحاضر، فهذه الاستعمالات المجازية لهذه المنطوقات غير الحرفية تقودنا إلى استتباعات حوارية نجملها فيما يلي: يا ويلكم من ثأرنا، بلغة السلاح نحاوركم، لن يبكي الطفل الفلسطيني بعد اليوم، نحن نتربص بكم إحدى الحسنيين إمّا الشهادة وإمّا النصر.

وهناك رموز أخرى استعملها الشاعر لدلالات تخدم الهدف العام من التجربة الشعورية نكتفي بتحديدها وذكر دلالتها في هذا الجدول:

الرمز	المقطع	الدلالة	المعنى المستلزم
الخبز، الزيتون، القمح، الصلبان، النبي الكريم، القرآن، الوصايا العشر.	م 1	الأصالة والتمسك بالمعتقد والعادات والتقاليد والمثل العربية.	هذه بلادنا، ما لكم حضور، سنظل نردد الحكايات الشعبية والأمثال.
حزيران	م 14	الهزيمة والانكسار العربي	لا يغركم النصر، إنّ طريق المجد محفوفة بالأشواك

[1] أبو تمام (حبيب بن أوس الطائي)، الديوان، شرحه وعلق عليه: أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – ط1، 1998، ص 64.

العجل	م 17	الضلال والغواية	سوف تهلكون عن آخركم، التيه في انتظاركم
الأعور الدجال	م 18	القمع والوحشية	ستهلكون وتبقى الأرض لأهلها
معاصر الزيت، مراكب الصيد، الشعر، الأزجال الدبكة، الموّال، الأنوال، المهباج، الكوفية البيضاء، العقال، البن	م 18	الأصالة والتقاليد العربية	لن تطمس مثلنا ومقوماتنا،
الصليب، الهلال	م 18	المسيحية والإسلام	ستزول الصهيونية ويبقى الإسلام والنصرانية.
الدموع والآمال	م 18	الحياة وتقلباتها	أملنا كبير في النصر، سنصبر ونصابر ونرابط حتّى نفلح.
هانوي، الفيتنام	م 23	البطولة والتحدي	إنّ التاريخ يعيد نفسه وسوف نلقنكم دروس البطولة التي تقدمها الشعوب المستضعفة لجلاديها.
ربى السودان، صحاري ليبيا	م 24	الكبرياء والشموخ	
التوت، اللبلاب، المزراب، العيون السود، رائحة التراب	م 25	الأصالة والعروبة والانتماء	هذه بلادنا وكل ما فيها متربص بكم
خيمة الذلّ، أحد ، بدر	م 27	البؤس ، الشقاء، الجوع، الجهاد والتحدي	لن نقطن خيام اللاجئين، ستعودون إلى تيهكم.. استعدوا لقتال يوم يعزّ فيه الله من يشاء، إنّ الظلام يخيم على دويلتكم، ستخرجون من أرضنا أذلة صاغرين.

الفصل الثاني

أفعال الكلام ووظائف اللغة في عالم الخطاب

أولا: أفعال الكلام ووظائف اللغة

ثانيا: تقنيات الحجاج وأدلة الإقناع

أولا– الأفعال الكلامية

ومن العناصر التي شكلت المحور التداولي، نجد كذلك الأفعال الكلامية المتصلة بالأقوال، فإذا ما أخذنا التواصل بمفهوم التأثير – وهو غاية الشاعر من إرساليته– فإن المراحل التي تبلور انتقال القول من الباث إلى المتقبل، هي ما يمكن أن نسميها بالأفعال الكلامية التي تمثل قطب الرحى للدرس التداولي الحديث، وهو ما نجده بالفعل عندما أفرد لها "أوستين" كتابًا كاملاً عنوانه: نظرية أفعال الكلام العامة، وهذا المؤلف يمثل الانطلاقة الفعلية للنظرية التداولية، حتّى أن بعض الدارسين لم يفصلوا بينها وبين التداولية، ونحن لا يهمّنا في هذا المبحث بسط نظرية أفعال الكلام التي سلف ذكر أهم مباحثها في المدخل بقدر ما يهمّنا في هذا الشقّ الإجرائي تطبيق آلياتها على الخطاب الشعري الذي وسمه "أوستين" « بكونه ملفوظًا غير جاد، لهذا المعطى أقصى "أوستين" وتلميذه "سيرل" من مجال الأعمال المتضمنة في القول الجمل الواردة في خطاب غير نزيه كالخطاب التخييلي الذي نعته "أوستين" بالعمل الطفيلي »[1]، والواقع أن "سيرل" يقدم الخطاب التخييلي بوصفه عملا لغويًا غير مباشر، باعتبار أن الأعمال الأدبية: « ضرب من الاستعارة القصوى، فدلالته تتجاوز الملفوظ ذاته، وترتكز على مواضعات مضمرة خاصة، وعلى عقد واقع بين الكاتب والقارئ؛ إنّها طريقة مخصوصة في اللعب مع العلامة» [2]، هذه العلامة، أيّ اللغة لا تكمن غايتها في إيصال المعلومات، بل تتعداها إلى تحديد العلاقات بين المتخاطبين، وتعمل على تغيير معتقداتهم، فاللغة لم تعدّ أقوالاً فحسب، وإنما أصبحت أفعالاً تؤثر في الأفراد، وتعمل على تغيير العالم، من خلال تحقق عنصر التفاعل بين المتكلم والسامع.

وقد آثرنا معالجة الأفعال الكلامية في هذا المبحث بالاعتماد على تصنيف "سيرل" الذي يعدّ تصنيفًا محكمًا يمثل — إلى حدّ بعيد– نضج هذه النظرية، وفي رصدنا لأفعال اللغة في المدونة سنحاول – من حين إلى آخر– الوقوف على عدّة مفاهيم تتصل بالإنجاز، ونوع الفعل من حيث التصريح أو التلميح،ثمّ دراسة قواعد الحجاج وهذه الاستراتيجيات تدخل ضمن تداولية الدرجة الثالثة، كما حددها "هانسون".

يقتضي إسقاط مفاهيم هذه النظرية (نظرية أفعال الكلام) على نص المدوّنة الإجابة عن أسئلة من هذا القبيل:

- كيف يتسنى تنامي مفهوم (الفعل الكلامي) في قراءة القصيدة ؟
- ما طبيعة الإنجاز– في المدونة– سلوكيًا كان أم تقريرًا ؟

---

[1] آن روبل وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في الواصل، ص 36، 37.

[2] فليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص 194.

- ما الفعل المركزي الذي قامت عليه القصيدة؟
- إذا اعتبرنا الخطاب الشعري فعلاً كلاميًا[1] إنجازيا ، فإلى أيّ حدّ حقق غاية التأثير ؟

ولنتأمل القصيدة المختارة ونتعامل مع الأفعال الكلامية كما صنفها "سيرل":

1- الأفعال الدالة على الإثبات (الإخباريات assertives):

وفي هذا الصنف لا يعدو الشاعر بيان مجموع حقائق وصفًا وتقريرًا وتأكيدًا، أو يقوم بنقل طائفة من التجارب التي عاشتها الأمّة العربية والشعب الفلسطيني تحديدًا، في ظروف خانقة، وإذا ما تتبعنا المدونة نجد هذا الموقف يظهر تدريجيًا (م 1):

فَهَذِهِ بِلَادُنَا

فِيهَا وُجِدْنَا مُنْذُ فَجْرِ العُمُرْ

فالبنية الخطابية في هذين السطرين نشأت في أحضانها العملية التواصلية، لأن الشاعر يرمي من خلال هذا الأسلوب إلى زيادة التقرير، وإلى حمل المتلقي على التصديق، فقد ابتدأ "نزار" بقوله: **فَهَذِهِ بِلَادُنَا**، ثمّ ليشفع التقرير بالتعليل، وهو وسيلة المنشئ لإقناع السامع بقوله: **فِيهَا وُجِدْنَا مُنْذُ فَجْرِ العُمُرْ**.

وما يلاحظ في المدونة إكثار الشاعر من استعمال التكرار قصد تقوية المعنى على البقاء، من خلال تكراره لصيغة اسم الفاعل (باقون) و(مشرشون)، بشكل ملفت للنظر في المقاطع (1،13،16) نحو قوله – على سبيل المثال لا الحصر– من (م 18):

بَاقُونَ فِيمَا رَسَمَ اللهُ عَلَى دَفَاتِرِ الجِبَالْ

بَاقُونَ فِي مَعَاصِرِ الزَيْتِ.. وَفِي الأَنْوَالْ

ففعل القول في كلا السطرين (باقون) يتضمن قوة متضمنة في القول، وهي الإصرار والتحدّي، أمّا الفعل التأثيري الذي يعدّ فرصة للوقوف على سلامة وصول الرسالة أو سلامة الفعل الإنجازي[2] كانت غايته أن يجعل المتلقي (الصهاينة) لا يشعر يومًا بالنصر على العربي، ومن ثم حمله على الجلاء، وهي غاية " نزار" من خطابه؛ لأنّ العربي باق في ما رسم الله له من الحدود التي حرّمها على بني صهيون، وقدّر لهم بالتيه وعدم الاستقرار في أيّ إقليم.

---

[1] الفعل الكلامي عند سيرل من نوع المسمى بالفعل الإنجازي، وهو وحدة الاتصال الإنساني باللغة.

[2] شيتر رحيمة ، تداولية النص الشعري، جمهرة أشعار العرب نموذجًا، رسالة دكتوراه، مخطوطة جامعة الحاج لخضر، باتنة – الجزائر– 2008– 2009، ص 151.

وقد استعمل "نزار" بعض الأدوات النحوية التي قامت بإنجاز أفعال كلامية نحو: إنّ، وأنّ، وقدْ، ولقدْ وأسلوب القصر عن طريق تقديم ما حقّه التأخير وتأخير ما حقّه التقديم، والنفي والاستثناء، وهذا الاستعمال للمؤكدات يكون تماشيًا مع حال المخاطب مرية أو إنكارا، وهذا يدخل ضمن أضرب الجملة الخبرية، ومن أمثلة هذا التوظيف ما صرّح به في (م 8):

إِنَّ اغْتِصَابَ الأَرْضِ لَا يُخِيفُنَا

فَالرِّيشُ قَدْ يَسْقُطُ مِنْ أَجْنحَةِ النُسُورْ

في الإثبات والتقرير لا يؤثر على الموقف أن تكون الصورة مشوبة بالمجاز، كما هو واضح في (اغتصاب الأرض)، ففي هذا المنطوق لم توظف (إنّ وقد) لمجرد التقرير، بل لحمل المتلقي على التصديق، فالقوة الإنجازية في فعل القول (التركيب) امتدّت – هنا– إلى التأكيد، وهو ما يؤدي إلى الاختلاف في درجتها، فالمنطوق عرض بقوة التأكيد (إنّ وقد) ولو تجرد التركيبان منهما لتغيرت الدلالة، وهذا الفعل الكلامي غير المباشر تضمن قوّةً متضمنة في القول تمثلت في إقرار عدم الخوف من الصهاينة وأعمالهم، وأمّا الفعل التأثيري الناتج عن الفعل الإنجازي، فهو إشعار اليهود بعدم الخوف، وتغيير معتقد بات راسخًا في أذهانهم، وهو أن العربي قد انكسرت شوكته ولن تقوم له قائمة بعد الهزيمة.

ومن التقريريات استعمال "نزار" لأسلوب القصر، وحاصل معنى القصر فيما يسوقه صاحب المفتاح: راجع إلى تخصيص الموصوف عند السامع بوصف دون ثانٍ[1]، ومن طرقه الموظفة، القصر بالنفي والاستثناء ،كما هو وارد في (م 4):

وَلَيْسَتِ النَّارُ، وَلَيْسَ الحَرِيقْ

سِوَى قَنَادِيلَ تُضِيءُ الطَرِيقْ

وفي (م 15):

لَيْسَ حُزَيْرَانُ سِوَى يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامْ

وَأَجمَلُ الوُرُودِ، مَا يُنْبِتُ فِي حَدِيقَةِ الأَحْزَانْ..

أراد "نزار" من خلال المنطوقين أن يؤكد على استمرار المقاومة وتجاوز الفاجعة، والفعل الإنجازي غير المباشر عرض بقوة التوكيد (ليس..سوى..) وذلك بقصر الموصوف على الصفة، والفعل المتضمن في القول هو

[1] السكاكي (أبي يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي)، مفتاح العلوم، ص 288.

الفعل الإنجازي، وهو العمل الذي ينجز بقول ما [1] أدى الوظائف التالية: الإصرار والتحدي، وهو فعل ثانٍ تضمنه فعل القول الأول، أمّا الفعل الثالث، وهو الفعل الناتج عن القول المتسبب في نشوء آثار لدى المتلقي في المشاعر والفكر كان وراء غاية إقناع الصهاينة باستمرار المقاومة وتثبيطهم.

أمّا الطريق الثاني لأسلوب القصر، هو تقديم ما حقّه التأخير والعكس، وحتّى يحقق القصر فائدة التوكيد والتقرير وجب أن تكون هذه الآلية فيما هو جائز فلا مزية في تقديم أو تأخير ما هو واجب تقديمه أو تأخيره، فهذه الآلية توظف للإثبات والتأكيد من خلال الأفعال التقريرية الواردة في (م 5) على سبيل المثال:

مِنْ قَصَبِ الغَابَاتْ

نَخْرُجُ كَالجِنِّ لَكُمْ

مِنْ وَرَقِ المُصْحَفِ،نَأْتِيكُمْ

ومن (م 17):

وَجَاءَ فِي كِتَابِهِ تَعَالَى :

بِأَنَّكُمْ مِنْ مِصْر تخْرُجُونْ..

ففي التراكيب السابقة (أفعال القول) أخّر " نزار" الأفعال (نخرج، ونأتيكم، وتخرجون) من أجل إبراز الأمكنة التي سينبثق منها العربي، والأمكنة التي سيبرحها الصهيوني وتخصيصها، عرضت هذه المنطوقات بقوة التوكيد (التقديم والتأخير)، والقوة المتضمنة فيها (الوعيد والتحدي)، أمّا الفعل الناتج عنها (الأثر) قذف الرعب في قلوب اليهود وتذكيرهم بمآلهم الوخيم، لإضعاف عزمهم، وحملهم على الخروج من الأرض المقدسة.

أمّا التقرير باستخدام مختلف أنواع المجاز فمن صوره (م 16):

لِلْحُزْنِ أَوْلَادٌ سَيَكْبُرُونْ..

لِلْوَجَعِ الطَوِيلِ، أَوْلَادٌ سَيَكْبُرُونْ..

هذان التركيبان تقريريان، ولكن كانا في صورة إيحائية، إذْ تطرح العلاقة بين التركيب ودلالته المنطقية نوعًا من العرض والتصادم، لتتدخل قوانين المجاز وقرائنه لترأب الصدع بين الطرفين الذين وقع بينهما نوع من اللاتجانس، وذلك بمحاولة المواءمة بين الحزن والوجع – بوصفهما حالاً تلازم الفلسطيني ما بقي الصهيوني بأرضه– وبين الأولاد من جهة أخرى، فقد شخّص الوجع والحزن، دون أن يكونا كذلك بالمعنى الحقيقي

[1] صحراوي مسعود ، التداولية عند العلماء العرب. ص 42.

المتعارف عليه، ولكن المنشئ بهذا الملفوظ المجازي أراد أن يفصح عن مقصديته والمتمثلة في التعبير عن الآلام التي ظلّ الفلسطيني يتجرعها، هذه المعاناة تنتج أولادًا يعرفون كيف يتعاملون مع مغتصبهم وسالب خيراتهم وكرامتهم.

فالمعنى الخفي لهذا المنطوق المعبّر عنه يصدقه الواقع الموصوف في السياق المصاحب لزمن الخطاب، أمّا القوة الإنجازية تفصح عن الإنذار والتهديد، ولازم فعل الكلام، هو دحض الصهاينة ورفع ظلمهم عن الفلسطيني، وتركهم على حال مضطربة يسودها الهلع وفقدان الأمن ، فمثل هذا الصنف من الأفعال اللغوية التقريرية يعد فيه المنطوق تأكيدًا من المتكلم تجاه المخاطب بأن القول المعني يمثل حالاً حقيقية [1].

2- أفعال التوجيه (التوجيهات Directives):

لقد كانت الأفعال التوجيهية كثيرة في الخطاب وارتبطت ضمنيًا بالتقرير والإثبات، وعملت كلّها على إقناع المتقبل بما يجب أن يقتنع به - الاعتراف أن فلسطين للفلسطينيين- ولتوضيح هذا الطرح نأخذ هذه الجملة من (م 2):

لَا تَسْكَرُوا بِالنَصْرْ

فالجملة تحمل قوة إنجازية عرضت بقوة (النهي) غير المباشرة، تتحدد قيمتها في ظروف سياقية معينة، فهذا الفعل الكلامي المركب من ثلاثة أفعال، الفعل اللفظي بمعناه الحرفي الذي يقر أن هناك نصرًا لليهود، وفي المقابل هزيمة للعرب، مرجعه وجود النصر والهزيمة فعلاً، والفعل الغرضي أو الإنجازي لهذا الملفوظ هو الوعيد والتحذير من الاغترار بالنصر، الذي يعتبره "نزار" نشوة عابرة للصهاينة، ولطمة زائلة للعرب، وهو ما يقصده المنشئ من قوله، أمّا الفعل التأثيري أو ما يخلقه القول من أثر في المتلقي، قد يكون الخوف، أو إقناعهم بأنّ الحرب لم تنته، أو تثبيطهم وحط معنوياتهم، وفي حال عدم حصول التأثير المرتجى من الإنجاز وجب التعديل في الفعل الإنجازي عن طريق زيادة بعض الوحدات اللغوية [2]،وهو ما أضافه "نزار" في مطلع (م 2):

لأَنَّ مُوسَى قُطِعَتْ يَدَاهْ

---

[1] كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر- ط1، 2005، ص 112.

[2] شيتر رحيمة ، تداولية النص الشعري جمهرة أشعار العرب نموذجًا، ص 151.

وهو تعليل من "نزار" للصهاينة بعدم الانتشاء بالنصر، لأنّ أسباب النصر قد امّحت ودرست، ثمّ ليواصل "نزار" توجيه مخاطبه بلهجة شديدة تحمل كلّ معاني التهديد والوعيد، وهو ما يدلّ عليه المنطوق غير المباشر في (م 7):

انْتَبِهُوا..

انْتَبِهُوا..

أَعْمِدَةُ النُورِ لَهَا أَظَافِر

وَلِلشَّبَابِيكِ عُيُون عَشْرْ

وَالمَوْتُ فِي انْتِظَارِكُمْ

فالقوة الإنجازية التي يتضمنها القول عرضت بقوة (الأمر) المكرّر صراحة أو إضمارًا في باقي أجزاء المقطع، ليحقق فعلاً إنجازيًا هو الطلب، يدعو من خلاله اليهود إلى الانتباه والتحلّي بالحيطة والحذر مادام الموت يحيط بهم من كلّ جانب، فالفعل المتضمن في القول هنا، هو التهديد والوعيد، والملاحظ في هذا الفعل التوجيهي، أنّه يخلق أسبابًا للمخاطب كي يؤدي ما طلب منه، وتحمله على القيام بفعل معين، هو ترك الأرض لأهلها، والخوف والاضطراب وإعادة الحسابات...وبهذا تنزل مثل هذه المنطوقات منزلة الأفعال (السلوكيات) بعبارة "أوستين": « إنّ قولنا شيئًا ما يعني أنّنا تصرفنا أو فعلنا شيئًا ما » [1].

يمضي "نزار" في توجيهه لعدوه بهذا الملفوظ (م 8):

يَا آلَ إِسْرَائِيلَ، لَا يَأْخُذْكُمْ الغُرُورْ

يوسع "نزار" دائرة خطابه، ولا يكتفي بنداء الطغمة الفاسدة التي تمارس كلّ صنوف الطغيان على الفلسطيني، بل تعداها إلى مخاطبة كلّ من كان سندًا وعونًا لهم (يَا آلَ إسرَائِيلَ) لئلا ينبهروا بما كان لهم من الغلبة والابتزاز، ولو تأملنا الدلالة الحرفية المباشرة لوجدنا المنطوق مكونًا من بنيتين للطلب (النداء، والنهي)، أمّا إذا ما نظرنا إلى دلالتهما بما يتماشى وسياق الموقف وطبقات المقام، لرأينا أن المنطوق يحمل معاني مضمنة غرضها التحذير والتنبيه والوعيد، وهذا الفعل الإنجازي كما هو ملاحظ معروض بقوة (النداء والنهي)، ليحقق الأثر الذي يمارسه المنشئ على السامع، وهذا الأثر الناتج عن القول يمثل صورة من صور نجاح الفعل الإنجازي وتحققه « ونجد في هذه النظرية أن الفعل الإنجازي يتعلق بالمرسل أمّا الفعل التأثيري فإنّه يتعلق بالمرسل إليه،

[1] جون لانكشو أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ص 123.

لأنّه يتوجه إليه، وقد لا تكتمل دائرة التأثير فيه إلاّ عند حدوث ردّة فعل المرسل إليه»[1]، والفعل التأثيري الناتج عن الفعل الغرضي قد يكون فزع اليهود أو استعدادهم لحرب قادمة أو اقناعهم بأنّ الأيام دول.

ومن التوجيهيات ما عرضه "نزار" في (م 9):

نَنْصَحُكُمْ أَنْ تَقْرَؤُوا

مَا جَاءَ فِي الزَبُورْ..

نَنْصَحُكُمْ أَنْ تَحْمِلُوا تَوْرَاتَكُمْ

وَتَتْبَعُوا نَبِيَّكُمْ لِلطُورْ

إن قصد المنشئ ليس النصح الذي يمثل القوة الإنجازية الحرفية المباشرة المجسدة في الطلب (ننصحُكم أنْ تقرؤوا، أن تحملوا، وتتبعوا)، وإنّما هو الأمر كقوّة إنجازية غير حرفية مضمنة في النصح الذي يكون فيه المنطوق تأكيدًا من المتكلم حيال المخاطب بأنّ فعلاً (مستقبليًا) محددًا سيكون في صالح المخاطب تمامًا [2]، وكأنّه يقول لهم اقرؤوا ما جاء في الزبور، واتبعوا نبيكم للطور، وفي ذلك تهديد بيّن للصهاينة بدليل قوله في نفس المقطع:

فَمَا لَكُمْ خُبْز هُنَا.. وَلَا لَكُمْ حُضُورْ

إن هذه المعاني الحرفية (الزبور، والتوراة، والطور) تدخل ضمن المخزون الثقافي الذي يتقاسمه المتشاركون في الحدث الكلامي، لهذا لم تكن الأفعال اللغوية قصدية فقط؛ بل هي عرفية أيضًا، ذلك أنها تنجز داخل الجماعة اللغوية وفق قواعد تعلمها كلّ شريك لغوي في عملية تكيفه الاجتماعي [3]؛ أيّ تدخل في عملية التفاعل بين المتخاطبين المعرفة المشتركة التي تهديهم إلى فهم نوع المنطوق سؤالاً أو نصحًا أو أمرًا... فلازم فعل الكلام الناتج عن قوة الفعل الكلامي، قد يكون تثبيط الصهاينة بتذكيرهم بما جاء في الزبور، ولعلّ ما ذكره صاحب الكشاف في تفسيره لقوله عزّ وجل: ﴿ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ** ﴾ [الأنبياء 105] يتفق مع ما يلمّح له "نزار" لبني إسرائيل فالمقصود بالزبور، زبور داود عليه السلام والذكر (التوراة)، وقيل اسم لجنس ما أنزل على الأنبياء من الكتب، والذكر: أمّ الكتاب، يعني اللوح؛ أيّ يرثها المؤمنون بعد إجلاء الكفار ... وعن "ابن عباس" رضي الله عنه: هي أرض الجنة. وقيل:

---

[1] الشهري عبد الهادي بن ظافر ، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 75.

[2] كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ص 112.

[3] المرجع نفسه، ص 110.

الأرض المقدسة ترثها أمّة "محمد صلى الله عليه وسلم" » [1] وتذكيرهم بسوء العاقبة بعد خروجهم من الأرض المقدسة – بإذن الله– صاغرين، وما ينتظرهم بأرض (الطور) من الضلال والتيه والتشرد في مشارق الأرض ومغاربها؛ لأنّ الله عز وجل هو من قدّر لهم هذه العاقبة الوخيمة بما قدمت أيديهم من فساد في الأرض وقتلهم للأنبياء والأبرياء بأرض فلسطين.

وبعد قذف الرعب في قلوبهم والحطّ من عزمهم، يدعوهم للانتظار والتربص الدؤوب (م 10):

انْتَظِرُونَا دَائِما..

فِي كُلِّ مَا لَا يُنْتَظَرْ

بهذا التعبير، والمتمثل في الطلب، وفيه يعد المنطوق محاولة من المتكلم لحمل المخاطبين على أداء فعل معين [2]، غرضه التحدي والتربص بهم، فلسان حال الشاعر يقول: انتظروا إنّا منتظرون. والأثر الذي ينتجه هذا الفعل الإنجازي المعروض بقوة الأمر، هو تخويف اليهود وتنغيص معيشتهم من جهة، وتقوية شوكة العربي وحمله على مواجهة عدوه من جهة ثانية، ثمّ ليواصل نفس الغرض الإنجازي بفعل الطلب (تذكروا) الوارد في (م 12):

تَذَكَّرُوا..

تَذَكَّرُوا دَائِما..

بِأَنَّ أَمْرِيكَا – عَلَى شَأْنِهَا –

لَيْسَتْ هِيَ اللهَ العَزِيزَ القَدِيرْ

وَأَنَّ أَمْرِيكَا – عَلَى بَأْسِهَا –

لَنْ تَمْنَعَ الطُّيُورَ مِنْ أَنْ تَطِيرْ

فمهما اتحدت قوى الشرّ ليس بمقدورها أن تغيّر شيئًا أمام إرادة الله التي ينصر بها المستضعفين، ولعلّ الذي يتركه هذا الفعل الإنجازي، قد يكون إدخال الشكّ لليهود في نجاعة الترسانة التي دججت بها ميليشياتهم في حسم الأمور لصالح الدولة العبرية، وفي المقابل تأجيج حماس العربي، وحمله على مواجهة القوة الإسرائيلية بما أتيح له من هيّن السلاح وأبسطه (م 12):

قَدْ تَقْتُلُ الكَبِيرَ، بَارُودَةٌ

---

[1] الزمخشري، تفسير الكشاف، 3، ص 138.

[2] كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، ص 112.

صَغِيرَةٌ، فِي يَدِ طِفْلٍ صَغِيرْ

3 ـ أفعال الوعد (الالتزاميات Conimmissives):

في هذا الصنف من الأفعال الكلامية يلتزم المتكلم بدرجات متفاوتة بالقيام بأفعال ما في المستقبل عن قصد وإخلاص، إلاّ أن السمة المميزة لهذا النوع عن سابقه لا يبتغي التأثير في السامع [1].

انتهى تتبعنا لأفعال الوعد في المدونة إلى الوقوف على أنّها ظهرت في صورة واحدة، وفق الاصطلاح المأخوذ به في الدرس العربي الأصولي؛ وهو الوعيد، إذْ يعد المنطوق بالنسبة للمتواصلين قبول المتكلم بالالتزام حيال المخاطب بتنفيذ ما وعد به [2] – طبعًا في المستقبل– ففي حال الوعد يجب أن يدلّ المحتوى الموضوعي على المستقبل، إذْ لا يعد المرء بأفعال تقع في الماضي، ولا يمكن للمرء أيضًا أن يعد بأن شخصًا آخر سيفعل شيئًا، فالمتكلم يعد دائمًا باسمه [3]، وهذا الوعيد صاحب التحدي والإصرار في مواطن من الخطاب، وفي مواطن أخرى كان مصحوبًا بالتهديد.

ومما هو ملاحظ – أيضا – أن كثيرا من الأفعال الإنجازية عرضت بقوة (النفي) الذي تحقق بالحرف (لن) للدلالة على التحدي والصمود (م 1):

لَنْ تَجْعَلُوا مِنْ شَعْبِنَا

شَعْبَ هُنُودِ حُمْرْ

وفي (م 5، و6):

لَنْ تُفْلِتُوا مِنْ يَدِنَا..

لَنْ تَسْتَرِيحُوا مَعَنَا..

كُلُّ قَتِيلٍ عِنْدَنَا

يَمُوتُ آلَافاً مِنَ المَرَّاتْ..

فـ"نزار" بلسان كلّ عربي يتحدى الصهاينة بأن يقضوا على شخصيته، مثلما صنعت أمريكا بالهنود الحمر، ثمّ ليحقق النفي بـ (لن) غرض التعهد عندما يتوعد الصهاينة بعدم الإفلات من قبضة العربي التي ستظلّ

[1] بوقرة نعمان ، مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، ص 102.

[2] كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص،ص 112.

[3] زتسيسلاف واورزنياك، مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص، ص 25.

تلاحقهم حتّى تقتص لنفسها من جرائمهم وتجاوزاتهم، فلا تطمعوا يا بني صهيون في النصر فكلّ قتيل عندنا يموت آلافًا من المرات، وإن قتلتم خالدًا فسوف يأتي عمر واعلموا أنّ.. (م 13):

مَا بَيننَا.. وَبَينَكُم.. لاَ يَنْتَهِي بِعَامْ

لاَ يَنْتَهِي بِخَمْسةِ، أو عَشَرةِ، ولاَ بألْفِ عَامْ

طَويلَةٌ مَعَارِكُ التَّحريرِ كَالصِّيامْ

إنّ معركة (حزيران) واحدة من آلاف الجولات التي تنتظركم، فحروب التحرير طويلة محفوفة بالأشواك والمطبات، تحتاج إلى رباطة جأش ومرابطة ونحن عليها، فـ "نزار" كأيّ عربي غيور على أمّته يلتزم كلّ الالتزام بهذا الوعد الذي اقتطعه على نفسه أوّلاً وقبل كلّ شيء، ثمّ مع عدوّه.

اعتمد "نزار" في وعيده لليهود على بنية المضارع المقترنة بحرف الاستقبال (السين، وسوف) لإنشاء غرض الوعيد (م 3):

فَسَوفَ تَهْلَكُونَ عنْ آخِرِكُمْ

و(م 9):

سَيَخْرجُ الحَجّاجُ ذَاتَ لَيلَةٍ..

وَيَخْرُجُ المَنْصُورْ

و(م 12):

لِلحُزْنِ أولاَدٌ سَيَكبُرُونْ..

وَهَؤلاَءِ كُلُّهُمْ..

مِن كُلِّ أبْوَابِ فِلَسطِينَ سَيدْخُلُونْ

و(م 18):

سَوفَ يمُوتُ الأعْوَرُ الدَّجَالْ

إنّ الوظائف اللسانية الثاوية خلف هذه الأفعال دالة على التهديد والوعيد، فالزمن يخبئ لهم الهلاك بفعل فاعل، وهو العربي الغاضب الذي سيعود إلى أيام عزته وشرفه (ماضيه التليد)، ليتقنع بشخصيات تاريخية تراثية (الحجاج، المنصور) التي سيجسدها جيل الثورة الصاعد، لينتقم من جلاده ويسومه سوء العذاب، نعم هؤلاء الفتية هم أولاد الحزن، والجوع، والأسى، والخيام المظلمة، هؤلاء سيعودون إلى ديارهم ويدخلونها من أيّ

الأبواب شاءوا، ولا ينتظرون الجواب، لأنّهم هم السؤال والجواب، فحتّى "موشيه ديان" (الأعور الدجال) الذي غدا رمزًا لطفو جيف أحفاد القردة والخنازير سيموت وتنتهي معه تراجيديا بيت المقدس.

ومن الالتزاميات التي احتواها نص المدونة توظيف "نزار" للأفعال الدالة على الانبثاق (نطلع، ونأتي، وموعدنا) ومن أمثلتها (م 10):

رِجَالُنَا يَأتُونَ دُونَ مَوعِدٍ

و(م 14):

مَوعِدُنَا حِينَ يجيء المَغِيبْ

مَوعِدُنَا القَادِمُ فِي تلْ أبِيبْ

"نَصْرُ مِن الله، وَفَتْحٌ قَرِيبْ"

و(م 25):

أطلَعُ كالعُشْبِ مِن الخَرَابْ

أُضيءُ كالبَرْقِ عَلَى وُجُوهِكُمْ

و(م 27):

نَأتي..

بِكُوفِيَّاتِنَا البَيضَاء والسّوداء

نَرسُمُ فَوقَ جِلْدِكُمْ

إشَارةَ الفِداءْ

نَأتي .. لِكي نُصَحّحَ التارِيخُ والأشْياءْ

ونَطْمِسُ الحُرُوف فِي الشَّوَارِعِ العِبْرِيّة الأسْمَاءْ

ترتبط وجهة الإنجاز في هذه المنطوقات بالتزام الشاعر حيال مخاطبه بالتهديد والوعيد، وهو يعبر للمجموع عن شعور يتملك المجموع نفسه، وهو النيل من الغاصبين.

ومما تجدر الإشارة إليه إمكانية حمل هذه الأفعال الإخبارية في ظاهرها على محمل الأفعال الإنجازية؛ أيّ إخراجها من تصنيفها الطبيعي إلى مجال التأويل، وذلك بانتقال الدلالة من الإخبار إلى الوعيد، وهو المعنى المتضمن في القول، خاصة إذا ما تمت مراعاة الظروف والملابسات التي صاحبت الصيغ، وذلك بالوقوف على

دور السياق في تحليل الأفعال الكلامية، ليأخذ "فان دايك" بوجهة النظر القائلة: « بأنه لا توجد فائدة في التكلم عن ضروب إنجاز قوى أفعال الكلام خارجًا عن السياق المحدد تحديدًا اجتماعيا» [1].

ففي السطور السابقة يتخلق فعل الوعيد تدريجيًا؛ إذْ كانت البداية بالمقاومة المباغتة التي لم تتحدد بزمن ولا بموعد، ثمّ ليكون الوعيد أشدّ وقعًا على الصهيوني عندما تصل المقاومة إلى عقر دار الصهيوني الواهنة (تل أبيب) زمن المغيب، وهو زمن مستقبلي مبهم، ليصل إلى أعلى مراتبه عندما تندحر الصهيونية، وتطمس معالمها من الأرض المقدسة، وبذلك يتمّ اقتلاع الكيان الصهيوني من جذوره، ليمروا بين الكلمات العابرة حاملين أسماءهم منصرفين دون رجعة.

4- التعبيريات Expressive:

هذا النوع من الأفعال الكلامية غرضه التعبير عن الموقف النفسي تعبيرا يتوافر فيه شرط الإخلاص [2]، وتندرج ضمنه كل أفعال الشكر، والتهنئة، والتعزية، والمواساة، والحسرة، والتمني، والندم، والحب، والكره، والشكوى، وإظهار الإساءة، وغيرها من الإيحاءات النفسية المصاحبة للمنطوقات.

إن محاولة الكشف عن البنى الدلالية غير المفصح عنها في عالم الخطاب، لا يمكن أن تتم دون الرجوع إلى النظرية العامة لأفعال الكلام، خاصة التي تشير إليها الأفعال اللغوية غير المباشرة عند خروجها عن دلالاتها الحرفية- التي تبدو وكأنها أفعال تقريرية أو إخبارية – إلى دلالات أكثر رحابة، وأشد إيحاء بما يختلج في نفس المتكلم من أحاسيس ومشاعر، بصرف النظر عن مدى صدقيتها في مطابقة العالم أو عدم مطابقتها له، وإنما يلفظ بها المتكلم (الشاعر) في الوقت الذي يريد الإفصاح عن الشعور المصاحب للقول، وهو ما يعطيها صفة الفعل الإنجازي.

ومما يجب ذكره في حق هذا النوع من الأفعال الكلامية، الاعتراف بصعوبة القيام بعملية تصنيفية دقيقة وصارمة في المدونة الشعرية، وبخاصة في ظل طابع الاحتمالية المطردة التي تتسم بها الخطابات الشعرية عموما، و الخطاب الشعري الحداثي تحديدا، ولعل ذلك يرجع إلى انفتاح البنية على ضروب واسعة من التوجيه، وأنواع من التأويل [3]، وما يضاف إلى هذا كله ما يختفي من المعاني وراء سحر البيان وشتى صنوف المجاز.

---

[1] فان دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي،ص 266.

[2] محمود احمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،ص80.

[3] نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، ص93.

ومن التعبيريات التي تتقمص الأساليب الخبرية، أساليب تحمل دلالات الحسرة والأسف ، وذلك تحديدا في قوله (م 4):

المَسْجِدُ الأقْصَى، شَهِيدٌ جَدِيدْ

نُضِيفُهُ إِلَى الحِسَابِ العَتِيقْ

فمنشأ الحسرة والأسى لدى "نزار"، هو السقوط المتواتر لمعالم العروبة إلى أن طما الخطب بسقوط القدس الشريف، الذي يضاف إلى الحساب العتيق من التنازلات، فـ"نزار" لا يبتغي من وراء هذا المنطوق الإخبار عما هو جار في الواقع من أحداث ووقائع وتحولات طارئة تشهدها البلاد العربية، لأن هذه الأخبار بات يعلمها الداني والقاصي، وإنما الغاية منها تكمن في محاولة التعبير عن حالة شعورية هستيرية متأزمة تساور الشاعر، ويحترق بها القلب العربي.

وسنقف هنا – بعض الشئ – عند التعبيريات المجازية، والتي نعترف بأنها إحدى العقبات المستعصية التي تقف حائلا أمام المقاربة التداولية للخطابات عموما، والخطاب الشعري الحداثي على وجه الخصوص.

فمن الأفعال الإفصاحية المجازية نذكر بعض ما أورده "نزار" من مثل ما كنا أشرنا إليه سابقا (م 10):

نِسَاؤُنَا..

يَرْسُمْنَ أَحْزَانَ فِلِسْطِينَ عَلَى دَمْعِ الشَجَرْ

يُقْبِرْنَ أَطْفَالَ فِلِسْطِينَ بِوِجْدَان البَشَرْ

و(م 11):

صَادَرْتُمْ الأُلُوفَ مِنْ بُيُوتِنَا

وَبِعْتُمْ الأُلُوَفَ مِنْ أَطْفَالِنَا

و(م 21):

ظَلَّ الفِلِسْطِينِيُّ أَعْوَاماً عَلَى الأَبْوَابْ

يَشْحَذُ خُبْزَ العَدْلِ مِنْ مَوَائِدِ الذِئَابْ

و(م 26):

مُحَاصَرُونَ أَنْتُمْ بِالحِقْدِ وَالكَرَاهِيَهْ

إنها تراكيب و إن أغرت بالنظر إليها على أنها إفصاحيات تحاكي الواقع المؤلم، فإنها بالمقابل تطرح وجهة نظر أكثر جدية، تتعلق بإمكانية كونها إفصاحات عن حال نفسية تساوي من حيث الدلالة مقابلاتها اللسانية

الحرفية، فهذه التعبيرات المجازية تحمل دلالات مكثفة عن الموقف المعبر عنه، و"نزار" – من خلالها – يهدف إلى توليد معاني شتى تماشيا مع حال المخاطبين، ولعل هذه الأفعال الإفصاحية كلها كانت تعبر عن مشاعر الحزن والأسى التي اعترته لوقائع ومشاهد بشعة عاينها أو تمثلها، كذا إنكاره لممارسات الصهاينة الوحشية، وتخاذل المجتمع الدولي، أو لنقل – بملء فينا– إنه كان من جنود المؤامرة التي تحاك للفتك بالفلسطيني الجريح، (فصفق العالم للمغامرة.. للسماسرة).

وما يقال عن المجاز يقال عن خروج بعض الأفعال اللغوية عن معانيها الحرفية إلى أحد المعاني السياقية، فبعض الأفعال تبدو في ظاهرها من صنف الإخباريات أو التوجيهيات، لكن واقع الاستعمال الفعلي للخطاب يخرجها عن وضعها اللغوي، فيجعلها، مثلا، من أفعال الوعد أو التعبير– وهو ما يضع تصنيفات أرباب التداولية "أوستين" و"سيرل" أمام المساءلة عن جدوى نجاعتها – ومن ثم فهذه التعبيريات لا تحيل إلى وقائع العالم الخارجي فحسب، بل تتعداه إلى ما يتمثله المتكلم تماشيا مع الشعور المصاحب لعملية التلفظ، وهو ما له صنو في بلاغتنا العربية القديمة، في باب خروج الكلام عن مقتضى الظاهر وارتباطه بالمقام (مقتضى الحال).

ومن هذه التعبيريات التي تقمصت أفعال الإثبات (الإخباريات)، في الظاهر، بعض أساليب التوكيد والإقناع نحو قوله (م 11):

لَقَدْ سَرَقْتُمْ وَطَناً..

فَصَفَّقَ العَالَمُ لِلمُغَامَرَهْ

ظاهر المنطوق يثبت اغتصاب أرض فلسطين، ويكشف المؤامرة الدنيئة التي باركتها الهيئات الأممية الجائرة، فهذا الفعل الكلامي المعروض بقوة التأكيد (اللام وقد) يحمل معنى سياقي متضمن، يعبر عن إحساس الشاعر وموقفه، وهو الإنكار.

يضاف إلى ذلك بعض الأساليب التي تحمل دلالة التعجب، وذلك يظهر تحديدا فيما أورده "نزار" في نفس المقطع السابق:

سَرَقْتُمْ المَسيحَ مِنْ مَنْزِلِهِ فِي النَاصِرَهْ

فَصَفَّقَ العَالَمُ للمُغَامَرَهْ

وَتَنْصِبُونَ مَأْتَماً

إِذَا خَطَفْنَا طَائِرَهْ..

عادة ما ينشأ فعل التعجب نتيجة استعظام أمر جهل سببه، ونحن نرى "نزار" يتعجب – عندما تختل الموازين، ويسيطر اللامنطق على الواقع – من تصغير العظائم (سرقة وطن، مصادرة البيوت، بيع الأطفال، سرقة المسيح)، وتعظيم ما هو هين (اختطاف طائرة)، فالتعجب في هذا الموقف كان مشوبا بسخط وإنكار ما تقترفه أيادي قتلة الأطفال، وأعداء الإنسانية من الصهاينة ومن والاهم.

وهناك تعبيريات تقمصت أفعال التعهد والوعيد المشبعة بدلالات متباينة تقف عند مقصدية الشاعر بين ثنايا الخطاب، من ذلك نشير إلى غرض التمني المتواري خلف تهديد صريح في قوله (م 14):

مَوعِدُنَا حِينَ يَجِيءُ المَغِيبْ

مَوعِدُنَا القَادِمُ فِي تَلْ أَبِيبْ

" نَصْرٌ مِنَ اللهِ، وَ فَتْحٌ قَرِيبْ "

و (م 27):

نَأْتِي.. لِكَيْ نُصَحِّحَ التَارِيخَ وَالأَشْيَاءْ..

وَنَطْمِسَ الحُرُوفَ مِنَ الشَوَارِعِ العِبْرِيَّةِ الأَسْمَاءْ..

أي أمنية يحلم بها العربي أعظم وأقرب إلى قلبه، أن يرى بأم عينه كيف تنقلب الأمور رأسا على عقب – بعد أن حز في نفسه ما أخذ من بلاده، وسلبت منه أمته زمن النكسة– وتحل دائرة السوء على الصهاينة، فهو ينتظر بشغف يوم الفتح المبين، يوم القضاء على الصهيونية في عقر دارها (تل أبيب)، ومن ثم طمس كل معالمها وتطهير الأرض المقدسة، التي وعد الله بها عباده الصالحين، من رجسها.

5 – الإعلانيات Declarations:

في هذا الصنف من الأفعال الكلامية يؤدي الإنجاز الناجح إلى توافق بين المضمون القضوي والواقع، والإعلانيات تشغل مكانة خاصة محددة باعتبار أنها تنجز في العادة في استعمالات محكمة، صارت لها قدسية في إطار المؤسسات [1]. ومن الأفعال اللغوية التي لها وظيفة الإعلان، على سبيل المثال، مستند التعيين، والوصية، والشهادة، والتوكيل... وهي كلها أفعال مرتبطة بمؤسسات اجتماعية معينة، ويتميز الفعل الأدائي، لهذا الصنف، بأنه يستخدم معه – غالبا– ضمير المتكلم مسندا إليه، والفعل في صيغة الفعل المضارع المبني للمعلوم، ويكون موجها للمخاطب [2].

[1] كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، ص134.

[2] المرجع نفسه، ضمن تعليق المترجم سعيد حسن بحيري، ص157..

ومن أمثلته في المدونة ما أورده "نزار" في المقطعين (م 22):

نَحْنُ الذِينَ نَرْسُمُ الخَرِيطَهْ
وَنَرْسُمُ السُفُوحَ وَالهِضَابْ
نَحْنُ الذِينَ نَبْدَأُ المُحَاكَمَهْ
وَنَفْرِضُ الثَوَابَ وَالعِقَابْ..

و (م 25):

أَفْتَحُ بَابَ مَنْزِلِي..
أَدْخُلُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَنْتَظِرَ الجَوَابْ
لأَنَّنِي أَنَا السُؤَالُ وَالجَوَابْ..

لو تأملنا السطور السابقة لوجدنا أن "نزارا" يرمي إلى تحقيق واقع جديد وأفضل مغاير – تماما– لما يحياه المجتمع الفلسطيني، فهو على لسان كل فلسطيني يعلن تحديد الخريطة، وإعادة رسم حدودها بنفسه، لأنه الوحيد الذي له حرية التصرف فيها، ليعلن محاسبة جلاده وعقابه، بعد أن كان وحده من يتحمل أعباء المحاكمة، وقهر العقاب، ثم ليعلن تغيير واقع سديمي، أصبح من يوميات الفلسطيني، تحت وطأة الصهاينة الذين مارسوا في حقه كل صنوف القهر والإذلال التي تجاوزت كل الحدود لتصل المعاناة إلى بيته.

وتسوقنا الاحتمالية الواسعة للخطاب الشعري إلى تعدد أوجه تأويل المنطوق (أفتح باب منزلي)، فمن الذي يفتحه؟ هل سيعود اللاجئون من خيام الذل التي يعلكها الهواء إلى بيوتهم، أم أن المعاناة لم تقتصر على اللاجئين، لتمتد إلى كل بيت فلسطيني؟ وأي منزل يدخله الفلسطيني من غير أن ينتظر الجواب؟ فهل هو فلسطين أم القدس أم منزله الذي يلوذه ويعصمه؟

إن هذا الإعلان تحقق بواسطة الأفعال (نرسم، ونبدأ، ونفرض، وأفتح، وأدخل، وأنتظر)، وكلها أفعال مضارعة مبنية للمعلوم ومسندة إلى ضمير المتكلم (نحن، أنا)، ولا تخلو من النبرة الخطابية، فهي موجهة إلى مخاطب بغيض لا يرقب في فلسطيني إلا ولا ذمة.

ومن خلال هذا العرض البسيط للأفعال اللغوية في المدونة، تتبين لنا صعوبة تطبيق هذه التصنيف على الخطاب الشعري، لما للغة الشعر من حرية في حركة تطواف الأدلة، واتساع احتمالية التأويل، التي يحدثها المجاز و الأساليب الموحية.

كما لاحظنا – بعد تحليل هذه القصيدة – تماهي الأفعال الكلامية وتداخلها مما يؤدي إلى استعصاء تصنيفها داخل المدونة الشعرية، ومن ثم الطعن في نجاعة نموذج "سيرل"، وهذا التداخل للأفعال الكلامية قد أشارت إليه خولة طالب الإبراهيمي: « غير أن هناك عدة أفعال إنشائية يمكن إنجازها في نفس الوقت: النصح، الأمر، التهديد، التحذير، التمني، الأمر غير المباشر، التأسف، وأخيرا الاستفهام والإعلام» [1]، فقد وجدنا فعل القول في ظاهره تقريريا إثباتيا لنجده فيما بعد يتضمن وعيدا جليا، وآخر إلزاميا يتضمن إعلانا وهكذا... فليس بالمجدي – دائما – الاعتماد على ظاهر المنطوقات للوقوف على دلالاتها القطعية، هنا، في هذه الحال، يتدخل السياق بكل ضروبه في توجيه الدلالة.

ولو اعتبرنا القصيدة فعلا لغويا مركزيا واحدا لوجدناها قائمة على فعل الوعد (الالتزاميات)، لأن سياق الموقف الذي عرضت فيه القصيدة يفرض ذلك، فلا التقرير والإخبار مسموع، ولا التوجيه مجد، ولا التعبير مكترث به، ولا الإعلان محكم ونافذ، ومن ثم فنحن أمام تعدد الأغراض والإنجاز واحد، كما هو موضح في هذا الشكل:

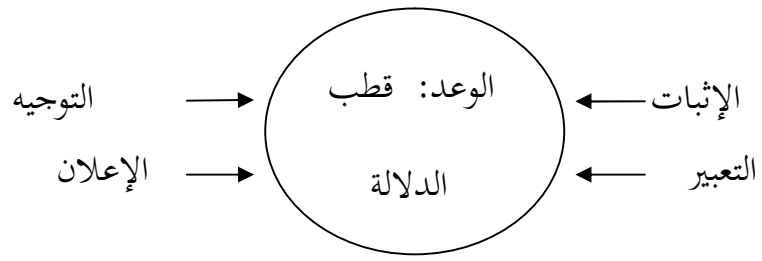

أما الإنجاز فقد كان تقريريا وسلوكيا، فالتقرير يبرز من خلال قرائن الإثبات والتقرير التي تم الوقوف عليها أثناء عملية التصنيف، وفي أغلبه كان سلوكيا مساهما في عملية التغيير، لأن اللغة لم تعد وسيلة لوصف وقائع العالم فقط، بل غدت وسيلة فاعلة، إلى جانب نقل الوقائع والأحداث، في عملية التغيير، وما فائدة الأعمال الأدبية إن لم يكن لها دورها الإصلاحي؟ وبالبحث عن دور الأدب عموما، والشعر على وجه الخصوص يتحدد مفهوم الالتزام الذي أصبح ظاهرة مميزة في الشعر العربي الحديث، لتفاقم المشاكل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، في ظل هوان العرب وعجز ساستها عن القيام بمواقف حاسمة تشفي غليل العربي الذي بات يتضور مما يراه بأم عينه، من انتكاسات وتنازلات بالجملة، ولعل أبرزها نكسة حزيران، والالتزام نعني به مساهمة

[1] الإبراهيمي خولة طالب، مبادئ في اللسانيات، ص (163-164).

الأديب (الشاعر) في عملية التغيير، وذلك بالبحث عن حلول للمشاكل والقضايا الجذرية التي يواجهها المجتمع، ومن هنا يصبح الأدب رسالة إصلاحية في خدمة الواقع، ولم يبق رهين الذات يغني آمالها وآلامها. ومن خلال التغيير يتحدد مدى نجاح الإنجاز، لأنه يمثل ما يترتب عن القولات من أفعال منجزة (الفعل الناتج عن القول)، ويمكن تمثيل الفعل الكلامي التام للخطاب في هذه الخطاطة:

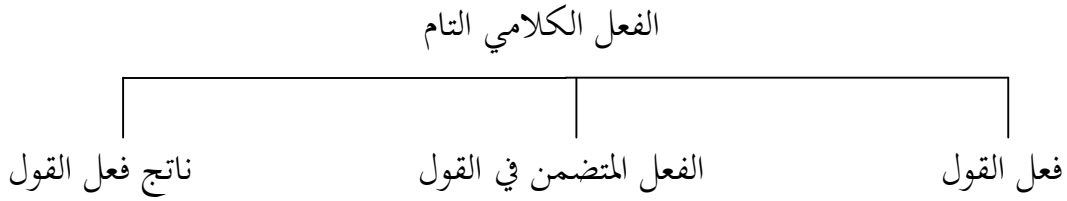

. فعل القول (الصوتي): القصيدة.

. الفعل المتضمن في القول (الإنشائي): الوعيد والتهديد.

ـ ناتج فعل القول (التأثيري): ما تحدثه القصيدة من تأثير في المتلقي (زعزعة الصهاينة، قيام حرب أكتوبر 1973).

غير أن "سيرل" لا يرى للفعل التأثيري أهمية كبرى، لأنه ليس من الضروري، عنده، أن يكون لكل فعل تأثير في السامع يدفعه إلى إنجاز فعل ما [1]، ولهذا القول مبرره، لا سيما إذا تعلق الأمر بالأعمال الأدبية، فالشاعر، عندما يلقي قصيدته، لا يعرف مدى إقبال قرائه عليها، فكيف له أن يعرف درجة تأثيرها فيهم؟ مع العلم أن أصحاب الأعمال الأدبية أنفسهم يعلمون علم اليقين أنه لا سلطة لهم على قرائهم، رغم قدرة الأدباء على دغدغة مشاعر جمهور المتلقين...

ومهما يكن تبق الأغراض التي يفصح عنها الباث للمتقبل أهم عناصر الفعل الكلامي، وهو موقف مؤسس نظرية أفعال الكلام "أوستين" الذي أعطى الأولوية للفعل الإنشائي أو الغرضي، ذلك أن مقاصد المتكلم كلها تتحدد في هذا البعد.

[1] محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص73.

ثانيا– تقنيات الحجاج وأدلة الإقناع:

لننطلق من تعريف "أوتس ماس" Utz Maas للحجاج: بأنه سياق من الفعل اللغوي [1]، يرمي من خلاله المحاجج إلى إقناع الآخر بصدق دعواه، ومن ثم التأثير في موقفه وسلوكه، والتأثير هو الذي يعطيه سمة الفعل الكلامي، وعملية الإقناع في الخطابات الأدبية لا تتأتى إلا بتوظيف مجموعة من الوسائل الإقناعية، والتي نعني بها الأدلة والبراهين والأساليب التي يستعين بها المرسل لإقناع جمهور المتلقين، وتنقسم إلى نوعين: أدلة خارجية (خارج الخطاب، العالم الخارجي)، وأدلة داخل الخطاب (اللغة والأسلوب وترتيب الأفكار)، وقد جمع "نزار" بين الاثنين في السياق اللغوي، فهو يشير إلى العالم الخارجي من خلال اللغة، ويتبين ذلك فيما يلي [2]:

1– أدلة خارج الخطاب:

إن اللغة ليست في معزل عن الواقع، بل هي الوسيلة الأولى التي تصف أحداثه، وتساهم في تغييره، وعندما يقدم الأديب عمله الفني للجمهور، فهو يضع، نصب عينيه، عدة معطيات يجب أن تكون مستوفاة في خطابه،كواقع الجمهور، ومستواه، وذوقه، وقضاياه، وتطلعاته، وغير ذلك من متطلبات الحياة، فالأديب لا يعيش في فراغ زمكاني، إنما هو كائن يعيش ضمن جماعته، ويجعل من أدبه مرآة تعكس واقعها، لهذا نجد في قراءة بعض الأعمال الأدبية صلة متينة بينها وبين الواقع الخارجي، وكم من عمل أدبي أعتبر سندا تاريخيا ثريا لما يحويه من الإحالات الزمنية، والمكانية، والشخصية، واللغوية... التي تدفع الشك والريب عن نفس المتلقي حيال الموضوع الذي يشغله، ومن هذه البراهين نذكر ما يلي:

أ) **الإحالات الزمنية:** لقد تفاعلت لغة الخطاب مع العالم الخارجي، إذ نجد أن البنية الشكلية للجمل الفعلية وثيقة الارتباط بالعالم الخارجي ومتفاعلة معه، من خلال استعماله لمحددات زمنية تربط زمن الخطاب بزمن خارجي معين مثل: (لن تجعلوا من شعبنا شعب هنود حمر) (م 1)، (لا تسكروا بالنصر) (م 2)، (المسجد الأقصى شهيد جديد نضيفه إلى الحساب العتيق) (م 4)، (لقد سرقتم وطنا فصفق العالم للمغامره) (م 11) ... وكذلك بعض مؤشرات الزمن، التي سبقت الإشارة إليها في مبحث الإشاريات الزمنية، نحو: (فجر العمر، آذار، نيسان، ليلة، عام، الأيام، المغيب...).

[1] محمد العبد، النص و الخطاب و الاتصال، ص188.

[2] محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي، ص109.

ب) تاريخ الحدث: يعد ذكر الشاعر لتاريخ الحدث أكبر مؤشر على اتصال الخطاب بالعالم الخارجي، وهو ما أدرجه "نزار" فعلا في خطابه: (ليس حزيران سوى يوم من الأيام)، والتصريح بزمن الحدث داخل الخطاب يساعد القارئ على فهمه وتأويله، إذن، فتحديد زمن الحدث يؤكد صدقه.

ج) الإحالات المكانية: يعد التصريح بالمؤشرات المكانية من أكبر سبل ربط الخطاب بالعالم الخارجي، ذلك أن المكان يمثل مسرح الأحداث، وله ارتباط وثيق بموضوع الخطاب، ولو تأملنا القصيدة التي بين أيدينا لحكمنا عليها بأنها خطاب مكان، إذ أن الصراع صراع مكان، ومن هذه المحددات نذكر أهم الأمكنة: (صحارى مصر، المسجد الأقصى، النيل، الفرات، الطور، فلسطين، الناصرة، تل أبيب، بيوتنا، غرف التحقيق، مراكز البوليس، السجون، الجولان، ضفة الأردن، هانوي، فيتنام ، بدر، أحد، الشوارع العبرية...) أو بذكر ما يحيل إلى المكان من ظرف أو اسم إشارة نحو: (فنحن باقون هنا، في هذه الأرض) (م 1)، (فما لكم خبز هنا) (م 9).

وذكر الزمان والمكان، كما أشرنا، يؤكد أن الخطاب لا ينفصل عن الواقع الخارجي، إذ تفسر الأسماء والضمائر والإشارات في ضوء الظرف الخارجي بما تحيل إليه، فتعيين المتكلم أو السامع أو الغائب يتم خارج نطاق الخطاب، وإذا كان الظرف الخارجي كفيلا بتحديد المفهوم وتفسير المعنى، فإن المرسل لا يلجأ إلى تفصيل الأحداث، وبهذا يحقق نوعا من الاقتصاد اللغوي، فالمسكوت عنه يكمله العالم الخارجي وإحالاته.

د) الاحتكاك المباشر مع العالم الخارجي: بالإحالة إليه، والحديث عنه، والاقتباس المباشر منه [1]، وتدخل في هذا المجال كل أنواع الإحالة الزمنية والمكانية السالف ذكرها، والإحالات الشخصية (أسماء الشخصيات أو الضمائر)، لا سيما الشخصيات التي لها دور بارز في تطور البرنامج السردي لأحداث الموضوع، كالشخصيات الدينية، والتاريخية الرمزية مثل: ("الرسول"، "عمر"، "فاطمة الزهراء"، "الحسين"، "خالد"، "عمرو"، "الحجاج"، "المنصور"، "هارون الرشيد"، "امرؤ القيس"، "أبو تمام"، "موشيه دايان")، فهذه الرموز الشخصية على تباينها تؤدي وظيفة ربط الحاضر بالماضي، إذ استطاع "نزار" أن يصهر هؤلاء الأعلام في فضاء خطابه ليستحيلوا شرايين من شرايينه الكثيرة، وأن يبعث هؤلاء الأعلام بعثا جديدا يتلاءم ودلالات الخطاب.

[1] محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي، ص168.

هـ) قيمة الموضوع: يتناول نص المدونة موضوعا بالغ الأهمية في الساحة السياسية وتاريخ البلاد العربية، وهو الصراع السرمدي (العربي الإسرائيلي)، وهي قضية عويصة تشغل كل المشاركين في الحدث الكلامي، المتكلم والمخاطب وحتى الغائب.

2- أدلة خارج الخطاب:

لو أنعمنا النظر في الخطاب لوجدناه خطابا برهانيا بكل المقاييس، ذلك بوصفه خطابا متلفظا به، يفترض متكلما ومتلقيا، تتوافر فيه قصدية التأثير، إذ يقدم المرسل من خلاله مجموعة من المعطيات تترتب عنها نتائج منطقية لا تترك للسامع سبيلا إلا الإذعان لها، والتسليم بصدقها، والاقتناع بها.

ومن وسائل الإقناع الداخلية التي استعملها "نزار" في خطابه نذكر ما يلي:

أ) الاستعانة بالحجج والبراهين الخطابية الصادقة: وعلى رأسها الاستشهاد بالقرآن الكريم أو اقتباس معانيه الشريفة، ويعد الاستشهاد من البراهين الجاهزة التي يضمنها الشاعر إلى كلامه، من ذلك قوله (م 14):

مَوعِدُنَا القَادِمُ فِي تَلْ أَبِيبْ

" نَصْرٌ مِنَ اللهِ، وَ فَتْحٌ قَرِيبْ "

في السطر الثاني نجد "نزارا" قد ضمن قوله تعالى: ﴿ **وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الصف 13]، والملاحظ هنا مناسبة النص القرآني لسياق الموقف الذي أورده فيه، فكانت الآية الكريمة هي التي يحبها الشاعر وكل عربي ومسلم، وهذه الحجة النقلية جاءت بأسلوب خبري كسي بثوب قرآني أعطاه جمالا وجلالا، وهي من التعبيريات الباعثة إلى إدخال الثقة والطمأنينة في قلب العربي حتى ينطلق، وهو واثق من نصر الله، فغاية الاستشهاد تكثيف حضور الأفكار في الذهن، وربما كان الاستشهاد أداة لتحويل المعاني من طبيعتها المجردة إلى أخرى محسوسة.

كما اقتبس "نزار" من القرآن الكريم بعض الأحداث التي وقعت لبني إسرائيل، وهي معرفة يتقاسمها قطبا التواصل (الشاعر واليهود)، وذلك تحديدا في المقاطع (1، 3، 9، 17)كذكره الوصايا العشر، ومعجزة عصى "موسى"، والتوراة والطور، ومسألة التيه وعبادتهم العجل، ليؤكد على ضلالهم وسفاهتهم وطيشهم، وهذه الحقائق واردة،كذلك، في النصوص القديمة المحرفة الكلم (الإنجيل والتوراة)، فالنص القرآني يضفي على لغة الخطاب مسحة روحية وتعطيه قداسة ومهابة في نفس متلقيه، ولعل القرآن الكريم فيما يقدمه لنا من أمثلة حجاجية أهم مصدر لهذه الأشكال الحجاجية، ونحسب أن "نزارا" كان يدرك أهمية هذه الآلة البلاغية في الإخبار، والتبليغ، والإقناع،والتأثير.

ب) الوسائل البلاغية: استخدم الشاعر معظم الآليات البلاغية التي نكتفي بذكر أهمها، من ذلك تقسيم الكل إلى أجزائه، والتقسيم يعني: « ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل إليه على التعيين» [1]، و من التقسيم الوارد في الخطاب، المشهد الذي أكد فيه استمرار مقاومة الشعوب وانتصارها على أعدائها (م 24):

حَدَائِقُ التَارِيخِ دَوْماً تُزْهِرُ

ثم شرع في ذكر ما شهده التاريخ من تضحيات الشعوب والأمم بنوع من التفصيل بقوله:

فَفِي رُبَى السُودَانِ قَدْ مَاجَ الشَقِيقُ الأَحْمَرُ

وَفِي صَحَارِى لِيبِيَا

أَوْرَقَ غُصْنٌ أَخْضَرُ

والغرض من استخدام هذه الآلية، هو إقامة الحجة الدامغة على الصهاينة الذين تناسوا سنة الأولين التي مضت، وتعزيز موقفه بأحداث تاريخية لا جدال ولا مرية فيها، ومن التقسيم، أيضا، في المشهد الذي أكد فيه على البقاء (م 18):

وَنَحْنُ بَاقُونَ هُنَا..

ثم ليشرع في تعداد ما يشتمل عليه الظرف المكاني (هنا) من صنوف البقاء: باقون فيما رسم الله..باقون في معاصر الزيت، وفي الأنوال.. وباقون في.. وفي..

أما الصور البيانية وأنواع المجاز، فقد أولاها "نزار" بالغ العناية لما لها من دور في تجسيد المعاني وتشخيصها، وبهذا تكون الصورة البيانية لبنة مركزية في الخطاب الشعري، والصورة من الناحية الأسلوبية هي تمثيل لعلاقة لغوية بين شيئين، أوهي طريقة في الكلام تقوم على علاقة المشابهة كما هي الحال في الاستعارة والتشبيه، أو على علاقة المجاورة كما هي الحال في الكناية والمجاز المرسل [2]، ولنقف على الصورة المركبة التي جسد من خلالها "نزار" معاناة الفلسطيني وهوان حاله (م 21):

ظَلَّ الفِلِسْطِينِيُّ أَعْوَاماً عَلَى الأَبْوَابْ

يَشْحَذُ خُبْزَ العَدْلِ مِنْ مَوَائِدِ الذِئَابْ

[1] القز ويني الخطيب، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، التلخيص في علوم البلاغة، ضبط وشرح: عبد الرحمان البرقوقي، دار الفكر العربي، بيروت – لبنان– ط1، 1904، ص364.

[2] بوحوش رابح، اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة – الجزائر– 2006، ص151.

فالسطران يحملان دلالات مجازية متضافرة، ابتدأها بالكناية عن صفة المسألة (على الأبواب)، ثم التشبيه البليغ عندما شبه العدل الذي غمط منه الفلسطيني باطلا وجورا بالخبز (خبز العدل)، فهذه الصورة التشبيهية تحمل تهويلا للموقف، وهل هناك شيء يفتقده الفلسطيني أهم من العدل الذي بات من لزوميات الحياة كالخبز تماما، ثم التركيب الأكثر كثافة ودلالة على المعنى (موائد الذئاب) إذ تتجلى قوة الاستعارة عندما شبه الهيئات الأممية بالذئاب بجامع المكر والفتك بالضعفاء، وهي صور في مجملها باعثة إلى الشفقة على الفلسطيني، ومنفرة تبعث الكراهية في النفس جراء أعمال الصهاينة وأعوانهم، ويؤدي هذا التصوير إلى استحضار الواقع في التركيب اللغوي، ومن ثم ممارسة التأثير على المتلقي.

وقد قدم الشاعر ،كذلك، حججه في ثوب بديعي أكسبها تأثيرا وفاعلية، ولعل أبرزها المقابلة بين المعاني، إنما أراد من خلالها التأكيد على الموقف مهما كانت أوجه المفارقة بين قوة العدو الغاشم وبساطة العربي (م 12):

قَدْ تَقْتُلُ الكَبِيرَ، بَارُودَةٌ

صَغِيرَةٌ، فِي يَدِ طِفْلٍ صَغِيرْ

ومن جهة أخرى يبدو "نزار" مصرا على البقاء، فهو يؤكد للصهاينة ارتباطه الوثيق بأرضه، وأن كل ما فيها لصيق به، مهما كان متناقضا، لهذا الغرض وظف التقابل في (م 18): باقون في (المد والجزر)..في (الصليب والهلال)..في (الدموع والآمال)، والسر البلاغي في التضاد يتمثل في الإبداع في تقابل المعاني، وقيل، والضد يظهر حسنه الضد. والتضاد يقوي المعنى، ويرسخه في ذهن السامع.

وكذلك المقابلة بين المضامين الإخبارية، المستقلة أو المضمنة في التراكيب، ولهذا النوع من آليات الحجاج مظاهر متنوعة:

1/ المقابلة بين النفي والإثبات في (م 6):

لَنْ تَسْتَرِيحُوا مَعَنَا..

كُلُّ قَتِيلٍ عِنْدَنَا

يَمُوتُ آلَافاً مِنَ المَرَّاتْ..

وفي (م 13):

مَا بَيْنَنَا.. وَبَيْنَكُمْ.. لَا يَنْتَهي بعَامْ

لَا يَنْتَهي بخَمْسَةٍ، أَوْ عَشْرَةٍ، وَلَا بِأَلْفِ عَامْ

طَوِيلَةٌ مَعَارِكُ التَحرِيرِ كَالصِّيَامْ

2/ المقابلة بين السبب و النتيجة المنطقية في (م 2 و3):

لَا تَسْكَرُوا بِالنَصْرْ

لأَنَّ مُوسَى قُطِعَتْ يَدَاهْ

لَأَنَّ مُوسَى كُسِرَتْ عَصَاهْ

وفي (م 11):

لَقَدْ سَرَقْتُمْ وَطَناً..

فَصَفَّقَ العَالَمُ لِلمُغَامَرَهْ

والملاحظ أن هذا النوع من وسائل الإقناع يعتبر أكثر عقلانية؛ لأن أزواج المقابلات تقدم في شكل قضايا استدلالية، وفي قالب محاججات منطقية لا يشك العقل في صدقيتها من أي وجه من الوجوه [1].

ويشير محمد الولي إلى الدور الحجاجي الذي تلعبه الوسائل البلاغية من خلال وظائفها الثلاث الإفادة والإمتاع والتأثير، إذ تتمثل الإفادة في تلقي كل المعلومات المتعلقة بملف قضية ما، وفي ما نضيفه إلى هذه المادة الخام من الحجج ووسائل الإقناع. ويتمثل الإمتاع في نفي كل عناصر الملل عن المتلقي، ذلك أن كسب عطف الجمهور يكتسب أهمية بالغة في مقدمة الخطابة وفي نهايتها. ففي البداية يسعى الخطيب إلى جذب انتباه المتلقي بإخراجه من حالة عدم الاكتراث، وفي الخاتمة يسعى الخطيب إلى الدفع بالمتلقي في اتجاه تبني موقفه وترجمته إلى فعل وممارسة [2]. و بهذا تكون الصور البلاغية بعامة في الخطاب أداة مهمة لتحقيق الغرض الحجاجي فيه.

ج) **المبادئ الحجاجية والإقناع المنطقي**: وهي مجموعة من المسلمات والأفكار والمعتقدات المشتركة بين أفراد مجموعة لغوية وبشرية معينة، والكل يسلم بصدقها وصحتها [3]، نحو قوله (م 7):

يا آل إسرائيل لا يأخذكم الغرور

عقارب الساعة إن توقفت

---

[1] نواري سعودي أبو زيد في تداولية الخطاب الأدبي، ص98.

[2] محمد الولي، بلاغة الحجاج، (على الخط)، تمت الزيارة يوم 2012/08/29، متوفر على : موقع سعيد بنكراد ـ مجلة علامات ـ العدد 5 . 1996 http://saidbengrad.free.fr/al/n5/8.htm

[3] العزاوي أبو بكر، الحجاج في اللغة، (على الخط)، تمت الزيارة يوم 2012/08/29، متوفر على العنوان:

http://www.aljabriabed.net/n61_05%20azzaoui.htm

لا بد أن تدور..

أن اغتصاب الأرض لا يخيفنا

فالريش قد يسقط عن أجنحة النسور

إن"نزارا"، في هذا السياق، يعتمد في إقناعه لمخاطبه على حجج واقعية يحياها الناس، وبات مسلما بصحتها، فالأيام دول، وهو ما يصدقه واقع الأمم والحضارات، التي جاءت تترا ثم ما لبثت أن تداعى سلطانها ودرست، ولسان حاله يقول: كذلك أمتكم يا بني صهيون ليجعلنها جيل الثورة الصاعد من الشباب العربي أحاديث وسلفا لمن بعدكم، فألا بعدا لدويلتكم.

د) الاستعانة بالعالم الخارجي: وذلك عن طريق الإحالات الزمانية، والمكانية، والإحالة بالرمز، إذ يعد هذا الأخير قوة تأثيرية بالغة في الذين يلتمسون العلاقة بين الرامز والمرموز إليه، ومن أمثلته في الخطاب، ما ورد في (م 18):

بَاقُونَ فِي الصَلِيبْ..

بَاقُونَ فِي الهِلَالْ..

فالهلال يرمز إلى حضارة الإسلام، والصليب إلى المسيحية، وغيرهما كثير في هذا الخطاب الحداثي الرمزي، وكذلك الاستشهاد بنماذج مستمدة من الواقع، والقصيدة برمتها شاهدة على ذلك، بداية باندثار شعب الهنود الحمر وهيمنة الرجل الأبيض عليه، وكذا اغتصاب الأراضي العربية، ومعاناة الفلسطيني في أرضه، وغيرها من الشواهد التي من شأنها أن تؤدي إلى تفاعل البنية السطحية للخطاب مع وقائع العالم الخارجي، وربط الخطاب بالعالم الخارجي يخدم تأكيد الفكرة وتصوير الأحداث، ويساعد على حضور الأشياء.

هـ) استخدام لغة شعبوية تناسب جمهور المتلقين: « فلغته كانت بحق صورة مطابقة للغة عصره في النصف الثاني من القرن العشرين... فاستخدم لغة الناس، اللغة القريبة من مشاعرهم ومن أحاسيسهم، لغة البساطة والوضوح والسلاسة، فهي الوحيدة إلى النفاد إلى قلوبهم...»[1]، وفي استعمال هذه اللغة العادية يتكون مشترك بين المتلقي والمبدع، لهذا عمد إلى لغة مفهومة لا تحتاج معجما يذللها، ولا تشكل لبسا لدى المتلقي.

و) الجمع بين الدليل الواقعي والدليل التاريخي: في هذه الحال ينتقل "نزار" من الحاضر إلى الماضي بواسطة آلية الاسترجاع، قصد تقديم أدلة ساطعة تدعم موقفه من القضية، وهو ما أدلى به – فعلا – في نصه

[1] إسماعيل اللبان، الحس الثوري في شعر نزار قباني، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1، 2000، ص55.56. نقلا عن: هايل محمد الطالب، قراءة النص الشعري لغة و تشكيلا، ص38. 39.

الحجاجي، عندما ذكر هوان اليهود وسفاهتهم وضلالهم، معتمدا بذلك على ثقافته الدينية المستمدة من القرآن الكريم، و النص القديم (التوراة والإنجيل)، وكذلك ذكره لمواطن القوة العربية باستحضار تاريخ المجد والأنفة والكبرياء، من خلال توظيف رموز الشخصيات ("محمد صلى الله عليه وسلم"، "عمر"، "خالد"..)، أما استحضاره لشخصية "هارون الرشيد"، بهذه الروح التهكمية التي أفصح عنها في قوله (م 20):

لِأَنَّ هَارُونَ الرَشِيدَ مَاتَ مِنْ زَمَانْ
وَلَمْ يَعُدْ فِي القَصْرِ غلْمَانٌ.. وَلَا خِصْيَانْ
لِأَنَّ هَارُونَ الرَشِيدَ لَمْ يَعُدْ إنْسَانْ
لأَنَّهُ فِي تَخْتِهِ الوَثِيرِ..
لَا يَعْرِفُ مَا القُدْسُ.. وَمَا بيسَانْ
لِأَنَّ هَارُونَ الرَشِيدَ أَرْنَبٌ جَبَانْ
فَقَدْ جَعَلْنَا قَصْرَهُ.. قِيَادَةَ الأَرْكَانْ..

أراد من خلالها الإشارة إلى أسباب الهزيمة (علقم 1967).معتمدا بذلك على إستراتيجية الإسقاط، عندما أسقط بعض جوانب العبث واللهو العباسية، التي وصف بها "هارون الرشيد" [1]، على الحاكم العربي، الذي استهوته نفسه، وكفر بكل ما هو مقدس من دين وتراب وعرض، ولم يكترث إلا بما يشبع نزوات نفسه الدنفة.

يضاف إلى ذلك استحضار الوقائع التاريخية المشهودة التي تبين غلبة الحق على الباطل (بدر، أحد)، وإعلاء كلمة الشعوب على جلاديها (الفيتنام، السودان، ليبيا)، وفي استحضار التاريخ وربطه بالحاضر برهان ساطع يعزز به المتكلم موقفه، ويجعل من السامع يذعن ويسلم بصدقية ما يعرض عليه، إيمانا منهما (المرسل والتلقي) بمقولة: إن التاريخ يعيد نفسه.

---

[1] لعل هذه الصفات التي وصف بها نزار هارون الرشيد، ترجع إلى استفحال الشعوبيين الذين أدالوا الحكم للعباسيين من الأمويين (أحداد نزار) وخاصة حينما استولى البرامكة على أزمة الحكم في عهده، يضاف إلى ذلك الاهتمام بالقيان والجواري ، إذ استكثر الرشيد وزوجه زبيدة من الجواري والإماء، حتى قيل أنه عند كل واحد منهما زهاء ألفي جارية في أحسن زي من الثياب والجوهر، و كانت سحر وضياء وخنث من بينهن يشغفن قلبه، وفيهن يقول، وقيل نظم ذلك العباس بن الأحنث على لسانه (الكامل):

ملك الثلاث الآنسات عناني وحللن من قلبي بكل مكان
مالي تطاوعني البرية كلها وأطيعهن وهن في عصياني
ما ذاك إلا أن سلطان الهوى – به عززن– وهن في عصياني

ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، دار المعارف، ط 16، 2004، ص (75/58).

ز) **الروابط الحجاجية والوسائل اللغوية:** إن اللغة ذات طبيعة حجاجية، وعليه فهي تتضمن الأدوات والروابط الحجاجية التي لا يمكن أن تعرف قيمتها إلا بالعودة إلى سياقاتها، لذلك يعد الحجاج فعلا لغويا مؤشرا له بالروابط والأدوات وعبارات مهمتها المحاججة، وهذه الروابط تساهم في عملية تأويل الخطاب وبالتالي « تقوم الروابط بدور مهم في عمليات فهم الخطاب؛ إذ لا تعمل باعتبارها عمليات بسيطة... بل تساهم بصورة أساسية في توجيه العمليات التأويلية »[1]. و مثال هذه الروابط في نص المدونة:

1/ التأكيدات الأداتية: ويقصد بها تأكيد المتكلم كلامه بواسطة أداة أو أكثر، بهدف التأثير في السامع، ومن ثم إقناعه بصحة ما يرمي إليه، ومنها:

(أنّ)، بتواتر 15 مرة، في القاطع: (3، 8، 10، 17، 20، 25).

(إنّ)، بتواتر مرة واحدة، في المقطع (8).

(قد)، بتواتر 5 مرات، في المقاطع (8، 12، 20، 24).

(لقد)، بتواتر مرة واحدة، في القطع (11).

(من الزائدة)، بتواتر مرة واحدة، في المقطع (1).

2/ روابط لغوية متنوعة للربط بين الجمل والفقرات:

- **حروف العطف:** ومنها:

حرف (الواو)، بتواتر 88 مرة،

حرف (الفاء)، بتواتر 19 مرة،

(اللام النافية)، بتواتر 9 مرات،

حرف (أو)، بتواتر 4 مرات.

- **أسماء الإشارة،** بتواتر 8 مرات.
- **الأسماء الموصولة،** بتواتر 9 مرات.
- **أسلوب الشرط،** بتواتر 3 مرات، مرتان في (م 2):

إذا قتلتم خالدا

فسوف يأتي عمرو

[1] آن روبل وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص138.

و إن سحقتم وردة

فسوف يبقى العطر..

و في (م 8):

عقارب الساعة إن توقفت

لا بد أن تدور..

– **أسلوب القصر**، عن طريق النفي والاستثناء (ليس، سوى)، و هو من العوامل الحجاجية، بتواتر مرتان في (م 4):

و ليست النار، وليس الحريق

سوى قناديل تضئ الطريق

و في المقطع (15):

ليس حزيران سوى يوم من الأيام

3/ بنية التكرار: من المفاهيم الأساسية في معالجة الخطاب الأدبي، فهو وسيلة مهمة لاكتشاف أبعاد الواقعة الأدبية في التداوليات الأدبية. ودراسة هذه الظاهرة لا تتوقف عند حد رصد تواترها الخطابي، بل يعنى المحلل بإبراز أدبية الظاهرة في ضوء جدلية الثابت والمتحول، ووظيفتها الخطابية من حيث كونها وسيلة للإفهام والإفصاح والكشف والتأكيد والتقرير والإثبات [1].

ظاهرة التكرار تناولتها دراسات لسانية كثيرة، وكان لكل دراسة تقسيمها الخاص لأنواع التكرار، وهذا يتوقف على اعتبارات عدة، منها ما هو خاضع لذوق صاحبها، ومنها ما يفرضه الخطاب المدروس نفسه، وبهذا المعطى سيتم تقسيم أنواع التكرار وفقا لما يقتضيه الخطاب النزاري المدروس، وبذلك لا مسوغ للحديث عن أنواع التكرار في الدراسات اللسانية التي أفدنا منها، وفيما يلي ذكر لأهم شواهد أنواع التكرار التي أفرزها الخطاب النزاري:

نوع التكرار	التمثيل	عدد التكرار
التكرار التام	باقون 27 مرة (م 18.13.1)، أطلع 7 مرات (م 25.10)، نأتي5 مرات (م 27)، مشرشون 3 مرات (م 1)، موسى مرتان (م 3)، قصب	80

[1] بوقرة نعمان، التحليل اللساني للخطاب الشعري، ص 122.

	الغابات مرتان، خشب الصلبان مرتان (م 5)، الأيام 3مرات (م 27.14.13)، نساؤنا مرتان (م 10)، سرقتم 3 مرات، صفق 3مرات (م 11)، أمريكا 3 مرات(م 12.3)، الأرض 3 مرات(م 16.8.1)، فلسطين 4 مرات (م 16.10)، سيكبرون 3مرات (م 16)، تخرجون 4 مرات (م 17)، هارون الرشيد 3 مرات (م 20)، الفلسطيني مرتان (م 21. 25).	
التكـرار الجزئـي/ تكرار الاشتقاق	شعبنا/شعب (م 1)، قتلتم/ قتيل (م 6.2)، لستم/لسنا/ليس/ليست(م 4.3)، زهر/ تزهر (م 24.1)، هزمتم/ لم تهزموا (م 8)، انتظرونا/ ما لا ينتظر (م 10)، نطلع/ أطلع (م 25.10)، الطيور/ تطير/ طائرة (م 12.11)، وردة/ الورود (م 14.2)، يوم/ الأيام (م 15)، دفتر/ دفاتر (م 18.13)، الخيل/ الخيال (م 18)، فلسطين/ الفلسطيني (م 21.10)، المزاريب/ المزراب (م 25.13)، الحبيبات/ الأحباب (م 25)، رسم/ نرسم (م 27.18) .	15
تكـرار العبـارة/ التكرار الجملي	لن تفلتوا 3 مرات (م 5)، انتبهوا مرتان (م 7)، فصفق العالم للمغامرة مرتان (م 11)، تذكروا مرتان (م 12)، سوف يموت الأعور الدجال مرتان (م 18).	11
التكرار الصرفي	الحريق/ الطريق (م 4)، من أوعية البخور/ من أغطية الصلاة (م 5)، النسور/ الصخور (م 8)، الحجر/ الزهر، يرسمن أحزان فلسطين/ يقبرن أطفال فلسطين/ يحملن أحجار فلسطين (م 10)، باقون في معاصر الزيت/ في مراكب الصيد/ في قصائد الحب (م 18)، الأحمر/ أخضر (م 24)، أطلع كالعشب/ أضيء كالبرق/ أهطل كالسحاب (م 25)، ممزق/ مطوق (م 26)، الأشياء/ الأسماء (م 27).	9
تكرار الترادف	باقون/ مشرشون (م 1)، زهر/ وردة/ العطر (م 2.1)، نبيها الكريم/ الرسول (م 10.1)، النار/ الحريق (م 4)، بندقية/ بارودة/ السلاح (م 17.12.5)، الأرض/ بلادنا/ فلسطين/ وطنا/ التراب (م	11

	25.11.10.1)، نصر/ فتح (م 14)، المحاكمة/ الثواب/ العقاب (م 22)، الضياع/ السراب (م 25)، الحقد/ الكراهية (م 26)، وجع/ أسى/ أحزان (م 27).	
تكرار الحرف	(الواو) بتواتر 88 مرة، (في) بتواتر 85 مرة، (من) بتواتر 39 مرة ،(الفاء) بتواتر 19 مرة، (أنّ) بتواتر15 مرة، (لام النافية) بتواتر 9 مرات، (سوف) بتواتر 7 مرات، (السين) بتواتر6 مرات، (لن) بتواتر6 مرات، (أن) المصدرية بتواتر5 مرات، (لم) بتواتر5 مرات، (قد) بتواتر 5 مرات، (أو) بتواتر 4 مرات، (لام النهي) مرتان، (إنّ) بتواتر مرة واحدة، (لقد) بتواتر مرة واحدة،(ياء النداء) بتواتر مرة واحدة.	298

والممعن بالنظر في الجدول يتبين له اختيار الخطاب لتكرار الحرف بتواتر قدره 298 مرة، لوقوف حروف المعاني على دلالات تتماشى مع الموقف الشعري العام، كمعاني الرفض والإباء، والتحدي، والتعهد، والوعيد، والانتماء، ثم التكرار التام بتواتر 80 مرة، لتأكيد المعنى عن طريق التكرار اللفظي الذي حقق نوعا من الاتساق والانسجام للخطاب، ثم تكرار الاشتقاق/ الجزئي بتواتر 15 مرة، فتكرار العبارة بتواتر 11 مرة، وتكرار الترادف بتواتر 11 مرة، أما التكرار الصرفي فقد ورد بتواتر 9 مرات، ليصل مجموع التكرار في الخطاب إلى 424 تكرارا، وهو عدد يعبر عن اعتماد الشاعر على هذه الوسيلة الإقناعية، في ما ذكره "محمد العبد" استنادا لرأي المستشرقة "باربرا جونستون كوتش" B.J.Koch التي رأت أن خطاب الحجاج العربي يعتمد في الإقناع على العرض اللغوي للدعاوى الحجاجية بتكريرها وصياغتها صياغة موازية، وإلباسها إيقاعات نغمية بنائية متكررة، وهذه الإستراتيجية البلاغية سمتها استراتيجية الإقناع بالتكرير [1].

4/ بنية التوازي: وهو مفهوم يتلخص بملاحظة الأبنية اللغوية التي تقوم بينها علاقات من التناسبات بناء على مبدأ التوزيع اللغوي في البنية التركيبية القائمة على التأليف الثنائي الذي يخلق نوعاً من التوازي الهندسي بين عناصر البنية التي تظهر أنساقاً من الازدواج والتقابل، وتنبني تقنية التوازي البنائي من تشكل كل مقطع من

[1] محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص233.

أنساق تكرارية متوازية [1]، ليتحقق نوع من التوافق بين موضوع الخطاب والسياق الخارجي، ولعل خطابنا (منشورات فدائية على جدران إسرائيل) يفصح عن بنى متوازية تتمظهر بأشكالها المختلفة الصوتية والمعجمية والتركيبية والدلالية.

– **التوازي الصوتي**: إن توفر التوازي الصوتي في قصيدة نزار يحقق نوعا من التناغم الموسيقى والإيقاعي لدى القارئ، وقد راعى "نزار" وجود صوت معين في بعض الفقرات، والذي له أثره في تحقيق الإيقاع، فمثلا في (م 12) الذي يقول فيه:

تَذَكَّرُوا..

تَذَكَّرُوا دَائِما..

بأَنَّ أَمْرِيكَا – عَلَى شَأْنِهَا –

لَيْسَتْ هِيَ اللهَ العَزِيزَ القَدِيرْ

وَأَنَّ أَمْرِيكَا – عَلَى بَأْسِهَا –

لَنْ تَمْنَعَ الطُّيُورَ مِنْ أَنْ تَطِيرْ

قَدْ تَقْتُلُ الكَبِيرَ، بَارُودَةٌ

صَغِيرَةٌ، فِي يَدِ طِفْلٍ صَغِيرْ

نجد في هذا المقطع أن صوت (الراء) قد تكرر بشكل ملحوظ، وفي أكثر من كلمة، وهي (تذكروا، تذكروا، أمريكا، القدير، أمريكا، الطيور، تطير، الكبير، بارودة، صغيرة، صغير). إحدى عشرة كلمة تكرر فيها صوت (الراء)، وهذا يدل على وجود تناغم صوتي في أرجاء المقطع أراد من خلاله "نزار" إقناع الصهاينة وحزبهم بحقيقة مفادها، أن القوة ليست دوما تمثل مفتاح النصر.

ومن الوسائل الفنية التي يلجأ إليها الشاعر في تحقيق التوازي الصوتي أنه يجعل الصوت المتوازي متوافقا مع موقعه في نهاية التفعيلة كأن يجعل كل مقطع ينتهي بنفس القافية، أو ينوع في نهايتها بحرفين أو أكثر، تبعا للحال الشعورية المصاحبة للمقام، ومن أمثلة البنية المتشكلة من التوازي القائم بين قافية بعض الأسطر المتتابعة ما تضمنه (م 17):

---

[1] ينظر: فايز عارف القرعان، تقنيات التوازي البلاغية في الممثلون لنزار قباني، (على الخط)، تمت الزيارة يوم 2012/09/02، متوفر على العنوان: http://www.odabasham.net/show.php?sid=36104

وَجَاءَ فِي كِتَابِهِ تَعَالَى :
بِأَنَّكُمْ مِنْ مِصْر تخْرُجُونْ..
وَفِي المَنَاشِيرِ التِي يَحْمِلُهَا رِجالُنَا
زِدْنَا عَلَى مَا قَالَهُ تَعَالَى، سَطْرَيْنِ آخَرَيْنْ:
وَمِنْ ذُرَى الجُولَانِ تَخْرُجُونْ..
وَضِفَّةِ الأُرْدُنِ تَخْرُجُونْ..
بِقُوَّةِ السِلَاحِ تَخْرُجُونْ..

يلاحظ أن السطر الثاني والأسطر الثلاثة الأخيرة قد ختمت بذات القافية، فالبنية تحاول رصد حالات التغيير التي يحققها دال الخروج من الأمكنة التي استبيحت بعد النكسة، وكأنما البنية بهذه النهاية تمارس نوعا من التأثير على المتلقي من خلال فعل الوعد المضمن بين القوافي المكررة، وبهذا يكون الصوت في خدمة الدلالة.

– **التوازي المعجمي**: يتم الكشف عن أشكال التوازي المعجمي من خلال تناول مظاهر التكرار، والتجانس، والتقابل، والترادف [1]، وذلك كالتالي:

سبق وأن تناولنا كلا من التكرار والترادف ودورهما في العملية الإقناعية، ولم يبق سوى التجنيس والتقابل، والتجنيس من الوسائل الفنية التي يلجأ إليها الشعراء في تشكيل خطابهم الشعري لما ينطوي عليه من التماثل الصوتي والتخالف الدلالي الذي يوقظ به ذهن السامع ويشد انتباهه.

وبالنظر إلى الخطاب نجد أن "نزارا" قد استخدم نوعا واحدا من الجناس، حيث ينقسم الجناس إلى قسمين، تام وناقص، أما التام فهو معدوم في الخطاب، وأما الناقص فكان نزْرا قليلا، ولم يرد إلا بين الألفاظ: سحر/ بحر في (م 3)، الحريق / الطريق في (م 4)، السراب/ الخراب في (م 25)، والنقص في التجنيس، هنا، مرده الاختلاف في الحرف.

أما التقابل فهو يؤدي إلى إنتاج الدلالة من ناحية، وإلى تقسيم الكلام إلى وحدات متناظرة يسهل فهمها وتنظيمها من ناحية أخرى.

---

[1]. نادر ظاهر، بنية التوازي في قصيدة (المسيح بعد الصلب) لبدر شاكر السياب، (على الخط)، تمت الزيارة يوم 2012/09/02، متوفر على العنوان:
http://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2010/09/23/210073.html

وبالعودة إلى الخطاب نجد التقابل واضحا بين المعاني الآتية: جديد/ العتيق في (م 4)، توقفت/ تدور، هزمتم/ لم تهزموا في (م 8)، انتظرونا / لا ينتظر في (م 10)، الكبير/ صغير في (م 12)، المد/ الجزر، الشروق/ الزوال، الهلال/ الصليب، الدموع/ الآمال في (م 18)، السفوح/ الهضاب في (م 22)، السؤال/ الجواب في (م 25)، البيضاء/ السوداء في (م 27)، وقد استعمل "نزار" هذه الآلة البلاغية لتوضيح المعاني وبسطها أمام المخاطب، وقد قيل: بضدها تعرف الأشياء.

– التوازي التركيبي أو النحوي: وهو تكرار لنظم الجمل، وتركيبها النحوي على كيفية واحدة، أي تكرار للطريقة التي تبنى بها الجملة وشبه الجملة مع اختلاف الوحدات المعجمية التي تتألف منها الجمل [1]، ورد التوازي التركيبي بأشكال متعددة في الخطاب، وهو تكرار الجمل النحوية أو بعض مكوناتها، ففي (م 16):

لِلْحُزْنِ أَوْلَادٌ سَيَكْبُرُونْ..

لِلْوَجَعِ الطَوِيلِ، أَوْلَادٌ سَيَكْبُرُونْ..

لِلْأَرْضِ.. لِلْحَارَاتِ.. لِلأَبْوَابِ.. أَوْلَادٌ

سَيَكْبُرُونْ..

نلاحظ أن الأسطر الثلاثة ابتدأت بجملة اسمية (شبه جملة متعلقة بمحذوف خبر مقدم جوازا تقديره موجود، ومبتدأ مؤخر)، والمبتدأ في الأسطر الثلاثة واحد (أولاد)، أما الخبر فقد اختلف، ففي السطر الأول (للحزن)، وفي الثاني (للوجع) وفي الثالث (للأرض..)، ثم ليشفع الأسطر الثلاثة ببنية تكرارية تعتمد على تكرار الدال (سيكبرون) وبصورة ترتيبية تقود إلى إدراك أن المقطع يسعى إلى تعميق دلالة التحدي والإصرار على المقاومة، وفي ذلك إقناع للمخاطب (الصهاينة) بأن المقاومة لم تفتر.

و في قوله (م 18):

أَطْلَعُ كَالعُشْبِ مِنَ الخَرَابْ

---

[1] أنس بن محمود فجال، التكرار التركيبي أو التوازي، (على الخط)، تمت الزيارة يوم 2012/09/02، متوفر على العنوان:
http://www.iwan7.com/t91.htm

أُضِيءُ كَالبَرْقِ عَلَى وُجُوهِكُمْ
أَهْطُلُ كَالسَحَابْ

نجد أن الأسطر الثلاثة قد ابتدأت بفعل مضارع لازم بزنة (أفعل)، مسندا إلى ضمير المتكلم (أنا)، وحتى تحقق بنية التوازي دلالة الانبثاق، اعتمدت تقنية التوازي التشبيهية من خلال خلق بنى تشبيهية متوازية (كالعشب، كالبرق، كالسحاب)، لتأكيد تلك الدلالة.

– **التوازي الدلالي**: إن بنى الخطاب متوازية دلالياً فيما بينها، ذلك أن البنى (الجمل، والمقاطع) متحدة في الدلالة الخاصة، ثم في تفاعلها مع البنى الأخرى تحقق نوعا من الاتساق والانسجام الذي يفضي إلى توازٍ دلالي، ولو تأملنا الخطاب لوجدنا أن كل بنية خاصة – رغم اختلافها في أصواتها ومفرداتها – تحيلنا إلى معاني البنية التي تليها، إذ أن الدلالة العامة في القصيدة تتكشف شيئاً فشيئاً، كلما تقدمنا في قراءة الخطاب حتى نصل إلى ذروة وظيفة القراءة المولدة للدلالة، فـ "نزار" في (م 1) أكد على البقاء في أرضه، ثم ليتخلق هذا الموقف تدريجيا عندما يبين علة عدم قدرة اليهود على طمس هوية شعبه، في المقطع الثالث، ثم ليحمل الخطاب كل دلالات الوعيد والتحدي التي اشتركت فيها معظم بنيات الخطاب، وفي كل مرة يرجع إلى النسق الوصفي في المقاطع (21,16,10) ليقف بالقارئ على التراجيديا الفلسطينية في أبشع صورها، وذلك لحمل العربي على الانتقام من عدوه، وبث الروع في قلوب الصهاينة الذين يعلمون أن وحشيتهم لا تقود إلا إلى مقاومة لا طاقة لهم بها.

فالتوازي الدلالي يجب أن يلف الخطاب بأكمله، فإذا انزاحت إحدى بناه عن ذلك سينفطر نظامه، لذا كان هذا النوع من التوازي هو النوع الرئيس، الذي تأتي الأنواع الأخرى لخدمته.

وبتوظيف الشاعر لكل وسائل الإقناع الداخلية والخارجية في خطابه المنجز نجده يمارس تأثيرا فكريا وسلوكيا على المتلقي، ويمكن في هذا الشكل تبيين المكونات التي يبنى عليها الخطاب الحجاجي النزاري في هذه المدونة:

– المقدمات: الجناية والإقرار باستيلاء الصهاينة على أرض ليست بأرضهم.
– الدعوى: عقاب الصهاينة وخروجهم من الأراضي العربية (نطمس الحروف من الشوارع العبرية الأسماء).

- التبرير: مضمن في السياق الفعلي للقول.
- الدعامة: كل ما احتواه الخطاب من أفعال كلامية دالة على الوعد والالتزام والتعهد.

وقد لاحظ "محمد العبد" بعد استقرائه لمجموعة من النصوص العربية أن هذا الشكل الحجاجي هو الأشيع فيها، لاتسامه بالمنطقية التي تعد أس الحركة الحجاجية المتنامية مترابطة العناصر، ترتبط الدعوى منطقيا بالمقدمات، ويحرص الكاتب لجعل خطابه مقنعا ومستميلا على التبرير والتعليل، ويستخدم دعامات لا يخفى ثراؤها [1].

[1] محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ص205.

خاتمة

وجبت الإشارة منذ البداية إلى أن هذا البحث أنجز من أجل بيان جدوى المقاربة التداولية على الخطاب الشعري الحداثي، فوقع الخيار على واحدة من القصائد التي حفها سياق النكسة، وهي قصيدة: منشورات فدائية على جدران إسرائيل، لدواعي أفصح عنها فيما تقدم.

في المدخل وقفنا على الروافد الفلسفية والنقدية واللسانية التي متح منها الدرس التداولي وبيان تأثير تلك المرجعيات والحقول المتقاطعة على التداولية في بلورة مفهومها، وهو الأمر الذي زاد من حدة إشكالية المصطلح، كما وقفنا على تعدد أشكالها وتصنيفاتها، مما يدل على عدم استقرار علمائها على تحديدات يسلم باستيفائها لهذا المجال المتشعب، ومما تم الوقوف عليه كذلك تعدد القضايا التي تناولتها كالأفعال الكلامية ووظائف اللغة والتفاعل والسياق والحجاج.. كما رأينا في مباحث علماء اللغة العرب بعض إرهاصات الدرس التداولي.

وحتى لا يبقى بحثنا رهين النظرية والتجريد عمدنا في **الفصل الأول** إلى تطبيق آليات التداول على الخطاب الشعري السياسي المرتبط بحياة الأفراد والجماعات، رغم ما بينه وبين الخطاب العادي الذي اعتمدته النظريات التداولية من تباين، وفيه رأينا الدور البارز للسياق في كشف الدلالة، ودور الإشاريات الشخصية (المبهمات)، والزمانية والمكانية، عن طريق الإحالة في توضيح القصد، ورأينا ما لآليتي الافتراض المسبق والاستلزام الحواري من إمكانية في التعبير عن المسكوت عنه من الخطاب.

وفي **الفصل الثاني** عرفنا وظائف اللغة في الخطاب، من خلال رصدنا للأفعال الكلامية والوقوف على وسائل الإقناع المتنوعة باعتبارها ضربا من الفعل لما ينتج عنها من تغيير في المواقف والسلوك، كل ذلك في رحابة السياق.

لقد أفضت بنا الدراسة التي أردنا من خلالها الكشف عن إمكانية التداولية في اقتحام عالم الشعر إلى:

1) أن البنيوية التي رفع شعارها عدد من الباحثين قد خرّ أساسها الذي بنيت عليه، إذ لم تعد ثنائية اللغة والكلام تفي بالغرض، لتعطى الأولوية للكلام بعدما كان ثانويا عند "سوسير"، الذي يرى أن اللغة تدرس لذاتها ولأجل ذاتها.
2) لاحظنا وجود بعض الإشارات ذات البعد التداولي في مباحث التراث اللغوي العربي لا سيما في مباحث علماء الأصول والنحو والبلاغة والنقد التي لا تقل أهمية عما توصل إلية الباحثون الغربيون في هذا المجال.

3) لا جرم أن للسياق دورا حاسما في الوقوف على دلالات المعاني غير الحرفية، وهو ما تم الوقوف عليه فعلا في دراسة المعنى الحرفي والمعنى التواصلي، فامتلاك معرفة عن السياق التلفظي للخطاب يعد من بين العناصر التي يعتمدها القارئ في إستراتيجيته لمجابهة الخطاب، سياق يمكن حصره في الفترة التي نشأ فيها الشاعر، والمناسبة التي قيل فيها الخطاب الشعري، والنوع الذي ينتمي إليه الخطاب، يضاف إلى ذلك معرفة جيدة لقواعد اللغة، وثراء معجمي يسمح له بفهم يسير لألفاظه، دون أن ننسى القيم التي تصاحب هذه الألفاظ، والتي تتجلى في الدلالة الإيحائية لها.

4) إذا كان التفاعل المباشر بين مستخدمي اللغة هو المحدد الحاسم في الوقوف على نجاح التواصل فإن فعل القراءة هو أساس تفسير وتأويل لغة الخطاب الأدبي بما يحويه من الإحالات التي على غرار المبهمات الشخصية ومبهمات الزمان والمكان، والأسماء الإشارية، فالقارئ هو الذي يضفي دينامية وحركية على الخطاب الذي يقرأه.

5) مفهوم الفعل الكلامي تجاوز في الخطاب الشعري النزاري مفهوم القول، ذلك أن الفعل الكلامي لا يتحقق بمجرد التلفظ بالقول، بل تعداه إلى ما يعرف بالإنجاز الذي كان تقريريا وسلوكيا، فالتقرير يبرز من خلال قرائن الإثبات والتقرير التي تم الوقوف عليها أثناء عملية التصنيف، وفي أغلبه كان سلوكيا مساهما في عملية التغيير، لتكون اللغة – بهذا المنظور التداولي– نوعا من الفعل، فالخطاب الذي وصل إلينا، نجح "نزار" في إيصاله إلى من يريد من معاصريه والأجيال اللاحقة، ويعود سبب ذلك إلى توفره على شروط النجاح التي يقتضيها الفعل الكلامي، وهو الأمر الذي جعل من أفعاله الكلامية (أي شعره) أفعالا ناجحة ومتحققة في الواقع، وما يمكن قوله أن الشعر ذاته فعل كلامي يسعى الشاعر من ورائه إلى التأثير، وقد بلغ هذا الفعل أوجه زمن النكسة، ليكون الشعر مساهما في تغيير الأفكار والمفاهيم، ويأخذ التاريخ وجهة جديدة أرادها له الشاعر، ومن ثم تغيير العالم بالكلمات بعبارة "أوستين".

6) رغم طبيعة الشعر الراقية، إلا أن "نزارا" استطاع كسر هذه الطبقية، بأن وظف لغة شعبويّة أشبه ما تكون بلغة الخطاب اليومي، بغض النظر عما تزدحم به من صنوف المجاز المختلفة التي قد تقود إلى فهم أعمق للتجربة.

7) أن نص المدونة خطاب مكان، فالأمكنة التي تم رصدها تمثل ركنًا عميدا في الخطاب لارتباطها الوثيق بالموقف الشعري، فـ"نزار" عمد إلى شحن القصيدة بدلالات وإيحاءات مكثفة من خلال توظيف الرموز المكانية.

8) لاحظنا أن زمن الخطاب مستقبلي بحت رغم ما تم رصده من ضمائم المضي والحال، وذلك يرجع إلى طبيعة الموضوع الوعيدية. ليتحول من زمن الحال المفعم بكلّ مظاهر التراجيديا الفلسطينية والعربية إلى الزمن المستقبلي المفعم بالتحدّي والتهديد، والزمن الذي يمثل بؤرة التحول في الخطاب هو (حزيران) زمن النكسة.

9) استخدم "نزار" أسلوب الحذف ليترك للقارئ فرصة تمثل المعاني المحذوفة باستعمال إستراتيجية الافتراض المسبق، خاصة المعاني التي استمدها من القاموس الديني.

10) لاحظنا أن "نزارا" استهزأ كثيرا ببعض قواعد المحادثة، وذلك بخرقه لـ (مبدأ التعاون) بتوظيفه للمجاز، لتتدخل آلية الاستلزام الحواري لترأب هذا الصدع.

11) أن المرسل لايستعمل اللغة إلا لهدف معين، وهذا الهدف لا يتحقق إلا بآليات محددة وأدوات لغوية معينة، والإقناع في هذا الخطاب هو أهم الأهداف التي يتوخى الشاعر تحقيقها، ولذلك رصدنا آلياته وأدواته اللغوية ليأخذ خطاب المدونة الصبغة الحجاجية التي ارتقت به إلى مرتبة الفعل اللغوي، عندما تقود وسائله إلى الإذعان والتسليم بما يقدمه المنشئ.

12) تماهي الأفعال الكلامية وبخاصة في ظل طابع الاحتمالية المطردة التي تتسم بها الخطابات الشعرية عموما، والخطاب الشعري الحداثي تحديدا، مما يؤدي إلى استعصاء القيام بعملية تصنيفية دقيقة وصارمة في المدونة الشعرية، ولعل ذلك يرجع إلى انفتاح البنية على ضروب واسعة من التوجيه، وأنواع من التأويل، وما يضاف إلى هذا كله ما يختفي من المعاني وراء سحر البيان وشتى صنوف المجاز، فليس بالمجدي – دائما – الاعتماد على ظاهر المنطوقات للوقوف على دلالاتها القطعية، هنا، في هذه الحال يتدخل السياق بكل ضروبه في توجيه الدلالة.

13) الدراسة التداولية تثير كثيرا من الريبة، وبدرجة أكبر في التعامل مع الخطابات المجردة من سياقاتها الشفاهية، على غرار الخطاب الأدبي المكتوب، فكيف لها أن تتعامل مع أغفال النصوص المدونة التي لم تتحدد مرجعيتها، ولا السياق الذي يحفها.

ننبه في الأخير إلى إمكانية استثمار آليات التحليل التداولي في أنواع أخرى من الخطاب، وحتما ستضفي إلى نتائج طيبة إذا ما استطعنا إخضاع القواعد المنهجية الماتحة من المنظومة المعرفية الغربية إلى قوالبنا وثوابتنا الإسلامية والعربية، لا سيما التعامل مع الخطاب الديني الذي له قدسيته وحرمته.

لم يبق لنا بعد نهاية البحث إلا أن نحمد الله تعالى أن وفقنا في إتمامه، والله نسأل التوفيق والسداد في جميع أعمالنا الدينية والدنيوية والله الموفق.

الملاحق

قصيدة "منشورات فدائية على جدران إسرائيل" من الديوان (722– 731)

1

لَنْ تَجْعَلُوا مِنْ شَعْبِنَا
شَعْبَ هُنُودِ حُمْرْ
فَنَحْنُ بَاقُونَ هُنَا..
فِي هَذِهِ الأَرْضِ التِي تَلْبَسُ فِي مِعْصَمِهَا
إِسْوَارَةً مِنْ زَهْرْ..
فَهَذِهِ بِلَادُنَا
فِيهَا وُجِدْنَا مُنْذُ فَجْرِ العُمُرْ
فيهَا لَعِبْنَا.. وَعَشِقْنَا..
وَكَتَبْنَا الشِّعْرْ..
مُشَرِّشُونَ نَحْنُ في خُلْجَانِهَا
مِثْلَ حَشِيشِ البَحْرْ
مُشَرِّشُونَ نَحْنُ في تَارِيخِهَا
فِي خُبْزِهَا المَرْقُوقِ..في زَيْتُونِهَا
فِي قَمْحِهَا المُصْفَرِّ..
مُشَرِّشُونَ نَحْنُ فِي وُجْدَانِهَا
بَاقُونَ فِي آذَارِهَا..
بَاقُونَ فِي نِيسَانِهَا..
بَاقُونَ كَالحُفَرِ عَلَى صُلْبَانِهَا
بَاقُونَ في نَبِيِّهَا الكَرِيمِ، فِي قُرآنِهَا
وَفِي الوَصَايَا العَشْرْ..

2

لَا تَسْكَرُوا بِالنَصْرْ
إِذَا قَتَلْتُمْ خَالِداً
فَسَوْفَ يَأتِي عَمْرُو
وَإِنْ سَحَقْتُمْ وَرْدَةً
فَسَوْفَ يَبْقَى العِطْرْ..

3

لأَنَّ مُوسَى قُطِعَتْ يَدَاهْ
وَلَمْ يَعُدْ يُتْقِنُ فَنَّ السِّحْرْ
لَأَنَّ مُوسَى كُسِرَتْ عَصَاهْ
وَلَمْ يَعُدْ بِوسْعِهِ
شَقَّ مِيَاهَ البَحْرْ
لِأَنَّكُمْ لَسْتُم كَأَمْرِيكَا
وَلَسْنَا كَالهُنُودِ الحُمْرْ
فَسَوْفَ تَهْلَكُونَ عَنْ آخِرِكُمْ
فَوْقَ صَحَارِى مِصْرْ..

4

المَسْجِدُ الأَقْصَى، شَهِيدٌ جَدِيدْ
نُضِيفُهُ إِلَى الحِسَابِ العَتِيقْ
وَلَيْسَتِ النَّارُ، وَلَيْسَ الحَرِيقْ
سِوَى قَنَادِيلَ تُضِيءُ الطَرِيقْ

5

مِنْ قَصَبِ الغَابَاتْ
نَخْرُجُ كَالجِنِّ لَكُمْ
مِنْ قَصَبِ الغَابَاتْ
مِنْ رِزَمِ البَرِيدِ، مِنْ مَقَاعِدِ البَاصَاتْ
مِنْ عُلَبِ الدُخَانِ، مِنْ صَفَائِحِ البِنْزِينِ،
مِنْ خَشَبِ الصُلْبَانِ
مِنَ الطَبَاشِيرِ..مِنَ الأَلْوَاحِ.. مِنْ ضَفَائِرِ البَنَاتْ
مِنْ خَشَبِ الصُلْبَانِ.. مِنْ أَوْعِيَةِ البَخُورِ..
مِنْ أَغْطِيَةِ الصَلَاةْ..
مِنْ وَرَقِ المُصْحَفِ،نَأْتِيكُمْ
مِنَ السُطُورِ وَالآيَاتْ

لَنْ تُفْلِتُوا مِنْ يَدِنَا..
فَنَحْنُ مَبْثُوثُونَ فِي الرِّيحِ.. وَفِي المَاءِ.. وَفِي النَبَاتْ
وَنَحْنُ مَعْجُونُونَ بالأَلْوَانِ وَالأَصْوَاتْ
لَنْ تُفْلِتُوا..
لَنْ تُفْلِتُوا..
فَكُلُّ بَيْتٍ فِيهِ بُنْدُقِيَّةٍ
مِنْ ضِفَّةِ النِّيلِ إِلى الفُرَاتْ..

6

لَنْ تَسْتَرِيحُوا مَعَنَا..
كُلُّ قَتِيلٍ عِنْدَنَا
يَمُوتُ آلَافاً مِنَ المَرَّاتْ..

7

انْتَبِهُوا..
انْتَبِهُوا..
أَعْمِدَةُ النُورِ لَهَا أَظَافِر
وَلِلشَّبَابِيكِ عُيُون عَشْرْ
وَالمَوْتُ فِي انْتِظَارِكُمْ
فِي كُلِّ وَجْهٍ عَابِرٍ.. أَوْ لَفْتَةٍ.. أَوْ خَصْرْ..
المَوْتُ مَخْبُوءٌ لَكُمْ
فِي مِشْطِ كُلِّ امْرَأَةٍ..
وَخُصْلَةٍ مِنْ شَعْرْ..

8

يَا آلَ إِسْرَائِيلَ، لَا يَأْخُذْكُمْ الغُرُورْ
عَقَارِبُ السَّاعَةِ إِنْ تَوَقَّفَتْ
لَا بُدَّ أَنْ تَدُورْ..
إِنَّ اغْتِصَابَ الأَرْضِ لَا يُخِيفُنَا
فَالرِّيشُ قَدْ يَسْقُطُ مِنْ أَجْنحَةِ النُسُورْ
وَالعَطَشُ الطَوِيلُ لَا يُخِيفُنَا
فَالمَاءُ يَبْقَى دَائِماً فِي بَاطِنِ الصُخُورْ
هَزمْتُمْ الجُيُوشَ.. إِلَّا أَنَّكُمْ لَمْ تَهْزِمُوا الشُعُورْ
قَطَعْتُمْ الأَشْجَارَ مِنْ رُؤُوسِهَا
وَظَلَّتِ الجُذُورْ..

9

نَنْصَحُكُمْ أَنْ تَقْرَؤُوا
مَا جَاءَ فِي الزَبُورْ..
نَنْصَحُكُمْ أَنْ تَحْمِلُوا تَوْرَاتَكُمْ
وَتَتْبَعُوا نَبِيَّكُمْ لِلطُورْ
فَمَا لَكُمْ خُبْز هُنَا.. وَلَا لَكُمْ حُضُورْ
مِنْ بَابِ كُلِّ جَامِعِ
مِنْ خَلْفِ كُلِّ مَنْبَرٍ مَكْسُورْ
سَيَخْرُجُ الحَجَّاجُ ذَاتَ لَيلَةٍ..
وَيَخْرُجُ المَنْصُورْ..

10

انْتَظِرُونَا دَائِما..
فِي كُلِّ مَا لَا يُنْتَظَرْ
فَنَحْنُ فِي كُلِّ المَطَارَاتِ..
وَفِي كُلِّ بِطَاقَاتِ السَفَرْ..
نَطْلَعُ فِي رُومَا.. وَفِي زُورِيخَ..
مِنْ تَحْتِ الحَجَرْ
نَطْلَعُ مِنْ خَلْفِ التَمَاثِيلِ..
وَأَحْوَاضِ الزَهَرْ..
رِجَالُنَا يَأْتُونَ دُونَ مَوْعِدٍ
فِي غَضَبِ الرَّعْدِ.. وَزَخَّاتِ المَطَرْ
يَأْتُونَ فِي عَبَاءَةِ الرَسُولِ..
أَوْ سَيْفِ عُمَرْ..

نِسَاؤُنَا..
يَرْسُمْنَ أَحْزَانَ فِلِسْطِينَ عَلَى دَمْعِ الشَجَرْ
يُقْبِرْنَ أَطْفَالَ فِلِسْطِينَ بِوِجْدَان البَشَرْ
نِسَاؤُنَا..
يَحْمِلْنَ أَحْجَارَ فِلِسْطِينَ إِلَى أَرْضِ القَمَرْ..

11

لَقَدْ سَرَقْتُمْ وَطَناً..
فَصَفَّقَ العَالَمُ لِلمُغَامَرَهْ
صَادَرْتُمْ الأُلُوفَ مِنْ بُيُوتِنَا
وَبِعْتُمْ الأُلُوفَ مِنْ أَطْفَالِنَا
فَصَفَّقَ العَالَمُ للسَّمَاسِرَهْ
سَرَقْتُمْ سَرَقْتُمْ الزَيْتَ مِنَ الكَنَائِسِ
سَرَقْتُمْ المَسيحَ مِنْ مَنْزِلِهِ فِي النَاصِرَهْ
فَصَفَّقَ العَالَمُ للمُغَامَرَهْ
وَتَنْصِبُونَ مَأْتَماً
إِذَا خَطَفْنَا طَائِرَهْ..

12

تَذَكَّرُوا..
تَذَكَّرُوا دَائِما..
بِأَنَّ أَمْرِيكَا – عَلَى شَأْنِهَا –
لَيْسَتْ هِي اللهَ العَزِيزَ القَدِيرْ
وَأَنَّ أَمْرِيكَا – عَلَى بَأْسِهَا –
لَنْ تَمْنَعَ الطُيُورَ مِنْ أَنْ تَطِيرْ
قَدْ تَقْتُلُ الكَبِيرَ، بَارُودَةٌ
صَغِيرَةٌ، فِي يَدِ طِفْلٍ صَغِيرْ

13

مَا بَيْنَنَا.. وَبَيْنَكُمْ.. لَا يَنْتَهي بعَامْ
لَا يَنْتَهي بخَمْسَةٍ، أَوْ عَشْرَةٍ، وَلَا بِأَلْفِ عَامْ
طَوِيلَةٌ مَعَارِكُ التَحرِيرِ كَالصِّيَامْ
وَنَحْنُ بَاقُونَ عَلَى صُدُورِكُمْ كَالنَّقْشِ فِي الرُّخَامْ
بَاقُونَ فِي صَوْتِ المَزَارِيبِ.. وَفِي أَجْنِحَةِ الحَمَامْ
بَاقُونَ فِي ذَاكِرَةِ الشَمْسِ، وَفِي دَفْتَرِ الأَيَّامْ
بَاقُونَ فِي شِعْرِ امْرِيءِ القَيْسِ، وَفِي شِعْرِ أَبِي تَمَّامْ
بَاقُونَ فِي شِفَاهِ مَنْ نُحِبُّهُمْ
بَاقُونَ فِي مَخَارِجِ الكَلَامْ..

14

مَوعِدُنَا حِينَ يَجِيءُ المَغِيبْ
مَوعِدُنَا القَادِمُ فِي تَلْ أَبِيبْ
" نَصْرٌ مِنَ اللهِ، وَ فَتْحٌ قَرِيبْ "

15

لَيْسَ حُزَيْرَانُ سِوَى يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامْ
وَأَجمَلُ الوُرُودِ، مَا يُنْبِتُ فِي حَدِيقَةِ الأَحْزَانْ..

16

لِلْحُزْنِ أَوْلَادٌ سَيَكْبُرُونْ..
لِلْوَجَعِ الطَوِيلِ، أَوْلَادٌ سَيَكْبُرُونْ..
لِلْأَرْضِ.. لِلْحَارَاتِ.. لِلأَبْوَابِ.. أَوْلَادٌ سَيَكْبُرُونْ..
وَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ.. تَجَمَّعُوا مُنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَهْ
فِي غُرَفِ التَحْقِيقِ.. فِي مَرَاكِزِ البُولِيسِ.. فِي السُجُونْ
تَجَمَّعُوا كَالدَمْعِ فِي العُيُونْ..
فِي أيِّ لَحْظَةٍ
مِنْ كُلِّ أَبْوَابِ فِلِسْطِينَ يَدْخُلُونْ..

17

وَجَاءَ فِي كِتَابِهِ تَعَالَى :
بِأَنَّكُمْ مِنْ مِصْر تخْرُجُونْ..

وَأَنَّكُمْ فِي تِيهِهَا سَوْفَ تَجُوعُونَ وَ تَعْطَشُونْ
وَأَنَّكُمْ سَتَعْبُدُونَ العِجْلَ دُونَ رَبِّكُمْ
وَأَنَّكُمْ بِنِعْمَةِ اللهِ عَلَيْكُمْ، سَوْفَ تَكْفُرُونْ
وَفِي المَنَاشِيرِ التِي يَحْمِلُهَا رِجالُنَا
زِدْنَا عَلَى مَا قَالَهُ تَعَالَى، سَطْرَيْنِ آخَرَيْنْ:
وَمِنْ ذُرَى الجُولَانِ تَخْرُجُونْ..
وَضِفَّةِ الأُرْدُنِ تَخْرُجُونْ..
بِقُوَّةِ السِلَاحِ تَخْرُجُونْ..

18

سَوْفَ يَمُوتُ الأَعْورُ الدَجَّالْ
سَوْفَ يَمُوتُ الأَعْورُ الدَجَّالْ
وَنَحْنُ بَاقُونَ هُنَا..
حَدَائِقاً.. وَعِطْرَ بُرْتُقَالْ
بَاقُونَ فِيمَا رَسَمَ اللهُ عَلَى دَفَاتِرِ الجِبَالْ
بَاقُونَ فِي مَعَاصِرِ الزَيْتِ.. وَفِي الأَنْوَالْ
في المَدِّ.. وَالجَزْرِ.. وَفِي الشُرُوقِ وَالزَوَالْ
بَاقُونَ فِي مَرَاكِبِ الصَيْدِ..
وَفِي الأَصْدَافِ وَالرِمَالْ..
بَاقُونَ فِي قَصَائِدِ الحُبِّ..
وَفِي قَصَائِدِ النِضَالْ..
بَاقُونَ فِي الشِّعْرِ.. وَفِي الأَزْجَالْ..
بَاقُونَ فِي عِطْرِ المَنَادِيلِ.. وَفِي (الدَبْكَةِ)
وَ (المَوَّالْ)
فِي القَصَصِ الشَعْبِيِّ.. فِي الأَمْثَالْ
بَاقُونَ فِي الكُوفِيَّةِ البَيْضَاءِ.. وَالعُقَالْ
بَاقُونَ فِي مُرُوءَةِ الخَيْلِ، وَفِي مُرُوءَةِ الخَيَّالْ
بَاقُونَ فِي المِهْبَاجِ.. وَالبُنِّ..
وَفِي تَحِيَّةِ الرِجَالِ لِلرِجَالْ..

بَاقُونَ فِي مَعَاطِفِ الجُنُودِ
فِي الجِرَاحِ، فِي السُعَالْ
بَاقُونَ فِي سَنَابِلِ القَمْحِ، وَفِي نَسَائِمِ الشِمَالْ
بَاقُونَ فِي الصَلِيبْ..
بَاقُونَ فِي الهِلَالْ..
فِي ثَوْرَةِ الطُلَّابِ، بَاقُونَ، وَفِي مَعَاوِلِ العُمَّالْ
بَاقُونَ فِي خَوَاتِمِ الخُطْبَةِ.. وَفِي أَسِرَّةِ الأَطْفَالْ
بَاقُونَ فِي الدُمُوعْ
بَاقُونَ فِي الآمَالْ..

19

تِسْعُونَ مَلْيُوناً مِنَ الأَعْرَابِ..
خَلْفَ الأُفُقِ غَاضِبُونْ
يَا وَيْلَكُمْ مِنْ ثَأْرِهِمْ
يَوْمَ مِنَ القُمْقُمِ يَطْلَعُونْ

20

لِأَنَّ هَارُونَ الرَشِيدَ مَاتَ مِنْ زَمَانْ
وَلَمْ يَعُدْ فِي القَصْرِ غِلْمَانٌ.. وَلَا خِصْيَانْ
لَأَنَّنَا نَحْنُ قَتَلْنَاهُ، وَأَطْعَمْنَاهُ لِلحِيتَانْ
لِأَنَّ هَارُونَ الرَشِيدَ لَمْ يَعُدْ إِنْسَانْ
لأَنَّهُ فِي تَخْتِهِ الوَثِيرِ..
لَا يَعْرِفُ مَا القُدْسُ.. وَمَا بيسَانْ
فَقَدْ قَطَعْنَا رَأْسَهُ أَمْسِ..
وَعَلَّقْنَاهُ فِي بِيسَانْ
لِأَنَّ هَارُونَ الرَشِيدَ أَرْنَبٌ جَبَانْ
فَقَدْ جَعَلْنَا قَصْرَهُ.. قِيَادَةَ الأَرْكَانْ..

21

ظَلَّ الفِلِسْطِينِيُّ أَعْوَاماً عَلَى الأَبْوَابْ
يَشْحَذُ خُبْزَ العَدْلِ مِنْ مَوَائِدِ الذِئَابْ

وَيَشْتَكِي عَذَابَهُ للوَاحِدِ التَوَّابْ
وَعِنْدَمَا..
أَخْرَجَ مِنْ إِسْطِبْلِهِ حِصَانَهُ
وَزَيَّتَ البَارُودَةَ المُلْقَاةَ فِي السِرْدَابْ
أَصْبَحَ فِي مَقْدُورِهِ
أَنْ يَبْدَأَ الحِسَابْ..

22

نَحْنُ الذِينَ نَرْسُمُ الخَرِيطَهْ
وَنَرْسُمُ السُفُوحَ وَالهِضَابْ
نَحْنُ الذِينَ نَبْدَأُ المُحَاكَمَهْ
وَنَفْرِضُ الثَوَابَ وَالعِقَابْ..

23

العَرَبُ الذِينَ كَانُوا عِنْدَكُمْ
مُصَدِّرِي أَحْلَامْ
تَحَوَّلُوا – بَعْدَ حُزَيْرَانَ – إِلَى حَقْلٍ مِنَ الأَلْغَامْ
وَانْتَقَلَتْ (هَانَوِي) مِنْ مَكَانِهَا..
وَانْتَقَلَتْ (فِيتَنَامْ)..

24

حَدَائِقُ التَارِيخِ دَوْماً تُزْهِرُ
فَفِي رُبَى السُودَانِ قَدْ مَاجَ الشَقِيقُ الأَحْمَرُ
وَفِي صَحَارِى لِيبِيَا
أَوْرَقَ غُصْنٌ أَخْضَرُ
وَالعَرَبُ الذِينَ قُلْتُمْ عَنْهُمْ تَحَجَّرُوا..
تَغَيَّرُوا..
تَغَيَّرُوا..

25

أَنَا الفِلِسْطِينِيُّ
بَعْدَ رِحْلَةِ الضَيَاعِ وَالسَرَابْ
أَطْلَعُ كَالعُشْبِ مِنَ الخَرَابْ
أُضِيءُ كَالبَرْقِ عَلَى وُجُوهِكُمْ
أَهْطُلُ كَالسَحَابْ
أَطْلَعُ كُلَّ لَيْلَةٍ..
مِنْ فُسْحَةِ الدَارِ.. وَمِنْ مَقَابِضِ الأَبْوَابْ
مِنْ وَرَقِ التُوتِ.. وَمِنْ شُجَيرَةِ اللَبْلَابْ..
مِنْ بِرْكَةِ المَاءِ
وَمِنْ ثَرْثَرَةِ المِزْرَابْ..
أَطْلَعُ مِنْ صَوْتِ أَبِي..
وَمِنْ وَجْهِ أُمِّي، الطَيِّبِ، الجَذَّابْ
أَطْلَعُ مِنْ كُلِّ العُيُونِ السُودِ.. وَالأَهْدَابْ
وَمِنْ شَبَابِيكِ الحَبِيبَاتِ..
وَمِنْ رَسَائِلِ الأَحْبَابْ
أَطْلَعُ مِنْ رَائِحَةِ التُرَابْ
أَفْتَحُ بَابَ مَنْزِلِي..
أَدْخُلُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَنْتَظِرَ الجَوَابْ
لأَنَّنِي أَنَا السُؤَالُ وَالجَوَابْ..

26

مُحَاصَرُونَ أَنْتُمْ بِالحِقْدِ وَالكَرَاهِيَهْ
فَمِنْ هُنَا.. جَيْشُ أَبِي عُبَيْدَةٍ
وَمِنْ هُنَا مُعَاوِيَهْ
سَلَامُكُمْ مُمَزَّقٌ
وَبَيْتُكُمْ مُطَوَّقٌ
كَبَيْتِ أَيِّ زَانِيَهْ

27

نَأْتِي..
بِكُوفِيَّاتِنَا البَيْضَاءِ السَوْدَاءْ
نَرْسُمُ فَوْقَ جِلْدِكُمْ

إِشَارَةَ الفِدَاءْ
مِنْ رَحِمِ الأَيَّامِ نَأْتِي كَانْبِثَاق المَاءْ
مِنْ خَيْمَةِ الذُلِّ التِي يَعْلُكُهَا الهَوَاءْ
مِنْ وَجَعِ الحُسَيْنِ نَأْتِي..
مِنْ أَسَى فَاطِمَةَ الزَهرَاءْ
مِنْ أُحَدٍ، نَأْتِي، وَمِنْ بَدْرٍ..
وَمِنْ أَحْزَانِ كَرْبَلَاءْ
نَأْتِي.. لِكَيْ نُصَحِّحَ التَارِيخَ وَالأَشْيَاءْ..
وَنَطْمِسَ الحُرُوفَ مِنَ الشَوَارِعِ العِبْرِيَّةِ الأَسْمَاءْ..

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم .

المصادر و المراجع العربية

- **الإبراهيمي خولة طالب**

1) مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر – الجزائر– ط2، 2006.

- **ابن الأثير (ضياء الدين)**

2) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدَمه وعلَق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة – مصر– ط2 ، (د.ت).

- **أحمد الهاشمي**

3) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا– بيروت– لبنان– ط1، 1999.

- **أحمد شوقي**

4) الديوان، تحقيق: إميل كبا، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت – لبنان– ط2، 1999.

- **أحمد مختار عمر**

5) علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة – مصر– ط 5، 1998.

- **إدريس مقبول**

6) الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن– ط1، 2006.

- **ابن الأنباري (أبي البركات)**

7) الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، تحقيق: جودة مبروك محمد مبروك، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر– ط 1، 2002.

- **بان الخفاجي**

8) مراعاة المخاطب في النحو العربي، دار الكتب العربية، بيروت – لبنان– ط 1، 2008.

- **البخاري (محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي)**

9) الجامع الصحيح (صحيح البخاري)، تحقيق: محمد بن زهير بن ناصر الناصر، طبعة طوق النجاة عن الطبعة الأميرية، (د.ت).

- **بلخير عمر**

10) تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة – الجزائر– ط1، 2003.

- **بوجادي خليفة**

11) اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، العلمة – الجزائر – ط1، 2009.

- **بوحوش رابح**

12) اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة – الجزائر– 2006.

- **بوقرة نعمان**

13) المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، دار آتون للتوزيع، (د.ط)، 1986، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان – الأردن– ط1، 2009.

14) مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، عالم الكتب الحديثة اربد – الأردن – ط1، 2008.

- **أبو تمام (حبيب بن أوس الطائي)**

15) الديوان، شرحه وعلق عليه: أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – ط1، 1998.

- **تمام حسان**

16) اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء – المغرب– (د.ط)، (د.ت).

- **جابر عصفور**

17) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان– ط3، 1992.

- **الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)**

18) البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان– (د.ط)، (د.ت).

- **الجرجاني عبد القاهر (أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد)**

19) دلائل الإعجاز، تعليق: أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة – السعودية– ط 3 ، 1992.

20) العوامل المائة، عني به أنور بن أبي بكر الشيخي الداغستاني، دار المناهج، بيروت – لبنان– ط1، 2009.

21) أسرار البلاغة، مراجعة وتعليق: عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان– ط1، 2006.

- **الجزيري مجدي**

22) المتشابهات الفلسفية لفلسفة الفعل عند فتجنشتين، دار آتون للتوزيع، (د.ط)، 1986.

- **جميل عبد المجيد**

23) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر – (د.ط)، 1998.

- **ابن جني (أبو الفتح عثمان)**

24) الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت – لبنان– ط 2، (د.ت).

- **جهاد فاضل**

25) قضايا الشعر الحديث، دار الشروق، بيروت – لبنان– ط1، 1984.

- **أبو حامد الغزالي (محمد بن محمد)**

26) المستصفى من علم الأصول، تحقيق: حمزة بن زهير حافظ، الجامعة الإسلامية، كلية الشريعة، المدينة المنورة – السعودية– (د.ط)، (د.ت).

- **الحباشة صابر**

27) التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق – سوريا– ط 1، 2008.

- **خطابي محمد**

28) لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي، بيروت– لبنان– ط1، 1991.

- **ابن خلدون عبد الرحمن**

29) مقدمة بن خلدون (تاريخ بن خلدون)، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان– (د.ط)، (د.ت).

- **حسن طبل**

30) أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي. القاهرة – مصر– ط 1، 1998.

- **ذهبية حمو الحاج**

31) لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، تيزوزو – الجزائر– طبعة 2005

- **رمضان الصباغ**

32) في نقد الشعر العربي المعاصر دراسة جمالية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية – مصر– ط1، 1988.

- **الريحاني محمد عبد الرحمن**

33) اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر– (د.ط)، (د.ت).

- **الزبيدي مرتضى**

34) تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد العليم الصحاوي، سلسلة التراث العربي تصدرها وزارة الإعلام – الكويت– 16– (د.ط)، 1984.

- **بن زرقة سعيد**

35) الحداثة في الشعر العربي، أدونيس نموذجًا، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان– ط1، 2004.

- **الزركشي بدر الدين (محمد بن عبد الله)**

36) البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث القاهرة – مصر– ط 3، 1984

- **الزمخشري (جاد الله محمود بن عمر)**

37) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان– (د.ط)، (د.ت).

- **السكاكي (أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي)**

38) مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان– ط2، 1987.

- **ابن السراج (أبى بكر محمد بن سهل)**

39) الأصول في النحو، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان– ط 1، 1985.

- **سيبويه (أبو بشر عمرو بن قنبر)**

40) الكتاب (كتاب سيبويه)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخافجي، القاهرة – مصر– ط 3، 1988.

- **السيرافي (أبو سعيد)**

41) شرح كتاب سيبويه، تحقيق: حجازي عبد التواب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية – مصر– (د.ط)، 1986.

- **الشهري (عبد الهادي بن ظافر)**

42) استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت – لبنان– ط1، مارس 2004.

- **شوقي ضيف**

43) تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، دار المعارف، ط 16، 2004.

- **أبو شهبة (محمد بن محمد)**

44) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، الدار السلفية لنشر العلم، القاهرة، ط4، 1407.

- **الصابوني محمد علي**

45) صفوة التفاسير، قصر الكتاب، البليدة – الجزائر– ط5، 1990.

- **صالح الأشتر**

46) مأساة فلسطين وأثرها في الشعر المعاصر، مطبعة جامعة دمشق – سوريا – 1961.

- **صحراوي إبراهيم**

47) تحليل الخطاب الأدبي دراسة تطبيقية، دار الآفاق – الجزائر– ط1، 1999.

- **صحراوي مسعود**

48) التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت – لبنان– ط1، يوليو 2005.

- **صلاح فضل**

49) بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية، المجلس الوطني لثقافة والفنون والآداب – الكويت– عدد 164، أوت 1992.

- **طه عبد الرحمن**

50) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب– ط1، 1998.

51) تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي– لبنان– ط 2، 1993.

- **أبو الطيب المتنبي (أحمد بن الحسين الجحفي الكندي)**

52) الديوان، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت – لبنان– (د.ط)، 2005.

- **بن عاشور محمد الطاهر**

53) تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس– 1984.

- **عباس حسن**

54) النحو الوافي، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة – مصر– (د.ط)، (د.ت).

- **عبد السلام محمد هارون**

55) الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر– ط 5، 2001.

- **عبد الله سرور**

56) أثر النكسة في الشعر العربي، الإسكندرية – مصر– (د.ط)، 1988.

- **عز الدين إسماعيل**

57) الشعر العربي المعاصر، (قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية)، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، بيروت – لبنان– ط3، 1981.

- **ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمذاني المصري)**

58) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة – مصر– ط 1، 2004.

- **الغذامي عبد الله**

59) الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية،، دار سعاد الصباح - الكويت - ط3، 1993.

- **ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء الرازي اللغوي)**

60) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، مكتبة المعارف، بيروت – لبنان– ط1، 1993.

61) معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – لبنان– (د.ط)، 1979.

- **فخر صالح سليمان قدارة**

62) مسائل خلافية بين الخليل وسيبويه، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد– الأردن– (د.ط)، 1990.

- **الفراهيدي (الخليل بن أحمد)**

63) كتاب الجمل في النحو، تحقيق: فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان– ط1، 1985.

- **الفيروز أبداي (مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي)**

64) القاموس المحيط، دار العلم للجميع، بيروت — لبنان– (د.ط)، (د.ت).

- **أبو القاسم الشابي**

65) ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، قدم له وشرحه: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان– ط2، 1994.

- **القاضي عبد الجبار بن أحمد**

66) شرح الأصول الخمسة، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهيبة، القاهرة– مصر– (د.ط)، 1988.

- **القرطاجني حازم**

67) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، (د ط)، 1966.

- **القزويني الخطيب (جلال الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن)**

68) الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: عبد الحميد هنداوي،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر– ط 3، 2007.

69) التلخيص في علوم البلاغة، ضبط وشرح: عبد الرحمان البرقوقي، دار الفكر العربي، بيروت – لبنان– ط1، 1904.

- **ابن القيم الجوزية (أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب)**

70) إعلام الموقعين عن رب العالمين، تعليق وتخريج الأحاديث: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، سلسلة مكتبة ابن القيم – 6– دار ابن الجوزي، الدمام – السعودية– ط1، 1423هـ.

71) بدائع الفوائد، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار علم الفوائد، مكة المكرمة– السعودية– (د.ط)، (د.ت).

- **ابن كثير (أبو الفداء الحافظ)**

72) البداية والنهاية، تحقيق: جودة محمد جودة، محمد حسني شعراوي، دار ابن الهيثم، القاهرة – مصر– ط1، 2006.

73) قصص الأنبياء من القرآن والأثر، تحقيق: صدقي جميل القطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان– ط1، 2003.

- **لاشين عبد الفتاح**

74) التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، دار المريخ للنشر والتوزيع، الرياض، – السعودية – (د ط)، (د ت).

- **المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد)**

75) كتاب المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة – مصر– (د.ط)، 1994.

- **المتوكل أحمد**

76) المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والامتداد، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط– المغرب– ط1، 2006.

77) الوظائف التداولية في اللغة العربية، الشركة الجديدة دار الثقافة، الدار البيضاء – المغرب– ط1، 1985.

78) الوظيفية بين الكلية والنمطية، دار الأمان، الرباط – المغرب– ط1، 2003.

- **محمد بركات حمدي أبو علي**

79) البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق، سلسلة الأدب والبلاغة والبيان القرآني، عدد 6، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان– الأردن– ط1، 2003.

- **محمد العبد**

80) النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة – مصر– ط 1، 2005.

- **محمد عبده**

81) تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار، تأليف السيد محمد رشيد رضا، دار المنار – مصر– ط2، 1427هـ.

- **محمد علي كندي**

82) الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت – لبنان– ط1، 2003.

- **محمد غنيمي هلال**

83) النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة، بيروت – لبنان– (د ط)، 1973.

- **محمد محمد يونس علي**

84) مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد – ليبيا– ط1، 2004.

85) المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، ط2، 2007.

- **محمد مفتاح**

86) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب– ط3، 1992.

- **محمد مهران رشوان**

87) مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر– ط2، 1984.

- **محمود أحمد نحلة**

88) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية – مصر– (د.ط)، 2002.

- **محمود عكاشة**

89) لغة الخطاب السياسي، دارسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، دار النشر للجامعات، القاهرة– مصر– ط1، 2005.

- **محمود فهمي زيدان**

90) مناهج البحث الفلسفي جامعة بيروت العربية، بيروت – لبنان– (د.ط)، 1974.

91) مناهج البحث الفلسفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية – مصر– (د.ط)، 1977.

92) في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان– (د.ط)، 1985.

- **المرادي (الحسين بن قاسم)**

93) الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قبواة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان– ط1، 1992.

- **امرؤ القيس**

94) الديوان، ضبطه وصححه: مصطفى عبد الشافي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – ط5، 2004.

- **مرتاض عبد الملك**

95) في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب –الكويت– عدد 240، ديسمبر 1998.

96) نظرية النص الأدبي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع – الجزائر – (د.ط)، 2007.

- **المسدي عبد السلام**

97) الأسلوبية والأسلوب نحو بديل ألسني في النقد الأدبي، الدار العربية للكتاب – تونس– (د.ط)، 1977.

98) التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، القاهرة – مصر– ط 2، 1986.

- **مصطفى عبد الغني**

99) الاتجاه القومي في الرواية، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت– (د.ط)، 1994.

- **ابن مضاء القرطبي (أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن اللخمي)**

100) الرد على النحاة، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، القاهرة – مصر– ط 1، 1979.

- **ابن منظور (محمد بن مكرم)**

101) لسان العرب، دار صادر، بيروت – لبنان– ط 6، 1997.

- **نزار قباني**

102) الأعمال الشعرية والسياسية، المجموعة الكاملة، منشورات نزار قباني، بيروت – باريس، ط17، 2007.

103) قصتي مع الشعر، مطابع دار الكتب، منشورات نزار قباني، بيروت – لبنان– ط 1، 1973.

- **نواري سعودي أبو زيد**

104) جدلية الحركة والسكون نحو مقاربة أسلوبية لدلائلية البنى في الخطاب الشعري عند نزار قباني (الغاضبون نموذجًا)، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة – الجزائر– ط1، 2009.

105) في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة – الجزائر – ط1، 2009.

- **هايل محمد الطالب**

106) قراءة النص الشعري لغة وتشكيلا– نزار قباني نموذجًا تطبيقيًا، دار الينابيع، دمشق – سوريا– ط2، 2008.

- **ابن هشام الأنصاري (جمال الدين)**

107) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، مراجعة: سعيد الأفغاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان– ط 1، .2000.

- **أبو هلال العسكري**

108) الفروق في اللغة، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الأفاق الجديدة، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت – لبنان- ط7، 1991.

a. المصادر و المراجع المترجمة

- **أمبرتو إيكو**

109) السيميائية وفلسفة اللغة، ترجمة: أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت – لبنان- ط1، 2005.

- **إميل برييه**

110) اتجاهات الفلسفة المعاصرة، ترجمة: محمود قاسم، مراجعة:محمد محمد القصاص، منشورات دار الكشاف للنشر والتوزيع، الألف كتاب، – 10- القاهرة – مصر- (د.ط)، 1997.

- **آن روبل و جاك موشلار**

111) التداولية اليوم علم جديد في التواصل،ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة، بيروت – لبنان- ط1، 2003.

- **برجشتراسر**

112) التطور النحوي للغة العربية، محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية عام 1929، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر- ط 2، 1994

- **تشارلز موريس**

113) رواد الفلسفة الأمريكية ترجمة: إبراهيم مصطفى إبراهيم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية – مصر- (د.ط)، 1996.

- **تون . فان . دايك**

114) علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة: سعيد حسن بحيري، القاهرة –مصر- ط1، 2001.

115) النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء –المغرب- (د.ط)، 2000.

- **جون لانكشو أوستين**

116) نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء- المغرب- ط2، 2008.

- **جون لاينز**

117) اللغة والمعنى والسياق، ترجمة: عباس صادق الوهاب، مراجعة: يوئيل عزيز، سلسلة المائة كتاب، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد – العراق– ط 1، 1987.

- **جيفري ليش وجيني توماس**

118) البرقماتية (المعنى في السياق)، ضمن الموسوعة اللغوية، تحرير: كولنج، ترجمة: محي الدين حميدي وعبد الله الحمدان، منشورات جامعة الملك سعود، النشر العلمي والمطابع، الرياض – السعودية– (د.ط)، (د.ت).

- **دلاش الجيلالي**

119) مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر– (د.ط)، 1992.،

- **دومينيك مونقانو**

120) المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف– الجزائر– ط5، 2005،

- **زتسيسلاف واورزنياك**

121) مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر– ط1، 2003.

- **فرنسواز أرمينكو**

122) المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الاتحاد القومي ، الرباط – المغرب– (د.ط)، 1986.

- **فيليب بلانشيه**

123) التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع – سوريا– ط1، 2007.

- **كلاوس برينكر**

124) التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر– ط1، 2005.

- **هنريش بليث**

125) البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة: محمد العمري، أفريقيا الشرق – المغرب– 1999.

- **هوراس**

126) فن الشعر، ترجمة: لويس عوض، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – مصر– ط3 ، 1988.

الرسائل والمجلات والدوريات

- **أحمد عبد الله محمد حمدان**

127) دلالات الألوان في شعر نزار قباني، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية في نابلس – فلسطين– 2008.

- **راضية خفيف بوبكري**

128) التداولية وتحليل الخطاب الأدبي مقارنة نظرية، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب، دمشق – سوريا– العدد 399، تموز 2004.

- **شيتر رحيمة**

129) تداولية النص الشعري، جمهرة أشعار العرب نموذجًا، رسالة دكتوراه، مخطوطة جامعة الحاج لخضر، باتنة – الجزائر– 2008– 2009.

- **الطلحي ردة الله**

130) دلالة السياق، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في علم اللغة، جامعة أم القرى، 1418.

- **فوغالي باديس**

131) الزمن ودلالته في قصة من البطل، لزليخة السعودي، مجلة العلوم الإنسانية، دورية علمية محكمة تصدرها جامعة محمد خيضر، بسكرة –الجزائر– جوان 2002، عدد 2.

المواقع الالكترونية

132) http://www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat =shqas&qid=10

133) http: // f. Wikipedia. Org/ wiki/ Terre d'Israël

134) http://saidbengrad.free.fr/al/n5/8.htm

135) http://www.aljabriabed.net/n61_05%20azzaoui.

136)http://www.odabasham.net/show.php?sid=36104

137) http://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2010/09/23/210073.html

138) http://www.iwan7.com/t91.htm

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة..... (أ،ب،ج،د،ه)
مدخل: المجال المفهومي للتداولية..... 07
الفصل الأول: الأبعاد التداولية في قصيدة: منشورات فدائية على جدران أسرائيل .. 47
أولا: العناصر السياقية وتوليد الدلالة في عالم الخطاب..... 47
1- المرسل..... 49
2- المرسل إليه..... 50
3- الرسالة..... 50
4- موضوع الرسالة..... 50
ثانيا: المؤشرات (الملفوظات المفصلية)..... 53
1- الألفاظ المفتاحية..... 53
أ) مؤشر البقاء..... 54
ب)مؤشر الطلوع..... 56
2- الإشاريات الشخصية..... 58
3- الإشاريات الزمانية..... 62
أ) الزمن الماضي ودلالاته..... 65
ب) الزمن المستقبلي ودلالته..... 68
4- الإشاريات المكانية..... 73
أ) جغرافية الخطاب..... 73
ب)أسماء الإشارة..... 76
ج) ظروف المكان..... 77
ثالثا: المعنى الحرفي والمعنى التواصلي..... 78
1- الافتراض المسبق..... 78
2- الاستلزام الحواري..... 89

الفصل الثاني: أفعال الكلام ووظائف اللغة في عالم الخطاب..... 108
أولا: الأفعال الكلامية 108
1- أفعال الإثبات..... 109
2- أفعال التوجيه..... 112
3- أفعال الوعد..... 116
4- التعبيريات 119
5- الإعلانيات..... 122
ثانيا: تقنيات الحجاج وأدلة الإقناع..... 125
1- أدلة خارج الخطاب..... 126
2- أدلة داخل الخطاب..... 128
خاتمة..... 144
الملاحق..... 148
قائمة المصادر والمراجع..... 154
فهرس الموضوعات..... 167